الكوكب الشاهق

في الفرق بين

المريد الصادق وغير الصادق

تأليف

الشيخ أبي المواهب عبد الوهاب الشعراني

المتوفى ٩٧٣ هـ

ويليه

الوصايا والنصائح الخلوتية

للشيخ العلامة مصطفى بن كمال الدين البكري

المتوفى ١١٦٢ هـ

والشيخ حسن بن رضوان الخالدي

المتوفى ١٣١٠ هـ

حققه وخرجه وعلق عليه

أحمد فريد المزيدي

الكوكب الشاهق

في الفرق بين

المريد الصادق وغير الصادق

تأليف

الشيخ أبي المواهب عبد الوهاب الشعراني

المتوفى ٩٧٣ هـ

ويليه

الوصايا والنصائح الخلوتية

للشيخ العلامة مصطفى بن كمال الدين البكري

المتوفى ١١٦٢ هـ سنة

والشيخ حسن بن رضوان الخالدي

المتوفى ١٣١٠ هـ سنة

تحقيق وتخريج وتعليق

أحمد فريد المزيدي

الكوكب الشاهق

في الفرق بين

المريد الصادق وغير الصادق

تأليف

الشيخ أبي المواهب عبد الوهاب الشعراني

المتوفى ٩٧٣ هـ

ويليه

الوصايا والنصائح الخلوتية

للشيخ العلامة مصطفى بن كمال الدين البكري

المتوفى ١١٦٢ هـ

والشيخ حسن بن رضوان الخالدي

المتوفى ١٣١٠ هـ

تحقيق وتخريج وتعليق

أحمد فريد المزيدي

دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

Title : Al-kawkab al-šāhiq
fī al-farq bayn al-murīd
al-ṣādiq waġayr al-ṣādiq
followed by Al-waṣāyā wal-Naṣā'iḥ al-Ḫalwatiyyah
classification: *Sufism*
Author : 'Abdul-Wahhāb al-Ša'rāni
and Muṣṭafā al-Bakri
and Ḥasan ben Raḍwān al-Ḫālidi
Editor : Aḥmad Farīd al-Mizyadi
Publisher : Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Pages : 216
Year : 2008
Printed in : Lebanon
Edition : 1st

الكتاب : الكوكب الشاهق
في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق
ويليه النصائح والوصايا الخلوتية
التصنيف : تصوف
المؤلف : الشيخ عبدالوهاب الشعراني
والشيخ مصطفى البكري
والشيخ حسن بن رضوان الخالدي
المحقق : أحمد فريد المزيدي
الناشر : دار الكتب العلميـة - بيروت
عدد الصفحات: 216
سنة الطباعة : 2008
بلد الطباعة : لبنان
الطبعة : الأولى

ISBN 2-7451-5285-8 (10 dig)
ISBN 978-2-7451-5285-5 (13 dig)

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٨م - ١٤٢٩ هـ

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax:+961 5 804813
P.o.Box:11-9424 Beirut-lebanon
Riyad al-Solh Beirut 1107 2290

عرمون ، القبة
مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨١٠/١١/١٢ ٨٠٤ ٥ +٩٦١
فاكس: ٨١٣ ٨٠٤ ٥ +٩٦١
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com
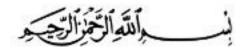
مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي أسبغ علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، وجعلنا خير أمة، وأنزل الكتاب هدىً للناس ورحمة، وبعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة.

والصلاة والسلام على نبيه وصفيه سيدنا محمد الذي منَّ الله به علينا أي منة، وعلى آله الأطهار، وأصحابه البررة المتخلقة بأخلاق الكتاب والسنة، والربانيين من الأئمة.

وبعد.. فهذه درر لامعة، وأنوار ساطعة وثمار يانعة، أتحفنا بها إمام الأئمة، والمربي القدوة: سيدي عبد الوهاب الشعراني، الذي حاز المرتبة العليا في تربية المريدين، والدرجة العظمى في سلوك العارفين، فصنف وأبدع ما كان دستوراً للمهتدين.

فقد بين أخلاق المريد الصادق مع ربه ونبيه وشيخه، السعيد الذي حظي بتوفيق خالقه.

وحذر من سلوكٍ غير مرضي، يوقع بالعبد في الطرد، وحرمانه من العطاء بالسلب.

ولأهمية هذا الكتاب النافع المهم جداً لك مريد للسلوك السوي الرشيد، دعانا شيخنا الولي الأشهر، التقي الذكي الأطهر، ذي المواهب والأسرار، والمناقب التي لا تُحصى بالعد والانحصار، المربي طبيب الأرواح، المتصرف في القلوب والأشباح ، شيخ شيوخ عصره، ومنبع البركات في أقطار الأرض، الغوث الشيخ، **مصطفى بن عبد السلام** قدس الله سره، ونور ضريحه، إلى تحقيقه ، حتى ينتفع به الإخوان في طريق القوم، وطلاب العلم الشريف.

فبادرنا إلى ضبطه ، وتصحيحه، وتخريج أحاديثه وآثاره، والتعليق عليه، والترجمة لأعلامه، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

وأصل الكتاب مصوراً بجامعة الإسكندرية، ومكتبة البلدية بها، وجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، وهو بدار الكتب المصرية، وقد سبق طبعه قديماً من قبل.

وإليك أيها القارئ الكريم الكتاب في حلته الجديدة، سائلاً الله أن يتقبله منا، وهو ولي التوفيق. كتبه: أبو الحسن أحمد فريد المزيدي المصطفوي.
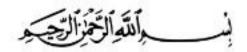
ترجمة مختصرة للشيخ المصنف

أرّخ سيدي عبد الوهاب الشعراني لنفسه في كتابه لطائف المنن فقال:

أحمد الله تعالى حيث جعلني من أبناء الملوك فإني بحمد الله تعالى عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن زوفا بن الشيخ موسى، المكنى في بلاد البهنسا بأبي العمران، جدي السادس ابن السلطان أحمد بن السلطان سعيد، بن السلطان قاشين، بن السلطان محيا، بن السلطان زوفا، بن السلطان ريان، بن السلطان محمد بن موسى، بن السيد محمد ابن الحنفية، بن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ.

وكان جدي السابع الذي هو السلطان أحمد سلطانًا في مدينة تلمسان في عصر الشيخ أبي مدين المغربي، ولما اجتمع به جدي موسى قال الشيخ أبو مدين: لمن تنتسب؟ قال: والدي السلطان أحمد، فقال له: إنما عنيت نسبك من جهة الشرف، فقال: أنتسب إلى السيد محمد ابن الحنفية، فقال: ملك، وشرف، وفقر: أي تصوف لا يجتمعن، فقال: يا سيدي قد خلعت ماعدا الفقر، فرباه فلما كما في الطريق أمره بالسفر إلى صعيد مصر، وقال له: اسكن بناحية هو ((إحدى مدن محافظة قنا)) فإن بها قبرك فكان الأمر كما قال.

ولم يحدد لنا التاريخ السنة التي هاجر فيها موسى إلى مصر، ولكن كتب التاريخ حددت لنا تاريخ وفاته، فقد توفي ببلدة ((هو)) عام ٧٠٧ هـ بعد أن نجحت دعوته.

واهتدى بهديه الصوفي جمهور ضخم في الصعيد الأعلى، واستمرت أسرة الشعراني بالصعيد حتى مطلع القرن التاسع الهجري، فهاجر عميدها أحمد إلى ساقية أبي شعرة بالمنوفية، وأسس بها زاوية للعلم وللعبادة وانتقل إلى جوار ربه عام ٨٢٨ هـ.

مولده ونشأته:

ولد الشعراني على أصح الروايات وأشهرها في ٢٧رمضان عام ٨٩٨ هـ ببلدة قلقشندة وهي قرية جده لأمه، ثم انتقل بعد أربعين يومًا من ولده إلى قرية أبيه ساقية أبي شعرة وإليها انتسب، فلقب بالشعراني، وعرف بهذا اللقب واشتهر به، وإن كان هو قد سمّى نفسه في مؤلفاته بالشعراوي.

ولقد اضطرب رجال التاريخ في تحديد مولده، فلقد ذكر صاحب ((النور السافر))

تاريخًا لمولده قبل هذا التاريخ بقليل، والمناوي وعلي مبارك والمستشرق شاخت فقد أيدوا التاريخ الذي ذكرناه، وهو المعتمد.

واضطرب رجال التاريخ أيضًا في الحديث عن طفولته ونشأته، فذهب المستشرقان كرويمر ونيكسون إلى أنه اشتغل في مطلع حياته بالنسيج.

والشيخ الشعراني يقول في صراحة: إن من منن الله عليه أنه لم تكن هناك عوائق تعيقني عن طلب العلم والعبادة منذ طفولتي، وكانت القناعة من الدنيا باليسير سداي ولحمتي، وهذه القناعة أغنتني عن الوقوع في الذل لأحدٍ من أبناء الدنيا، ولم يقم لي أنني باشرت حرفةً ولا وظيفةً لها معلوم دنيوي، منذ بلغت، ولم يزل الحق تعالى يرزقني من حيث لا احتسب إلى وقتي هذا، وعرضوا علي الألف دينار وأكثر فرددتها ولم أقبل منها شيئًا، وكان التجار والكبراء يأتون بالذهب والفضة فأنثرهما في صحن جامع الغمري، فيلتقطه المجاورون.

وحفظ الشعراني في قريته كما يحدثنا في المتن القرآن الكريم، ثم حفظ أبا شجاع والأجرومية، ودرسهما على أخيه الشيخ عبد القادر.

وتوفي والده قبل أن يبلغ العاشرة، فنشأ يتيمًا من الأبوين، وكان الله وحده كما يقول هو نصيره ووليه.

ويقص علينا الشعراني تاريخ حضوره إلى القاهرة بذلك الأسلوب القلبي الأخّاذ الذي عرف عن الشعراني فيقول:

وكان مجيئي إلى القاهرة سنة عشرة وتسعمائة، وعمري إذ ذاك اثنتا عشرة سنة، فأقمت في جامع سيدي أبو العباس الغمري، وحنن الله علي شيخ الجامع وأولاده فمكثت بينهم كأني واحدٌ منهم، آكل ما يأكلون، وألبس ما يلبسون، فأقمت عندهم حتى حفظت متون الكتب الشرعية وآلاتها على الأشياخ.

ثم يقول: ولم أزل بحمد الله محفوظ الظاهر من الوقوع في المعاصي معتقدًا عند الناس، يعرضون عليَّ كثيرًا من الذهب والفضة والثياب، فتارة أردها، وتارة أطرحها في صحن الجامع، فيلتقطها المجاورون.

ولبث الشعراني في مسجد الغمري، يعلِّم ويتعلم ويتهجد ويتعبد سبعة عشر عامًا، ثم انتقل إلى مدرسة أم خوند، وفي تلك المدرسة بزغ نجم الشعراني وتألق.

حياته ومكانته العلمية وسلوكه طريق القوم:

يقول الشعراني: ولقد اجتمعت بخلائق لا تحصى من أهل الطريق ألتمس لديهم المفاتيح والأبواب، فلم يكن لي وديعة عند أحدٍ منهم.

قرأ الشيخ على العلماء والأئمة كتب ومتون ما لا يحصى كثرة، وحبب إليه علم الحديث فلزم الاشتغال به والأخذ عن أهله، ومع ذلك لم يكن عنده جمود المحدثين ولا لدونه النقلة، بل هو فقيه النظر، صوفي الخبر، له دراية بأقوال السلف ومذاهب الخلف، وكان ينهي عن الحط على الفلاسفة وتنقيصهم، وينفر ممن يذمهم، ويقول هؤلاء عقلاء، ثم أقبل على الاشتغال بالطريق مجاهدًا نفسه مدة، وقطع العلائق الدنيوية، ومكث سنين لا يضطجع على الأرض ليلاً ولا نهارًا، بل اتخذ له حبلاً بسقف خلوته يجعله في عنقه ليلاً حتى لا يسقط.

وكان يطوى الأيام المتولية، ويديم الصوم، ويفطر على أوقية من الخبز، ويجمع الخروق من الكيمان فيجعلها مرقعة يستتر بها، وكانت عمامته من شراميط الكيمان وقصاصة الجلود، واستمر كذلك حتى قويت روحانيته، وكان يفتتح مجلس الذكر عقب العشاء، فلا يختمه إلا عند الفجر.

فقد عاش الشعراني حياته تحت ظلال المساجد ليله ونهاره متبتلاً في طلب العلم، عالمًا في التعبد، عاش نقيًّا طاهرًا مجاهدًا في سبيل الكمال العلمي والكمال الخلقي.

فكان صوفيًا في منهجه الذي أخذ نفسه به طوال حياته، يقول في المنن: إن من منن الله عليَّ أن ألهمني مجاهدة نفسي من غير شيخ منذ طفولتي.

وأصبحت زاوية الشعراني التي أسسها ليتلقى فيها الطلاب علوم الظاهر مع أذواق الباطن من أعظم منارات العلم والثقافة والتوجيه في العالم الإسلامي في ذلك الوقت، وغدت مثابةً للعلماء والأدباء، ومنبرًا للدعوة والإرشاد، وساحةً للذكر والعبادة، ورواقًا يرسل الشعاع الروحي النقي في عصرٍ انطفأت فيه المصابيح، وخمدت مشاعل الحياة.

وأصبح الشعراني قطب الرحى في عصره يلوذ به طلاب العلم وطلاب الذوق، كما يلجأ إليه أصحاب الحاجات والشفاعات، وعلى باب الزاوية يزدحم الأمراء والكبراء.

فكان الإمام متخلق بخلق التصوف متأدب بآدابه وأخذ نفسه بكل ما كتب وسطر في كتبه فكان خلقه صورة رسالته.

كان الشعراني يرى أن الإنسان لا يكون إنسانًا إلا إذا شارك الناس كافة في أحزانهم وآلامهم؛ لأن الإنسانية وحدة متماسكة خيرها مشترك، وعذابها مشترك، يقول: من ضحك أو استمتع بزوجه أو لبس مبخرًا أو ذهب إلى مواضع المتنــــزهات أيام نزول البلاء على المسلمين فهو والبهائم سواء.

وكان رحيمًا بالناس، ورحيمًا بنوعٍ خاصٍّ بالعصاة والمذنبين، لأنهم أشد الناس ضعفًا، وأحوجهم إلى العطف والنصح والرحمة.

يقول متحدثًا عن مبادئه: ثم ستري لعورات الناس وعيوبهم ورحمتي بالعصاة حال تلبسهم بالمعصية، فإنهم أشقى الناس حينئذٍ.

ثم يقول واصفًا خلقه: ثم غيرتي على أذني أن تسمع زورًا، وعيني أن تنظر محرمًا، ولساني أن يتكلم باطلاً.

وكان الشعراني يرى أن العبادة لا تصلح إلا بصلاح القلب ونقاء الأخلاق، فكان لا يقوم إلى الصلاة إلا إذا فتش قلبه، هل فيه غلٌّ أو حقد، أو حسد، أو نميمة، أو شهوة صغيرة أو كبيرة، بل كان يستحيي أن ينام وفي قلبه شيء من هذا؛ لأن النوم رحلة الروح إلى الملأ الأعلى.

ويسمو الشعراني في أدب النفس، ويرتفع في معارج الخلاق، فيقول: ومما أنعم الله به عليَّ عدم خروجي من بيتي إلا إذا علمت من نفسي القدرة بإذن الله على هذه الثلاث خصال: تحمل الأذى عن الناس، وتحمل الأذى منهم، وجلب الراحة لهم.

وقال ابن العماد الحنبلي:

حسده طوائف فدسوا عليه كلمات يخالف ظاهرها الشرع، وعقائد زائغة، ومسائل تخالف الإجماع، وأقاموا عليه القيامة، وشنعوا وسبوا ورموه بكل عظيمة فخذلهم الله وأظهره عليهم، وكان مواظبًا على السنة مبالغًا في الورع، مؤثرًا ذوي الفاقة على نفسه حتى بملبوسه، متحملاً للأذى موزعًا أوقاته على العبادة ما بين تصنيف وتسلك وإفادة، واجتمع بزاويته من العميان وغيرهم نحو مائة فكان يقوم بهم نفقة وكسوة، وكان عظيم الهيبة وافر الجاه والحرمة، تأتي إلى بابه الأمراء.

وكان يسمع لزاويته دوي كدوي النحل ليلاً ونهارًا.

وكان يحيي ليلة الجمعة بالصلاة على المصطفى ﷺ ولم يزل مقيمًا على ذلك معظمًا

في صدور الصدور إلى أن نقله الله تعالى إلى دار كرامته.

ومن كلامه: دوروا مع الشرع كيف كان لا مع الكشف فإنه قد يخطئ.

وقال: ينبغي إكثار مطالعة كتب الفقه عكس ما عليه المتصوفة الذين لاحت لهم بارقة من الطريق فمنعوا مطالعته، وقالوا: إنه حجاب جهلاً منهم.

وقال: ذهب بعض أهل الكشف إلى أن جميع الحيوان لهم تكليف إلهي برسول منهم في ذواتهم لا يشعر به إلا من كشف عن بصره، فإن لله الحجة على خلقه فلا يعذب أحدًا إلا جزاء، فلا إشكال في إيلام الدواب.

وقال: الخير آخر ما تنتهي إليه المعاذير، وذلك سبب مآل أهل الرحمة إلى الرحمة.

تصانيفه:

جال قلم الشعراني في كل أُفق من آفاق المعرفة العلمية والذوقية.

فكتب في الأصلين، في التصوف، والتوحيد، والفقه والأصول، والتفسير، والحديث، والتاريخ والمناقب، واللغة، والنحو، والطب، وغيرها، فنذكر بعضها:

١-الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم.

٢-الدرة المنثورة في زبد العلوم المشهورة.

٣-لواقح الأنوار في طبقات الأخيار الكبرى، والوسطى، والصغرى.

٤-المقدمة النحوية في علم العربية.

٥-شرح جمع الجوامع للسبكي.

٦-الميزان الشعرانية المدخلة لجميع أقوال الأئمة المجتهدين ومقلديهم في الشريعة المحمدية.

٧-إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين. تحت قيد الطبع.

٨-مدارج السالكين. بتحقيقنا.

٩-لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق.

١٠-رسالة في آداب تلقين الذكر.

١١-درة الغواص على فتاوى الخواص.

١٢-الجواهر والدرر الصغرى، والكبرى، والوسطى. تحت قيد التحقيق.

١٣-بهجة النفوس والأحداق. يسر الله لنا تحقيقه.

١٤-الأخلاق المتبولية المفاضة من الحضرة المحمدية.

١٥-البحر المورود في المواثيق والعهود.

١٦-كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان. بتحقيقنا.

١٧-خبايا الزوايا. تحت قيد التحقيق.

١٨-الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر.

١٩-تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس.

٢٠-رسالة في العقائد.

٢١-رسالة في التسليك.

٢٢-الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية.

٢٣-إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين. تحت قيد الطبع.

٢٤-مختصر تذكرة السويدي في الطب، طبع بتحقيقنا.

٢٥-مختصر اعتقاد أهل السنة للبيهقي. تحت قيد الطبع بتحقيقنا.

٢٦-الدرر واللمع في بيان الصدق في الزهد والورع. طبع بتحقيقنا.

٢٧-الدرر السنية على الوصية المتبولية.

٢٨-البدر المنير في غريب أحاديث البشير.

٢٩-منحة المنة في التلبس بالسنة.

٣٠-تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر.

٣١-المنهج المبين في مذاهب الأئمة المجتهدين.

٣٢-إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلى شروط صحبة الأمراء.

٣٣-مفحم الأكباد في مواد الاجتهاد.

٣٤-مختصر تذكرة القرطبي.

٣٥-لوائح الخذلان على من لم يعمل بالقرآن.

٣٦-حد الحسام على من أوجب العمل بالإلهام.

٣٧-البرق الخاطف لبصر من عمل بالهواتف.

٣٨-الاقتباس في القياس.

٣٩-لواقح الأنوار القدسية مختصر الفتوحات المكية. تحت قيد التحقيق.

٤٠-مختصر السنن الكبرى للبيهقي.

٤١-الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية.

٤٢-ردع الفقراء عن دعوى الولاية الكبرى.

٤٣-سير المسير والتزود ليوم المسير.

٤٤-الطراز الأبهج على خطبة المنهج.

٤٥-طهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالله تعالى والعباد.

٤٦-علامات الخذلان على من لم يعمل بالقرآن.

٤٧-فتح الوهاب في فضائل الآل والأصحاب.

٤٨-القواعد الكشفية الموضحات لمعاني الصفات الإلهية.

٤٩-الكوكب الشاهق في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق (كتابنا هذا).

٥٠-اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر.

٥١-مختصر المدونة الكبرى لسحنون.

٥٢-مختصر الألفية لابن مالك في النحو.

٥٣-هادي الحائرين إلى رسوم أخلاق العارفين.

٥٤-المنن الوسطى. تحت قيد التحقيق.

٥٥-المنن الصغرى. تحت قيد التحقيق.

٥٦- الفتح في معنى الشطح.

٥٧- مختصر القواعد الكشفية (تحت قيد الطبع بتحقيقنا).

٥٨- الميزان الذرية المبينة لعقائد الفرقة العلية (طبع بتحقيقنا).

٥٩- العهود المحمدية.

٦٠- مختصر القواعد للزركشي (أتم الله تحقيقه).

وفاته: انتقل الشيخ ﷺ في جمادى الأولى من سنة ٩٧٣ هـ.

ودفن بجانب زاويته بحي باب الشعرية، بالقرب من بين السورين، وضريحه الشريف بمسجده المبارك.

انظر في ترجمته:

١-شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٣٧٢/٨).

٢-لطائف المنن للشعراني (٣٢/١)، (٢٣٦/٢).

٣-الكواكب الدرية للمناوي (٦٩/٤).

٤-كرامات الأولياء للنبهاني (١٣٤/٢).

٥-الكواكب السائرة للغزي (١٧٦/٣).

٦-هدية العارفين للبغدادي (٦٤١/١، ٦٤٢).

٧-جامع الكرامات لتوفيق الطويل (١٣٨، ١٤٢).

٨-الشعراني إمام التصوف في عصره ليوسف العش.

٩-الشعراني والتصوف الإسلامي لطه سرور.

١٠-الأعلام للزركلي (٣٣١/٤، ٣٣٢).

١١-معجم المؤلفين لكحالة (٣٣٩/٢).

١٢-فهرس الفهارس للكتاني (٤٠٥/٢، ٤٠٧).

* * *

مقدمة المصنف

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين، اللهم فصلِّ عليه وسلم، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى آلهم وصحابتهم أجمعين.

أما بعد...

فهذه أخلاقٌ غريبةٌ في فقراء أهل هذا الزمان، وكانت من أخلاق المريدين في الزمن الماضي، فصارت من أخلاق الأشياخ في هذا الزمان، تلقيتها عن نحو مائة شيخ، ممن أدركتهم أوائل القرن العاشر في مصر وقراها، فبعضها شاهدته من أفعالهم، وبعضها اقتبسته من نور أخلاقهم، ولم أجد أحدًا من أصحابهم مَن اعتنى بشيءٍ منها، فخفت أن تندرس باندراس تلامذتهم.

فوضعتها في هذه الطروس لينفع الله بها من شاء، وهي كالسيف القاطع لعنق كل من يدَّعي الصلاح في هذا الزمان بغير حقٍّ؛ لأنها تغسله وتسلخه من طريق الصلاح، كما تنسلخ الحية من ثوبها، ولقد حررتها على الكتاب والسُّنة تحرير الذهب والجوهر بحسب فهمي ومقامي.

ثم اعلم يا أخي أن الفقراء الصادقين قد اختفوا في هذا الزمان، وغالب من يتظاهر فيه الآن بالصلاح معدودٌ من النصابين على تحصيل الدنيا، كما يدل على ذلك مزاحمتهم على اعتقاد الأمراء والأكابر فيهم، فكل من طلع له أمير يود أنه لا يطلع لغيره أبدًا، ومن شكَّ في قولي هذا فليجرب.

وقد سميت هذا الكتاب بـ((منهج الصدق والتحقيق في تفليس المدَّعين للطريق)) جعله الله خالصًا لوجهه الكريم آمين. إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق:

ومن أخلاق المريدين الصادقين: ألا يطلب أحدهم الدخول في طريق القوم إلا بعد تبحره في علوم الشريعة، حتى يُؤذن له إلى أمرٍ آخرٍ عما هو فيه.

وكان سيدي أحمد بن الرفاعي يقول: لا يصح لعبدٍ دخول طريق القوم إلا بعد تصوره أن يرى النقص في نفسه في سائر العبادات في الطريق.

وكان يقول: سلكت بهذه الثلاث كلمات وهي: ملتفتٌ لا يصل، متشككٌ لا يفلح، ومن لا يعرف عن نفسه النقصان، فكل أوقاته نقصان، فإذا سلكت الطريق ورأيت النقص

في نفسك بعد ذلك فقد دخلت إلى أول قدم في الطريق، فإياك أن يقع منك جهل أو جفاء، أو تكون بك علّة تحجبك عن شهود ربك في ليلٍ أو نهارٍ، فما أقبح الجهل بالألباب! والجفا بالأحباب! والعلّة بالأطباء. انتهى.

قال سيدي أحمد: فكان جميع سلوكي بهؤلاء الكلمات.

وبلغنا عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي ﷺ[1] أنه كان يقول: من لم يتبحر في علوم

---

(١) هو العالم بالله تعالى: سيدي أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبّار الشاذلي ﷺ، شيخ الطائفة العلية الشاذلية، وينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما، العَلَمْ المشهور، وشهرته بالولاية والصلاحِ تغني عن تعريفه، أُلفَ الكثير من الكتب في مناقبه، والتعريف بشيء من سيرته الزكية، ومن أجلّ تلك الكتب «لطائف المنن» للشيخ ابن عطاء ﷺ، و«المفاخر» للشيخ ابن عباد أثنى عليه العلماء، وكان العز بن عبد السلام ﷺ يقول في كلامه: اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد بالله.

وكان العز ينكر على القوم حتى اجتمع به فصار واحدًا منهم، شهدَ له الشيخ أبو عبد الله بن النعمان بالقطبانية، وكان الشيخ ابن دقيق العيد يقول: ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي.

ومن كلامه ﷺ: رأيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، ما حقيقة المتابعة؟ فقال: رؤية المتبوع عند كل شيء، ومع كل شيء، وفي كل شيء، وقال: إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة، ودع الكشف، وقل لنفسك: إن الله قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام ولا المشاهدة.

مع أنهم أجمعوا على أنه لا ينبغي العمل بالكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة، إلا بعد عرضه على الكتاب السنة، وقال: لا تشم رائحة الولاية وأنت غير زاهدٍ في الدنيا وأهلها، وقال: إنه يرد عليَّ الوارد فلا أقبله إلا بشاهدين عدلين، وهما الكتاب والسنة. وقال: قيل لي: يا عليُّ، ما على وجه الأرض مجلسٌ في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وما على وجه الأرض مجلسٌ في علم الحديث أبهى من مجلس الشيخ عبد العظيم المنذري، وما على وجه الأرض مجلسٌ في الحقائق أبهى من مجلسك.

وقال: للقطب خمسة عشر كرامةً، فمن ادعاها أو شيء منها فليبرز: أن يُمَدُّ بمدد العصمة والخلافة والنيابة، ومدد حملة العرش العظيم، ويُكْشَف له عن حقيقة الذات وإحاطة الأسماء والصفات، ويُكرَم بكرامة الحكمْ، والفصل بين الوجودين، وانفصال الأول عن الأول، وما اتصل عنه، إلى منتهاه، وما ثبت فيه، وحكم ما قبل، وحكم من لا قبل له ولا بعد، وعلم البدء، وهو العلم المحيط بكل علمٍ وبكل معلومٍ بدا من السر الأول إلى منتهاه، ثم يعود إليه.

وقال: حقيقة القرب الغيبة عن القرب بالقرب؛ لعظم القرب.

وقال: التصوف تدريب النفس على العبودية، وردها لأحكام الربوبية.

وقال: الصوفي من يرى وجوده كالهباء في الهواء، غير موجودٍ ولا معدومٍ حسبما هو عليه في علم

=

الشريعة حتى يصير يقطع أكابر العلماء بالحجج الواضحة في مجلس المناظرة فلا يطلب صحبتنا.

فاعرض يا أخي ما قررناه لك في هذا الخلق على أكثر مريدي عصرك الذين ادَّعوا دخولهم في الطريق، تجد أحدهم لا يقدر أن يحل لك أخصر كتاب في الفقه، بل ولا يعرف شروط الوضوء، فضلاً عن زيادة على ذلك، فلذلك عدموا النفع، وبعضهم فتح له باب من التوحيد فتزندق، وصار يأكل الحرام والشبهات ويقول: لا أحد يملك مع الله، وصار على وجهه ظلمة حتى ربما ظهر ذلك للخاص والعام.

فاعلم ذلك ولا تنسَ نصيبك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا أراد أحدهم الأخذ عن أحدٍ من مشايخ عصره أن يصوم ثلاثة أيام أو سبعة أيام، ملازمًا للصمت وقلة الأكل فيها، فإذا انقضت صلّى ركعتين، وسأل الله تعالى في سجوده وبعد سلامه منها أن يجمعه على عارف الزمان، ويرزقه الاعتقاد فيه، والانقياد له، ثم يتوجَّه إلى مشايخ عصره في بلاده أو غيرها بالقلب، واحدًا بعد واحدٍ إلى أن يستوعبهم، فكل من حصل له في قلبه أن يجتمع به فإن وديعته عنده.

وقد خالف قومٌ هذا فقالوا: إنهم ليسوا لهم عنده وديعة، فلم يحصلوا على طائلٍ، ثم فارقوا شيخهم قائلين للناس: لو وجدنا عنده مددًا أو خيرًا ما فارقناه، كما وقع ذلك لجماعةٍ من مشايخ العصر.

وإيضاح ذلك أن الطريق عزيزة، وأهلها أعز منها، والطالب لها بصدقٍ أعز من الكبريت الأحمر، وربما راج حال بعض الكذابين النصابين على حال الصادقين، كما أشرنا

=

الله تعالى.

وقال: العلوم التي وقع الثناء عليها وإن جلّت فهي ظلمةٌ في علوم ذوي التحقيق، وهم الذين غرقوا في تيار بحر الذات وغموض الصفات، فكانوا هناك بلا هم، وهم الخاصة العليا، الذين شاركوا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في أحوالهم، فلهم فيها نصيبٌ على قدر إرثهم من موروثهم، قال النبي ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»: أي يقومون مقامهم على سبيل العلم والحكمة، لا على سبيل التحقيق بالمقام، فإن مقامات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قد جلّت أن يلمح حقائقها غيرهم.

وكلامه ﷺ في الحقائق وفي التمسك بالكتاب والسنة كثير جدًّا، راجعه في الكتب التي عرِّفت به، نفعنا الله به، آمين.

إليه في خطبة هذا الكتاب، فيأتي المريد المحجوب بطلب الطريق على يد هؤلاء الكذابين بحكم الصيت فلا يحصل على طائلٍ، فإذا استخار الله تعالى وسأله أن يدله على عارف الزمان الصادق دلّه عليه، فيدخل في صحبته على بصيرة.

وقد قال الراوي رحمه الله: إن الشيخ المرشد في كل عصرٍ لم يزل مستورًا بين أولياء الله تعالى، فضلاً عن غيرهم من العوام، فلا يعرفه إلا أرباب البواطن والبصائر دون أهل العمل الظاهر، وذلك لأن غالب أعماله التي يتميز بها عن أقرانه تصير قلبية، لا يظهر منها على ظاهره إلا ما لا يتميز به عن العامة من الفرائض والسنن المؤكدة؛ فيخفى بعد الشهرة ضرورة.

فمن أين يعرفه المريد المحجوب بسبعين ألف حجاب!

وقد ورد في الحديث القدسي: ((**أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري**[1])): أي وغير من عرفته إياهم انتهى كلام علي المرصفي رحمه الله.

وكان يقول كثيرًا: سبب اختفاء الصادقين من أهل الله في كل عصرٍ وزمانٍ قلة صدق الطالبين الطريق بصدقٍ، ولو أن المريدين صدقوا لأظهروا لهم أنفسهم، ولكنهم دخلوا بالحظوظ النفسية والأغراض الفاسدة، فكان من عقل الواصلين الاختفاء عنهم رحمةً بهم.

فقلت له: إن المريدين لم يزالوا يطلبوا الطريق بهذه الأمراض، ولا يمنعهم الأشياخ، بل يقبلونهم ويصيرون يصفون لهم الدواء المزيل لأمراضهم شيئًا فشيئًا حتى تتصلح أحوالهم.

فقال: صحيح لو علم الصادقون من المريدين ما عندهم من العلل، وطلبوا من الأشياخ دواءها لأغراضٍ صحيحةٍ، ما منعوهم ولكنهم طلبوا إزالة أمراضهم؛ ليتمشيخوا على الناس، ويرون بذلك نفوسهم على إخوانهم، ثم لا يطلبون الخروج عن ذلك، بل يمكث أحدهم يدّعي الصلاح ويعجب بحاله حتى يموت على ذلك، ولا يقبل نصح ناصح أبدًا، فحكم هؤلاء حكم من يشتري العنب ليعصره خمرًا، أو الجارية ليوقفها مع الزانيات، ومعلوم أن بيع ما ذُكر حرامٌ بالنظر لآخرة أمره، فكذلك المريد الذي لم يخلص في طلب الطريق فافهم.

وقد كثر هذا النوع في مريدي هذا الزمان، وادّعوا للمشيخة بغير حقٍّ، وجلسوا لها بغير إذنٍ من أشياخهم، فضلوا وأضلوا، وكان عليهم إثم قاطع الطريق.

وقد قال الراوي رحمه الله: يجب على الطالب الصادق ألا يصحب أكثر من يدّعي

---

(١) ذكره المناوي في التعاريف (٦٧٦/١).

المشيخة في عصرنا هذا البتة، إلا بعد ظهور أمارات الصدق بإلهام من الله تعالى للطالب حيث يستخير الله تعالى، أو بشهادة الصادقين من أهل الطريق لذلك الشيخ.

قال: وإيّاك أن تصحب أحدًا من المدّعين للطريق بلبس الزي، أو تدعهم يأخذون عليك العهد؛ فإنهم أكثر أذى من الثعبان، وذلك لأنك تشهد الأذى من الثعبان فتأخذ منه حذرك، ولا هكذا من تظاهر بالصلاح وهو في الباطن شيطانٌ في زي إنسان.

قال: وذلك كالجماعة الذين سمُّوا نفوسهم بأسماء المشايخ الصادقين، أو أنه من أتباعهم كالملامتية والقلندرية والحيدرية والبسطامية وأشباههم.

فإن الغالب على هؤلاء مخالفتهم لطريق من تلقبوا بلقبه أو انتسبوا إليه، فإن المنقول عن جميع أشياخ الخرق كلها التقيُّد بالكتاب، كسيدي عبد القادر الجيلي جد الشيخ عبد الكريم الجيلي [1].

---

(١) هو العالم بالله تعالى الوارث المحمدي سيدي قطب الدين عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي أو الجيلاني؛ نسبةً إلى قرية جيل، وهي تقع في الجزء الغربي من بلاد فارس، وهو سبط السلطان المحمدي سيدي عبد القادر الجيلاني قُدِّس سرُّه، سلك الطريق على يد الولي الكامل المقرَّب سيدي إسماعيل الجبرتي قُدِّس سرُّه، وكان الشيخ ﷺ عالمًا بعلوم الشريعة والطريقة والحقيقة، إلا أنه اشتهر عنه بالكتابة في علم الحقيقة، وكان كثير التعظيم والمحبة للشيخ الأكبر قُدِّس سرُّه.

ومن كراماته العظيمة التي كانت تقع له أثناء السلوك: أن رسول الله ﷺ كان يأتيه في اليقظة في صورة شيخه سيدي إسماعيل، فيُكلّم الشيخ ويُباسطه، والشيخ يُكلّمه ويُباسطه، والشيخ لا يعلم أنه مع رسول الله ﷺ يتكلّم، فإن علم بعد ذلك حَصلَ له قبضٌ من هذا المشهد؛ حياءً من السيد الأعظم ﷺ.

وله قُدِّس سرُّه في علوم القوم مؤلفاتٌ كثيرةٌ تنبئ عن جزءٍ من علمه، وعظمته، وكمال معرفته، ووراثته، ومنها كتابه الأكرم الأفخم المسمى: بـ «الناموس الأعظم والقاموس الأقدم في معرفة قدر النبي ﷺ»، وهو في أربعٍ وأربعين جزءًا، معظم ما نسب إليه من مؤلفاتٍ إنما هو عبارةٌ عن جزءٍ معينٍ من هذا الكتاب العظيم، كـ«الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية»، و«لسان القدر بنسيم السحر»، و«قاب قوسين»، و«مراتب الوجود»، وما زال أغلب ذلك الكتاب مفقودًا حتى الآن، ولم يكمل جمعه فيما نعلم أحدٌ، ومنها كتاب «الإنسان الكامل»، وهو أشهرها، و«قطب العجائب وفلك الغرائب»، و«المملكة الربانية المودعة في النشأة الإنسانية»، وغير ذلك، نفعنا الله بعلومهم في الدارين، آمين.

وكان شديد التمسُّك بالشرع الشريف، مؤيِّدًا علومه بالكتاب والسنة، وفي ذلك قال في مقدمة كتابه «الإنسان الكامل»: (ثم ألتمسُ من الناظر في هذا الكتاب بعد أن أُعلِمَهُ أني ما وضعت شيئًا في هذا الكتاب إلا وهو مؤيِّدٌ بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ أنه إذا لاح له شيءٌ في كلامي بخلاف الكتاب والسنة فليعلم أن ذلك من حيث مفهومه، لا من حيث مرادي الذي وضعت =

وسيدي أحمد بن الرفاعي(١).

الكلام لأجله، فليتوقف عن العمل به مع التسليم، إلى أن يفتح الله تعالى عليه بمعرفته، ويحصل له شاهدٌ من كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ، وفائدة التسليم هنا وترك الإنكار ألا يُحرم الوصول إلى معرفة ذلك، فإن من أنكر شيئًا من علمنا هذا حُرِم الوصول إليه ما دام منكرًا، ولا سبيل إلى غير ذلك، بل ويخشى عليه حرمان الوصول إليه بالإنكار أول وهلة، ولا طريق له إلا الإيمان والتسليم) اهـ.

قلت: انظر رحمك الله في قول الشيخ: (فليتوقف عن العمل به): أي إذا لم تستطع أنت أن تقم الشاهد من الكتاب أو السنة فأمرك الشيخ بترك العمل، ولم يأمر الشيخ بالعمل إلا بعد التأييد بالشرع، مع العلم أن تلك المخالفة المتوهمة هي من حيث فهمك، لا من حيث حقيقة قول الشيخ، وإنما أوجب الشيخ ترك العمل لأن نظر الشيخ أوسع، ومعاملته مع الله أدقُّ، ومن أين يعي الجاهل مثل تلك المعاملة؟! ليت شعري! كيف يتهم أمثال هذا السيد من أكابر القوم رضي الله عن جميعهم بمخالفتهم لكتاب أو سنَّة، والله إن لم يكن هؤلاء هم أهل القرآن المتلبسون بالسنة فما اقتدى برسول الله أحدٌ، كان الله لأوليائه، ما أصبرهم على جهل من جَهِلَ عليهم! اللَّهُمَّ فهمنا عنك؛ فإنا لا نفهم عنك إلا بك، وارزقنا اللَّهُمَّ الإيمان الكامل بعلوم هؤلاء السادة، واحفظ ذلك علينا إلى أن نلقاك.

(١) وهو الشيخ الجليل الحسيب النسيب أحمد بن أبي الحسين عليّ الرفاعي بن يحيى بن ثابت بن حازم بن أحمد بن يحيى بن حازم بن حسن بن مهدي بن أبي القاسم محمد بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن موسى الثاني بن إبراهيم المرتضى بن إبراهيم المجاب ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين، ابن الإمام الحسين السِّبط، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

سكن أم عبيدة بأرض البطائح إلى أن مات بها، انتهت إليه الرئاسة في علوم الطريق وشرح أحوال القوم، وكشف منازلاتهم، وبه عُرِف الأمر بتربية المريدين بالبطائح، وتخرَّج بصحبته جماعة كثيرة، وتلمَّذ له خلائق لا يُحصون، وهو أحد من قهر أحواله، وملك أسراره، وله كلامٌ كثيرٌ عالٍ على لسان أهل الحقائق، وهو الذي سُئل عن وصف الرجل المتمكن فقال: هو الذي لو نُصب له سنان أعلى شاهق في الأرض، وهبَّت الرياح الثمانية ما غيَّرته.

وكان يقول: الزهد أساس الأحوال المرضية والمراتب السنية، وهو أول قدم الصادقين إلى الله ﷻ، والمنقطعين إلى الله، والراضين عن الله، والمتوكلين على الله، فمن لم يحكم أساسه في الزهد لم يصح له شيء مما بعده.

وكان يقول: الأنس بالله لا يكون إلا لعبد قد كملت طهارته، وصفا ذكره، واستوحش من كل ما يشغله عن الله تعالى، فعند ذلك آنسه الله به، وأورده بحر حقائق الأنس، فأخذ عن وجدٍ طعم الخوف لما سواه.

وكان يقول: لو تكلَّم الرجل في الذات والصفات كان سكوته أفضل، ولو خطا من قافٍ إلى

فاق كان جلوسه أفضل. وكان يقول: لما مررت وأنا صغيرٌ بالشيخ عبد الملك الخرنوبي أوصاني وقالَ لي: يا أحمد احفظ ما أقول لك، فقلت: نعم، فقال: ملتفت لا يصل، ومتكسِّل لا يصلح، ومن لم يعرف من نفسه بالنقصان فكل أوقاته نقصان، فجعلت أكرِّرها سنة، ثم رجعت إليه فقلت: أوصني، فقال: ما أقبح الجهل بالألباء، والعلة بالأطباء، والجفاء بالأحباء، ثم خرجت وجعلت أردِّدها سنة، فانتفعت بموعظته. وكان يقول: الشفقة مما يقرب إلى الله.

وكان يقول: أخوك الذي يحل لك أكل ماله بغير إذنه هو الذي تسكن نفسك إليه، ويستريح قلبك. وكان يقول: إذا صلح القلب صار مهبط الوحي والأسرار والأنوار والملائكة، وإذا فسد صار مهبط الظلم والشياطين، وإذا صلح القلب أخبرك عمَّا وراءك وأمامك، ونبَّهك على أمورٍ لم تكن تعلمها بشيءٍ دونه، وإذا فسد حالك بباطلات يغيب عنها الرشد وينتفي معها السعد.

وكان يقول: الصدقة أفضل من العبادات البدنية والنوافل.

وكان يقول: من شرط الفقير أن يرى كل نفسٍ من أنفاسه أعزّ من الكبريت الأحمر، فيودع كل نفسٍ أعزّ ما يصلح له، فلا يضيع له نفسٌ.

وكان يقول: السفر للفقير يمزِّق دينه ويشتت شمله.

وكان يقول: من لم ينتفع بأفعالي لم ينتفع بأقوالي.

وكان يقول: كل أخٍ لا ينفع في الدنيا لا ينفع في الآخرة.

وكان يقول: إذا تعلَّم أحدكم شيئًا من الخير فليعلِّمه للناس يثمر له الخير.

وكان يقول: طريقنا مبنية على ثلاثة أشياء: لا نسأل، ولا نرد، ولا ندَّخر.

وكان يقول: ما من ليلة إلاّ وينـــزل فيها نثار من السماء إلى الأرض، يغدق على المستيقظين.

وكان يقول: والله ما رأيت الخير إلا في الوحدة، فيا ليتني لم أعرف أحدًا ولم يعرفني أحدٌ.

وكان يقول: ما نظر أحدٌ إلى الخلائق، ووقف مع نظرهم له في العبادات إلا سقط من عين رعاية الله ﷻ؛ فإن الحق سبحانه وتعالى غيور.

وكان يقول: من شرط الفقير ألا يكون له نظر في عيوب الناس.

قال يعقوب الخادم: فني لحمه بأجمعه قبل خروجه من الدنيا، وكان ﷺ إذا صعد الكرسيّ لا يقوم قائمًا، وإنما يتحدَّث قاعدًا، فيسمع كلامه البعيد مثل القريب، حتى إنّ أهل القرى التي حول أمّ عبيدة كانوا يجلسون على أسطحتهم يسمعون كلامه وعلوّ صوته، ويعرفون جميع ما يتحدَّث به، حتى كان الأطرش والأصم إذا حضر يفتح الله أسماعهم لكلامه، وكان أحدهم يبسط حجره، فإذا فرغ السيد أحمد ضموا حجورهم إلى صدورهم، وقصُّوا الحديث إذا رجعوا إلى أصحابهم على جليته.

وكان يقول: اللَّهُمَّ اجعلنا ممن فرشوا على بابك لفرط ذلّهم نواعم الخدود، مُنَكِّسُوا رؤوسهم من الخجل، وجباههم للسجود، ببركة صاحب اللواء المحمود، والحوض المورود آمين.

وسمع رجلاً يقول: إن لله خمسة آلاف اسم، فقال: إن لله سبحانه وتعالى أسماء بعدد ما خلق من الرمال والأوراق وغيرها.

وسيدي أحمد البدوي(1).

وكان ﷺ لا يجازي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح تخلقًا بأخلاق رسول الله ﷺ، وكان إذا تجلّى الحق تعالى على قلبه بالتعظيم يذوب حتى يصير بقعة ماء، ثم يتدارك باللطف فيصير بحمد الله شيئًا فشيئًا حتى يرد إلى جسمه المعتاد، ويقول: لولا لطف الله بي ما رجعت إليكم.
قال يعقوب الخادم: ولمّا مرض السيد أحمد مرض الموت قلت: تجلّي العروس في هذه المرة؟ فقال: نعم، فقلت له: لماذا؟ فقال: جرت أمور اشتريناها بالأرواح، وذلك أنه أقبل على الخلق بلاء عظيم فتحملته واشتريته بما بقي من عمري فباعني، وكان يمرغ وجهه الشريف وشيبته الكريمة في التراب ويبكي ويقول: العفو العفو، اللّهُمَّ اجعلني سقف البلاء عن الخلق.
وكان مرض الشيخ بالبطن، فكان يخرج منه كل يوم ما شاء الله تعالى، فبقي في المرض شهرًا، فقيل له: من أين هذا كله، ولك عشرون يومًا لا تأكل ولا تشرب؟! فقال: يا أخي هذا اللحم يندفع ويخرج، ولكن قد ذهب اللّحم وما بقي إلا المخ، اليوم يخرج وغدًا نعبر إن شاء الله تعالى، فخرج منه شيءٌ أبيضُ مرّتين أو ثلاث، ثُمَّ تُوفي يوم الخميس وقت الظهر، ثاني عشر جمادى الأوّل سنة سبعين وخمسمائة، وكان يومًا مشهودًا.
وكان آخر كلمة قالها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، وانظر في ترجمته: طبقات الشعراني الكبرى (١/١٢١)، وبوارق الحقائق للشيخ الرواس، وقلائد الزبرجد شرح حكم مولانا أحمد له أيضًا، بتحقيقنا.

(١) الشيخ الحسيب النسيب أبو العباس السيد أحمد البدوي ﷺ شهرته ﷺ في جميع الأرض تُغني عن تعريفه، ونذكر جملة من أحواله تبرُّكًا به فنقول: مولده بمدينة فاس بالمغرب؛ لأن أجداده الكرام انتقلوا أيام الحجّاج إليها حين أكثر القتل في الشرفاء، فلما بلغ سبع سنين، سمع أبوه قائلاً يقول: يا عليّ انتقل من هذه البلاد إلى مكة فإن لنا في ذلك شأنًا، وكان ذلك سنة ثلاث وستمائة.
قال الشريف حسن أخو السيد أحمد: فما زلنا ننـــزل على عربٍ، ونرحل على عربٍ، فيتلقونا بالترحيب والإكرام حتى وصلنا مكة في أربع سنين، فتلقانا شرفاءُ مكة كلهم وأكرمونا، ومكثنا عندهم في أرغد عيشٍ، حتى تُوفي والدنا سنة سبع وعشرين وستمائة، ودُفن بباب المعلاّ، وقبره هناك ظاهرٌ يُزار.
قال الشريف حسن: فأقمت أنا وأخوتي، وكان أحمد أصغرنا سنًّا، وأشجعنا قلبًا، وكان من كثرة ما يتلثم لقّبناه بالبدوي، فأقرأته القرآن في المكتب مع ولدي الحسين، ولم يكن في فرسان مكة أشجع منه، وكانوا يسمونه في مكة العطّاب، فلما حدث عليه حادث الوله تغيرت أحواله، واعتزل عن الناس فكان لا يكلّم الناس إلا إشارةً.
قال بعض العارفين: أنه حصلت له جمعية على الحق تبارك وتعالى فاستغرقته إلى الأبد، ولم يزل حاله يتزايد إلى عصرنا هذا.
ثم أنه في شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة رأى في منامه ثلاث مراتٍ قائلاً يقول له: قُم واطلب مطلع الشمس، فإذا وصلت مطلع الشمس فاطلب مغرب الشمس، وسر إلى طندتا: اي
=

طنطا؛ فإن بها مقامك أيها الفتى، فقام من منامه وشاور أهله، وسافر إلى العراق فتلقاه أشياخها: منهم السيد عبد القادر الكيلاني، والسيد أحمد الرفاعي بالترحيب والإكرام، وأن السيد أحمد رأى الهاتف في منامه يقول له: يا أحمد سر إلى طندتا، فإنك تقيم بها وتربي بها رجالاً وأبطالاً منهم: عبد العال، وعبد المجيد، وعبد الوهاب، وعبد المحسن، وعبد الرحمن، وكان في شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وستمائة، فدخل ﷺ مصر، ثم قصد طندتا فدخل على الحال مسرعًا إلى دار شخص من مشايخ البلد اسمه ابن شحيط، فقصد إلى سطوح غرفته، وكان طول ليله ونهاره واقفًا شاخصًا ببصره إلى السماء، وقد انقلب سواد عينيه بحمرة تتوقد كالجمر، وكان يمكث الأربعين يومًا وأكثر لا يأكل، ولا يشرب، ولا ينام، ثم نزل من السطح، وخرج إلى ناحية المنارة فتبعه الأطفال، وكان منهم: عبد العال، وعبد المجيد، فورمت عين السيد أحمد فطلب من عبد العال بيضة يعملها على عينه، فقال: وتعطيني الجريدة الخضراء التي معك، فقال له السيد أحمد: نعم؛ فأعطاها له فذهب إلى أمه، فقال لها: هنا بدوي عينه توجعه قد طلب مني بيضة، وأعطاني هذه الجريدة، فقالت: ما عندي شيء، فرجع وأخبر السيد أحمد فقال: اذهب فائتِ بواحدة من الصومعة، فرجع عبد العال فوجد الصومعة قد مُلئت بيضًا، فأخذ له واحدة منها، وخرج بها إليه، ثم أن عبد العال تبع السيد أحمد من ذلك اليوم، ولم تقدر أمه على تخليصه منه، وكانت تقول: يا بدوي الشوم علينا، فكان السيد أحمد يقول: لو قالت: يا بدوي الخير كان أصدق، ثم أرسل يقول لها: إنه ولدي من يوم قرن الثور، وكانت أم عبد العال قد وضعته في معلف الثور، فطأطأ الثور ليأكل فدخل قرنه في القماط، فشال عبد العال على قرنه، فهجَّ الثور به فلم يقدر أحدٌ على تخليصه، فمدَّ السيد أحمد يده وهو بالعراق، فخلَّصه من القرن فتذكرت أم عبد العال الواقعة، واعتقدت به من ذلك اليوم، فلم يزل السيد أحمد على السطوح مدة اثني عشر سنة.

وكان عبد العال يأتي إليه بالرجل أو الطفل فيطأطئ من السطوح فينظر إليه نظرة واحدة فيملأه مددًا، ويقول لعبد العال: اذهب به إلى بلد كذا وكذا أو موضع كذا، وكانوا يُسمون أصحاب السطوح.

وكان ﷺ لم يزل ملثمًا بلثامين، فاشتهى عبد المجيد يومًا رؤية وجه السيد أحمد، فقال: يا سيدي أريد أرى وجهك، فقال: يا عبد المجيد كل نظرة برجل، فقال: يا سيدي أرني لو مت فكشف له اللثام الفوقاني فصعق ومات في الحال. وكان ﷺ غليظ الساقين، طويل الذراعين، كبير الوجه، أكحل العينين، طويل القامة، قمحي اللون، وكان في وجهه ثلاث نقط جدري في خده اليمين واحدة، وفي الأيسر اثنتان، أقنى الأنف، على أنفه شامتان، من كل ناحية شامة سوداء أصغر من العدسة، وكان بين عينيه جرح موسى جرحه ولد أخيه الحسين بالأبطح حين كان بمكة، ولم يزل من حين كان صغيرًا بالثامين والفرزتين، ولما حفظ القرآن العظيم اشتغل بالعلم مدة على مذهب الإمام الشافعي ﷺ حتى حصل له حادث الوله، فترك ذلك الحال، وكان إذا لبس ثوبًا وعمامةً لا يخلعها لغسلٍ ولا غيره حتى تذوب فيبدلوها له بغيرها، والعمامة التي يلبسها الخليفة كل سنةٍ في المولد هي عمامة الشيخ أحمد بيده.

وسيدي إبراهيم الدسوقي[(١)].

وأما البشت الأحمر من لباس الشيخ عبد العال.

وكان ﷺ يقول: وعزة ربي سواقي تدور على البحر المحيط.

قال الشيخ محمد الشناوي: إن شخصًا أنكر حضور مولده فسُلب الإيمان، فلم يكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام، فاستغاث بالسيد أحمد، فقال: بشرط ألاَّ تعود، فقال: نعم، فردَّ عليه ثوب إيمانه، ثم قال له: وماذا تنكر؟ قال: اختلاط الرجال والنساء، فقال له السيد أحمد: ذلك واقعٌ في الطواف، ولم يمنع أحدٌ منه، ثم قال: وعزة الربوبية ما عصى أحد في مولده إلاَّ وتاب وحسنت توبته، وإذا كنت أرعى الوحوش في البراري، والسمك في البحار، وأحميهم من بعضهم بعضًا فيعجزني الله ﷻ عن حماية من يحضره مولدي.

ووقع ابن اللَّبان في حق السيد أحمد فسُلب القرآن والعلم والإيمان، فلم يزل يستغيث بالأولياء فلم يقدر أحدٌ يدخل في أمره، فدلوه على الشيخ ياقوت العرشي، فمضى إلى السيد أحمد وكلَّمه في القبر فأجابه، وقال: أنت أبو الفتيان رُدَّ على هذا المسكين رأس ماله، فقال: بشرط التوبة، فتاب ورد عليه رأسماله، وهذا كان سبب اعتقاد ابن اللبان في الشيخ ياقوت، وقد زوَّجه الشيخ ياقوت ابنته، ودُفن تحت رجليه بالقرافة.

وواقعة ابن دقيق العيد وامتحانه للسيد أحمد مشهورة، وهو أن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد أرسل إلى السيد أحمد الشيخ عبد العزيز الديريني، وقال له: امتحن لي هذا الرجل الذي اشتغل الناس بأمره عن هذه المسائل، فإن أجابك عنها فهو وليٌ لله تعالى، فمضى إليه وسأله عنها فأجابه عنها بأحسن جواب، وقال: هذه الأجوبة مسطرة في الكتاب الفلاني فوجدوها في الكتاب كما قال.

وكان الشيخ عبد العزيز إذا سُئل عن السيد أحمد قال: هو بحرٌ لا يُدرك له قرار، وإخباره ومجيئه من بلاد الفرنج، وإغاثة الناس من قطَّاع الطريق، وحيلولته بينهم وبين من استنجد به كثيرة لا تحويها الدفاتر.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: وقد شاهدت أنا بعيني سنة خمس وتسعمائة أسيرًا على منارة الشيخ عبد العال، مقيَّدًا مغلولاً، وهو مختبط العقل فسألته عن ذلك، فقال: بينما أنا في بلاد الفرنج آخر الليل توجَّهت إلى السيد أحمد، فإذا أنا به فأخذني وطار بي في الهواء فوضعني هنا، فمكث يومين ورأسه دائر عليه من شدَّة الخطفة.

تُوفي ﷺ سنة خمس وسبعين وستمائة ﷺ وقدس روحه، وأعاد علينا من بركته آمين.

(١) هو من أجلاَّء المشايخ المكرَّمين وصدور المقرَّبين، صاحب كرامات ظاهرة، ومقامات فاخرة، وسرائر زاهرة، وبصائر باهرة، وأحوال خارقة، وأنفاس صادقة، وهِمَمٌ عالية، ونفحات روحانيَّة، وأسرار ملكوتيَّة، ومحاضرات قدسيَّة، وله المعراج الأعلى في المعارف، والمنهاج الأسنى في الحقائق، والطُّور الأعلى في المعالي، والقدم الراسخ في أحوال النِّهايات، واليد البيضاء في علوم الموارد، والباع الطويل في التَّصريف النافذ، والكشف الخارق عن حقائق الآيات، والفتح

المضاعف في معنى المشاهدات، وهو أحد من أظهره الله ﷺ إلى الوجود، وأبرزه رحمةً للخلق، وأوقع له القبول التام عند الخاص والعام، وصرفه في العالم، ومكنه في أحكام الولاية، وقلب له الأعيان، وخرق له العادات وأنطقه بالمغيبات، وأظهر على يديه العجائب، وصوّمه في المهد، وكان يتكلّم بالعجمي والسّرياني، والعبراني، والزنجي، وسائر لغات الوحوش والطيور، وله كلامٌ كثيرٌ عالٍ على لسان أهل الطريق.

ومن كلامه: من لم يكن مجتهدًا في بدايته لا يفلح له مريد، فإنه إن نام نام مريده، وإن قام قام مريده، وإن أمر النّاس بالعبادة وهو بطّال، أو نهاهم عن الباطل وهو يفعله، ضحكوا عليه ولم يسمعوا منه.

وكان يقول: من لم يكن متشرّعًا متحقّقًا نظيفًا عفيفًا فليس من أولادي، ولو كان ابني الصلبي، وكل من كان من المريدين ملازمًا الشريعة، والحقيقة، والطريقة، والديانة، والضيافة، والزهد، والورع، وقلة الطمع فهو ولدي، وإن كان من أقصى البلاد.

وكان يقول: لا يكمل الفقير حتى يكون محبًّا لجميع الناس، مشفقًا عليهم، ساترًا لعوراتهم، فإن ادّعى الكمال وهو على خلاف ما ذكرناه فهو كاذبٌ.

وكان يقول: لا تنكروا على فقير حاله، ولا لباسه، ولا طعامه، ولا على أي حالة كان، ولا على أي ثوب يلبس، ولا ينبغي الإنكار على أحدٍ إلا إن ارتكب محظورًا صرّحت الشّريعة به، وذلك أن الإنكار يورث الوحشة، والوحشة تكون سببًا لانقطاع العبد عن ربه، فإن الناس خاص وعام، وخاص الخاص، ومبتدي ومنتهي، ومتشبّه ومتحقّق، ويرحم الله البعض بالبعض، أو القوي ما يقدر يمشي مع الضعيف وعكسه، والفقراء غيث وهم سيف، فإذا ضحك الفقير في وجه أحدكم فاحذروه، ولا تخالطوه إلا بالأدب.

وكان يقول: الشريعة أصل، والحقيقة فرع، فالشريعةُ جامعةٌ لكل علمٍ مشروعٍ، والحقيقة لكل علمٍ خفيٍّ، وجميع المقامات مندرجة فيهما.

وكان يقول: يجب على المريد أن يأخذ من العلم ما يجب عليه في تأدية فرضه ونفله، ولا يشتغل بالفصاحة والبلاغة، فإن ذلك شغلٌ له عن مراده، بل يفحص عن آثار الصالحين في العلم، ويواظب على الذّكر.

وكان يقول: يا أخي عليك بالعمل، وإياك وشقشقة اللسان بالكلام في الطريق دون التخلق بأخلاق أهلها.

«وقد كان رسول الله ﷺ يجوع حتى يشد الحجر على بطنه وقام حتى تفطرت قدماه»، ثم تبعه أكابر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين على ذلك.

وكان أبو بكر الصديق ﷺ إذا تنهّد يشم لكبده رائحة الكبد المشوي، وأنفق ماله في سبيل الله كله، وكان عمر ﷺ شديد العمل والكد حتى وقع دلقه بالجلود، ولف رأسه بقطعة حشيش، وكان عثمان ﷺ يختم القرآن قائمًا كل ليلةٍ على أقدامه، وكان عليٌّ ﷺ من زهاد الصحابة ومجاهديهم حتى فتح أكثر بلاد الإسلام. هؤلاء خواص الصحابة مع قربهم من رسول الله ﷺ، هذا

كان اجتهادهم وزهدهم، هذا كان جوعهم، فاعلموا يا أولادي الحقيقة والشريعة، ولا تفرطوا إن أردتم أن تكونوا يُقتدى بكم، وما سميت الحقيقة حقيقة إلا لكونها تحقق الأمور بالأعمال، وتنتج الحقائق من بحر الشريعة.

وكان يقول: ما دام لسانك يذوق الحرام، فلا تطمع أن تذوق شيئًا من الحكم والمعارف.

وكان يقول: إن أحبك ربك أحبك أهل السماء والأرض، وإن أطعته أطاع لك الجن والأنس، ويجف لك البحر والماء، ويطيع لك الهواء.

وكان يقول: يا ولدي عليك بالتخلُق بأخلاق الأولياء لتنال السعادة، وأما إذا أخذت ورقة الإجازة، وصرت كل من نازعك قلت هذه إجازتي بالمشيخة دون التخلق، فإن ذلك لا شيء إنما هو حظ نفس، لكن اقرأ الإجازة، واعلم بما فيها من الوصايا، وهناك تحصل على الفائدة، ويحصل لك الاصطفاء، وهذه طريقة مدارج الأولياء قرنًا بعد قرنٍ، و جيلاً بعد جيلٍ إلى آخر الدنيا.

وكان يقول: إذا اشتغل المريد بالفصاحة والبلاغة فقد تودّع منه في الطريق، وما اشتغل أحد بذلك وقطع به.

وأما حكايات الصالحين وصفاتهم فطالعتها للمريد جند من جنود الله تعالى، ما لم يقنع بها في الطريق.

وكان يقول: العلم كله مجموع في حرفين: أن يعرف العبد ربه، ويعبده، فمن فعل ذلك فقد أدرك الشريعة والحقيقة، وليس في هذا تعطيل للعلم، بل العمل أس العلم، وإنما قلنا ذلك من أجل قول الله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل:٢٠]. ولكل فرقة منهاج، وإلا فقد يجمع الله العلم والعمل في رجلٍ واحدٍ يفيد الناس كل الفوائد، فالشريعة هي الشجرة، والحقيقة هي الثمرة.

وكان يقول: يا ولدي إذا لم يحسن أحدكم أن يعامل مولاه فلا يقع في أحوال لا يدرِ بها، فإن القوم تارة يتكلمون بلسان التمزيق، وتارة بلسان التحقيق بحسب الحضرات التي يدخلونها، وأنت يا ولدي لم تذق من حالهم ولا تمزقت ولا دخلت حضرتهم، فمن أين لك أنهم على الضلال؟ أتعوم البحر ولست بعوّام؟ ثم إذا غرقت فقد مت ميتة جاهلية؛ لأنك ألقيت بنفسك للمهالك، والحق تبارك وتعالى قد حرّم عليك ذلك، بل الواجب عليك يا ولدي أن تطلب دعاء القوم وتلتمس بركاتهم، هذا إذا لم تجد قدرة على عملهم، فإن وجدت قدرة على ذلك سعد أبد الأبدين.

واعلم يا ولدي أن ألسن القوم إذا دخلوا الحضرات مختلفة في إشاراتهم وكلماتهم، منها ما يُفهم ومنها ما لا يُفهم، وكذلك من أحوالهم منها يُعبر عنه ومنها ما لا يُعبر عنه، وكذلك في أسرارهم ما لا يصل إليه مُؤوّل ولا معبّر ولا مطلع ولا مفسّر؛ لأن أسرارهم موضع سر الله تعالى، وقد عجز القوم عن معرفة أسرار الله تعالى في نفوسهم، فكيف في غيرهم! فيجب عليك يا ولدي التسليم لله تعالى في أمر القوم وحسن الظن بهم لا غير.

فإني ناصحٌ لك يا ولدي، وإذا رميت من يحبه الله تعالى بالزور والبهتان، وتجرأت على من قربه

وغيرهم من المشايخ حتى كان سيدي إبراهيم يقول: من لم يحبس نفسه في قمقم الشريعة، ويختم عليها بخاتم الحقيقة فليس هو مني، وأنا بريءٌ منه في الدنيا والآخرة.

وكان سيدي أحمد بن الرفاعي ﷺ يقول: أجمع أهل الطريق على أن كل حقيقةٍ ردَّتها الشريعة فهي زندقة، وقالوا: الشريعة هي أحكام العبودية، والحقيقة هي حقيقة

=

الله تعالى مقتك فلا تفلح بعد ذلك أبدًا، ولو كنت على عبادة الثقلين.

وكان يقول: مَنْ قام في الأسحار ولزم فيها الاستغفار كُشف له عن الأنوار، وأسقي من دن الدنو ومن خمر الخمار، وأطلعت في قلبه شموس المعاني والأقمار، فيا ولدي اعمل بما قلته لك تكن من المفلحين.

وكان يقول: ما قطع المريد ورده يومًا إلا قُطع عنه الإمداد ذلك اليوم، واعلم يا ولدي أن طريقتنا هذه طريق تحقيق وتصديق وجهد وعمل، وتنـــزُّه، وغضّ بصر، وطهارة يد وفرج ولسان، فمن خالف شيئًا من أفعالها رفضته، فلذلك آثروا العزلة إلا في صلاة الجماعة، وحضور مجالس العلم التي لا رياء فيها ولا جدال، ولا عجب ولا مدارة، والسلامة من هذه الأمور في زماننا هذا قلّ أن توجد، فعليك بالوحدة بعد معرفة ما أوجب الله تعالى عليك، فإنك يا ولدي في القرن السابع الذين أكثرهم يجعلون شريعة السالك قدح في الشريعة.

وحقيقة المحبّة بدعًا في الطريقة، كأنهم ما علموا قط عطاء لله تعالى، ومواهب مدد الله تعالى، وخوارق عجائبه، بل رأوا من سوء حالهم أن باب العطاء قد غُلق، فمن اعتقد ذلك فإنما هو معترضٌ على الله تعالى في فعله، ونعوذ بالله من التعرض، فإنه لا بدَّ لأهل حضرته تعالى من التمييز عن المعرضين عنها؛ ليشتاق المعرضون عنها حين يرون الخوارق تقع على يد أوليائه، فما أجهل من جهل قدر الفقراء، وما أعماه أيش يُقال في قوم كلهم طالبين الله تعالى: أينكر عليهم مسلم؟ كلا والله.

وقد قيل للجنيد: قومًا يتواجدون ويتمايلون، قال: دعهم مع الله يفرحون ولا تنكر إلا لعصيان المفرح به في الشريعة، أما هؤلاء القوم فقد قطعت الطريق أكبادهم، ومزّق التعب والنصب أجسادهم، وضاقوا ذرعًا فلا حرج عليهم، إذا تنفّسوا مداواة لحالهم، ولو ذقت يا أخي مذاقهم لعذرتهم في صياغتهم، وشق ثيابهم، فالله يلهمكم يا أولادي سلوك طريق الرشاد إنه سميعٌ مجيبٌ، وهو السيد إبراهيم بن أبي المجد بن قريش بن أبي طنجا بن زين العابدين بن عبد الخالق بن محمد بن أبي الطيب بن عبد الله الكاتم بن عبد الخالق بن أبي القاسم بن جعفر الزكي بن عليّ بن محمد الجوَّاد بن عليّ الرِّضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين السبط بن عليّ ابن أبي طالب الهاشمي القرشي، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

تفقّه على مذهب الإمام الشافعي ﷺ، ثم اقتفى أثر السادة الصوفية، وجلس في مرتبة الشيخوخة، وحمل الراية البيضاء، وعاش من العمر ثلاثة وأربعين سنة، ولم يغفل قط عن المجاهدة للنفس والهوى والشيطان، حتى مات سنة تسع وسبعين وستمائة ﷺ.

العبودية.

وكان أبو القاسم الجنيد رحمه الله[1] يقول: طريقتنا هذه مشيَّدةٌ بالكتاب والسُّنَّة،

---

(١) هو الولي الكامل العارف بالله تعالى أبو القاسم بن محمد الجنيد سيد الطائفة رضي الله عنهم.

قال عنه الشيخ الأكبر ﷺ: هو سيِّد الطائفة، وكان من الفقهاء المعتقدين الشافعية، تفقه على أبي ثور، وكان يفتي بحضرته وهو ابن عشرين سنةً، لم تزل أعناق الفريقين له خاضعة، وعلى تبجيله مجتمعة.

أخذ التصوف عن خاله السري السقطي والحارث المحاسبي رضي الله عنهما، وتحدَّث عن ذلك قائلاً: قال لي شيخي السري: إذا قمت من عندي فمن تجالس؟ فقلت: المحاسبي. قال: نعم، خذ من علمه وأدبه، ودع عنك تشقيقه للكلام ورده على المتكلمين. ثم لما وليت سمعته يقول: جعلك الله صاحب حديث صوفيًا، ولا جعلك صوفيًا صاحب حديث اهـ.

قال الشيخ الأكبر ﷺ: يريد أنه نتيجةٌ عن العمل عليهما، وهما الشاهدان العدلان.

وله ﷺ في طريق القوم أقوالٌ كثيرةٌ، ومنها: علمنا هذا مضبوطٌ بالكتاب والسنة، ومن لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يُقتدى به.

وقال: رضوان الله على أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معانٍ كثيرةً.

ذاك امرؤ أُعطي علمًا لدنيًّا، والعلم اللدني هو العلم الذي خُصَّ به الخضر ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥].

وقال: أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الله في ميدان فكر التوحيد.

وقال: لو أن العلم الذي أتكلم به من عندي لفني؛ ولكنه من الحق بدأ، وإلى الحق يعود.

وقال: لو علمت علمًا تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم لسعيت إليه وإلى أهله.

وقال: المعرفة هي تعظيم الحق عن الإحاطة، وإجلاله عن الدرك.

وقال: آخر مقام العارف الحرية.

وقال: من عرف الله كلَّ لسانه.

وقال: العارف من نطق الحق عن سرِّه وهو ساكتٌ.

وقال: المعرفة أن تعلم أن ما تصور في قلبك فالله بخلافه، فيالها من حيرة! لا له حظٌّ من أحد ولا لأحد منه حظٌّ، وإنما وجودٌ يتردد بيْنَ في العدم، لا تتهيأ العبارة عنه؛ لأن المخلوق مسبوقٌ، والمسبوقُ غير محيط بالسابق.

وقال: المعرفة وجودُ جهلك مع قيام علمه.

فقيل له: زدنا أيضًا. فقال: هو العارف وهو المعروف.

وقال: التصديق بعلمنا ولايةٌ اهـ.

وانتقل ﷺ إلى الحياة البرزخية في آخر ساعة من الجمعة سنة سبع وتسعين ومائتين ببغداد، ودُفن بالشونيزية عند خاله سري السقطي، نفعنا الله به في الدارين، آمين.

فمن لم يفهم القرآن والحديث لا يجوز الاقتداء به عندنا.

وكان يقول: إذا رأيتم شخصًا قد ترفع في الهوى فلا تلتفتوا إليه حتى تنظروا حاله عند الأمر والنهي.

وكان يقول: من ادَّعى أن أحدًا من أهل الله وصل إلى حالةٍ يسقط عنه فيها أحكام الشريعة مع عقله فهو كاذبٌ، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من هذا. انتهى.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله[1] يقول: ما وصل أحدٌ إلى درج الحقيقة إلا

---

(١) هو الولي الكامل العارف بالله تعالى سيدي عليٌّ الخوّاص البرلسي، شيخ المصنّف رضي الله عنهما، وقد ترجمه في «الطبقات» قائلاً: كان ﷺ أميًّا لا يكتب ولا يقرأ، وكان يتكلم على معاني القرآن العظيم والسنة المشرفة كلامًا نفيسًا، تحيّر فيه العلماء، وكان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو والإثبات، فكان إذا قال قولاً لا بدَّ أن يقع على الصفة التي قالها، وكنت أُرسِل له الناس يشاورونه عن أحوالهم، فما كان قطُّ يحوجهم إلى الكلام، بل كان يخبر الشخص بواقعته التي أتى لأجلها قبل أن يتكلم، فيقول: طلِّق، مثلاً، أو شارك، أو فارق، أو اصبر، أو سافر، أو لا تسافر، فيتحير الشخص، ويقول: من أعلم هذا بأمري اهـ.

وقال: وكان يعامل الناس على حسب ما في قلوبهم، لا على حسب ما في وجوههم.

قال: وله كلامٌ نفيسٌ، رقمنا غالبه في كتابنا المسمى بـ«**الجواهر والدرر**»، كل جوابٍ منه يعجز عنه فحول العلماء، حتى تعجب من كتب عليه من العلماء: كسيدي شهاب الدين الفتوحي الحنبلي ﷺ، وسيدي شهاب الدين بن الشبلي ﷺ، وسيدي ناصر الدين اللقاني المالكي ﷺ، والشيخ شهاب الدين الرافعي ﷺ.

وقال الشيخ شهاب الدين الفتوحي ﷺ: لي سبعون سنةً أخدم العلم، فما أظن قطُّ أنه خطر على بالي لا السؤال ولا الجواب من هذا الكتاب: يعني «**الجواهر والدرر**» اهـ.

ونقل الشيخ الشعراني من أقواله الكثير، وإليك قبسٌ منها:

قال: لا يسمى عالمًا عندنا إلا من علمه غير مستفادٍ من نقلٍ أو صدرٍ، بأن يكون خضريَّ المقام، وأما غير هذا فإنما هو حاكٍ لعلم غيره فقط، فله أجر من حَمَلَ العلم حتى أدّاه، لا أجر العالم، والله لا يضيع أجر المحسنين.

وقال: من أراد أن يعرف مرتبته من العلم يقينًا لا شكَّ فيه فليردَّ كل قولٍ حفظه إلى قائله، وينظر بعد ذلك إلى علمه، فما وجد معه فهو علمه، وأظن ألا يبقى معه إلا شيءٌ يسيرٌ لا يُسمَّى به عالمًا.

وقال: لا يصير الرجل عندنا معدودًا من أهل الطريق إلا إن كان عالمًا بالشريعة المطهَّرة: مجملها ومبيَّنها، ناسخها ومنسوخها، خاصِّها وعامِّها، ومن جهِلَ حكمًا واحدًا منها سقط عن درجة الرجال.

فقلت له: إن غالب مسلكي هذا الزمان ساقطون عن درجة الرجال. فقال: نعم؛ إن هؤلاء يرشدون الناس إلى بعض أمور دينهم، وأما المسلِّك فهو لو انفرد في جميع الوجود =

لكفى الناس كلهم من العلم، في سائر ما يطلبونه.

وقال: من علامة العلم الإلهي أن مجه العقول، ولا تقبله إلا بالإيمان فقط.

وقال: أكمل الإيمان ما كان عن تجلٍ إلهيٍ؛ لأنه حينئذٍ على صورة إيمان الرسل عليهم الصلاة والسلام، ودونه ما كان عن دليلٍ، فلما عَلِمَ الصحابةُ أن إيمان الرسل لا يكون عن دليلٍ لم يسألوا رسول الله ﷺ عن حقيقة إيمانه، وذلك لأن حقيقة الرسالة تقتضي أن لا دليل عليها، وأن الرسل مع الحق في التوحيد العام كنحن معهم؛ إذ هم مأمورون كما نحن مأمورون؛ إذ هم مقلِّدون للحق، ونحن مقلِّدون لهم.

وقال: من تحقق برتبة الإيمان عَلِمَ أن جميع المراتب تصحب رتبة الإيمان، كمصاحبة الواحد لمراتب الأعداد الكلية والجزئية؛ إذ هو أصلها الذي بنيت عليه فروعها وثمارها.

وقال: إذا كَمُلَ توحيد العبد لا يصحُّ له أن يرأس على أحد من المخلوقين؛ لأنه يرى الوجود لله.

وقال: لا يَصْحَب كمال الإسلام اعتراضٌ، ولا يصحب كمال الإيمان تأويلٌ، ولا يصحب كمال الإنسان سوء أدبٍ، ولا يصحب المعرفة همّةٌ، ولا يصحب الإخلاص في العمل لذّةٌ، ولا يصحب العلم جهلٌ.

وقال: ما ثَمَّ في الفرق الإسلامية أسوأ حالاً من المتكلمين في الذات بعقلهم القاصر؛ فإن الله ﷻ قد تنـــزَّه في حمى عزته عن أن يُدرَك أو يُعلَم بأوصاف خلقه، عقلاً كان أو علمًا، روحًا كان أو سرًّا، وذلك أن الله ما جعل الحواس الظاهرة والباطنة إلا طريقًا إلى معرفة المحسوسات لا غير؛ والعقل بلا شك منها؛ فلا يُدرِك الحق تعالى به؛ لأن الحق ليس بمحسوسٍ ولا معلومٍ معقولٍ.

وقال: العلم والمعرفة والإدراك والفهم والتمييز من أوصاف العقل، والسمع والبصر والحاسة والذوق والشم والشهوة والغضب من أوصاف النفس، والتذكُّر والمحبّة والتسليم والانقياد والصبر من أوصاف الروح، والفطرة والإيمان والسعادة والهدى واليقين من أوصاف السرّ، والعقل والنفس والروح والسر المجموع أوصافٌ للمعنى المسمَّى بالإنسان، وهي حقيقةٌ واحدةٌ غير متميزة، وهذه الحقيقة وأوصافها روح هذا القالب المتحرك المتميز، والجميع روح صورة هذا القالب، والمجموع من الجميع روح جميع العالم. انتهى.

قال المصنف بعد ذكر هذا التفصيل: وهذا كلامٌ ما سمعته قطُّ من عارفٍ، ولا رأيته مسطورًا في كتابٍ، وهو دليلٌ على علوِّ مقام شيخنا في المعرفة اهـــ.

قلت: وهذا هو الشأن في جميع علوم القوم رضي الله عنهم؛ فهم كما قال مظهر صفاتهم أبو يزيد قُدِّسَ سرُّه مخاطبًا لمن سواهم: أخذتم علمكم ميتٌ عن ميتٍ، وأخذنا علمنا عن الحيِّ الذي لا يموت.

فإذا تأمّلت كلامهم في الحقائق فإن فهمتَ لا تشكُّ لحظةً أن تلك العلوم تعجز العقول عن أن تأتي بمثلها، وإن لم تفهم أيقنت أن لهذا الكـــلام صولةً ليست بصولة باطلٍ، وإلا فكـــنا أرباب عقولٍ، فلما لَم نتكـــلم علـــى أســـرار الكـــتاب والســـنة كمـــا تكلّموا؟! ولما لَم نـــؤلّف في التجليات والمواقف والحقيقة المحمدية كما ألّفوا، ولا يستطيع من سواهم أن يقول: (أوقفني

وجب عليه التقيُّد بحقوق العبودية وحقيقتها، وصار مطالبًا بآدابٍ كثيرةٍ ليس هي على غيره.

وكان أخي أفضل الدين رحمه الله[1] يقول: كل من خلع من عنقه رقبة التكليف فقد خامر باطنه الزيغ والتحريف.

وكان يقول: كل من ادَّعى أنه أخلص مع الله ضميره وقال رتبته في الحقيقة تنـــزَّه بها عن الحاجة إلى التقييد بظاهر الشريعة، والوقوف على حد مراسمها، وجعل التقيُّد بالشريعة إنما هو للعوام المنحصرين في ضيق الاقتداء؛ فاعلموا أنه مفتونٌ في دينه، وهو من أهل الإلحاد والزندقة، فإيَّاكم أن تصحبوا مثل هذا وتعتقدوه؛ فإن ظلمة أنفاسه سمٌّ قاتلٌ لقلوب المرتدين، أو لا يعلم هذا المغرور أن الشريعة هي ظاهر لب حقيقتها، ولا تربو الحبة وتثمر وتنعقد إلا بالاستمداد من ظاهر الظاهر، وأطال في ذلك.

قال: والضابط في تمييز الصادقين عن بيان الكاذبين إقامة الأعمال كلها على قانون الشريعة، ومتابعتهم لآدابها، والتأدب بآداب أهل الطريقة على وفق سير المشايخ من السلف الصالحين. انتهى.

فاعرض يا أخي ما ذكرته من أحوال الصادقين من المريدين والأشياخ تعرف حال أهل زمانك، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا كان أحدهم من أولاد المشايخ أن يطلب له شيخًا يربيه، ولا يكتفي بالعيشة في حس والده، فإن الولاية والمشيخة المعروفة ما هي بالآباء والجدود، وإنما هي موهبةٌ من الله على يد الأشياخ غالبًا، كما درج عليه السلف الصالحون كلهم، خلاف ما عليه أولاد المشايخ في هذا الزمان، فيكتفي أحدهم بكونه ابن سيدي الشيخ، ولا يطلب أن يكون شيخًا مثل والده في الدين والمجاهدة والرياضة، وذلك دليل على دناءة همتهم.

الحق، وقال لي)، ولا (تجلى لي)، ولا (رأيته ﷺ في المشهد الأسمى والمستوى الأزهى)، ولا غير ذلك، مما يُبهر القلوب، ويُفرح الأرواح، ويُعجز العقول، فإن أعلمت فاستمسك؛ وإلا سلِّم تسلمْ، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

(١) هو الشيخ القدوة العارف سيدي أبو الفضل الأحمدي. تلقى عن سيدي علي الخواص وعن الشيخ بركات وكان أخاً للمؤلف في الطريق، ووقع لهما اتحاد لم يقع له قط مع غيره. قال عنه رضي الله عنهما: لو أخذ يتكلم في أفراد الوجود لضاقت الدفاتر توفي في بدر في بعد الحج ودفن هناك ﷺ سنة ٩٤٢ هجرية.

وقد كان سيدي يوسف العجمي[١] **رحمه الله تعالى يقول:** لا ينبغي للشيخ أن يأخذ العهد على أولاد المشايخ المتمشيخين بالآباء والجدود إلا بعد ظهور أمارات صدقهم في طلب الطريق على وجه المجاهدة والرياضة: أي فإن أحدهم ربما كان يعتقد أن ولد الشيخ شيخٌ، كما حكى لي ذلك شيخي الشيخ محمد الشناوي رحمه الله[٢].

ولقد مكثت نحو عشرين سنة وأنا أعتقد أن ولد الشيخ شيخ بالخاصية، إلى أن جمعني الله تعالى على شيخي الشيخ محمد السروي رحمه الله تعالى[٣]

وسمعته رضي الله عنه أيضًا يقول: لا تتعبوا أنفسكم في تسليك المتمشيخين بالآباء والجدود إلا أن ينسلخوا من جميع الدعاوى، فإن أحدهم يفتح عينه على تعظيم جماعة والده له فيقول: قد صرت شيخًا كوالدي، فيكون التعب في مثل هذا ضائعٌ، لاسيما أولاد شيخ الإنسان؛ فإن نفوسهم لا تكاد تنكبس لأن يأخذوا الطريق عن تلميذ والدهم الذي أذن له والدهم أبدًا، ولو بلغ في المقامات أقصى المراتب.

ويقولون: إن هذا ما اكتسب الشرف إلا منا، فيرون نفوسهم عليه، ولا يكاد أحد منهم يرى نفسه دونه أبدًا.

---

(١) هو الشيخ يوسف العجمي الكوراني، قال عنه المصنف: هو أول من أحيا طريقة الشيخ الجنيد بمصر، وكان له مريدون كثيرون، وعدة زوايا، توفي ٧٦٨ هـ.

(٢) قال الإمام الشعراني: هو شيخي وقدوتي، كان من الأولياء الراسخين في العلم أهل الإنصاف والأدب في أولاد الفقراء، وفُقد ذلك كله بعد الشناوي.. وانظر: الطبقات الكبرى (٢/١٢٠).

(٣) هو شمس الدين محمد السروي المشهور بابن أبي الحمائل، قال المناوي في طبقاته: العارف الكبير الكامل الغيث الجامع الشامل زاهد قطف كروم الكرامات وعارف وصل إلى أعلى المقامات، كان طودًا عظيمًا في الولاية وملجأً وملاذًا لطالب الهداية، وكان عالي الهمة كثير الطيران من بلدٍ لآخر، وكان يغلب عليه الحال ليلاً فيتكلم بألسنةٍ غير عربية: من عجم وهند ونوبة وغيرها؛ وربما قال: قاق قاق طول الليل ويزعق ويخاطب قومًا لا يرون، وإذا قال شيئًا في غلبة الحال نفذ، وكان مبتلًى بالأذى من زوجته مع قدرته على إهلاكها، وربما أدخل فقيرًا الخلوة فتخرجه قبل تمام المدة، وتقول له قال لك فلان أنا ما أعمل شيخًا فلا يتكلم، وقدم مصر فسكن الزاوية الحمراء ثم زاوية إبراهيم المواهبي وبها مات. ومن كراماته أنه شكا له أهل بلدٍ كثيرَ الفأر في مقات البطيخ، فقال لرجلٍ ناد في الغيط: رسم لكم محمد بن أبي الحمائل أن ترحلوا، فلم يبق فيها فأرٌ، فسأله أهل بلدٍ آخر في ذلك، فقال الأصل الإذن ولم يفعل، وكان إذا اشتد به الحال في مجلس الذكر يحمل الرجلين وأكثر، ويحمل البغار الذي يسع ثلاثة قناطير ويجري بذلك. قال الشعراوي: لقنني الذكر وأنا صغير سنة اثنتي عشرة وتسعمائة، ومات بمصر في ٩٣٢ هـ، ودفن بزاويته بين السورين. وانظر: شذرات الذهب (٨/١٨٧)، والكواكب الدرية للمناوي (٨٤٦).

قال: وإن كاد ولا بدَّ له من تسليكهم فلينصحهم بقوله: كان والدكم يربي المريدين بكذا وكذا، فلعلهم يصغوا إلى قول والدهم.

فاعلم ذلك يا أخي، واعرضه على مدّعي الطريق من أولاد مشايخ عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا أراد أحدهم أن يدخل في الطريق على يد شيخٍ أن يسأل من فضل شيخه أن يذكر له ما يجب على المريد إذا دخل في صحبة الشيخ؛ ليعرض ذلك على نفسه؛ خوفًا من الدخول في صحبته بالجهل فيسرع إليه العطب.

وهذا من باب التعظيم لطريق أهل الله، والاحتياط للنفس، ويؤيد ذلك أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: ((**يا رسول الله، ما حق الزوج على المرأة؟ فقال لها: من حق الزوج على المرأة أن لو سال من منخره دم وقيح فلحسته بلسانها لم تؤدِّ حقه..**))، إلى آخر ما قال ﷺ، فقالت: ((والذي بعثك بالحق نبيًّا لا أتزوج ما بقيت الدنيا[1]))، انتهى.

فمن شرط الشيخ على المريد: أن يعتقد فيه أنه عارفٌ بالكتاب والسُّنة، عارفٌ بميزان الخواطر النفسية والشيطانية والملكية والرحمانية، عارفٌ بالأصل الذي تنبعث منه هذه الخواطر من حضرات الأسماء الإلهية، عارفٌ بالعلل والأمراض المعوقة عن صحة الوصول إلى عين الحقيقة، عارفٌ بأمزجة المريدين؛ ليعطي كل إنسانٍ من العمل والطعام وغيرهما ما يقدر عليه، عارفٌ بالعلائق الخارجة عن أعمال الطريق، كالميل إلى الوالدين والأولاد والزوجة، والأموال والرئاسة، له قدرة على جذب المريد واستخلاصه من أفمام الشياطين وأيدي العوائق بواسطة رغبة المريد في طريق الله، وإلا فلا يقدر شيخ على استخلاصه من يد من ذكر أبدًا، ولو كان من أكبر الأولياء.

فإذا سمع مريد بهذه الصفات، وعرضها على أحدٍ من مشايخ عصره فوجدها مجموعة فيه وجب عليه الانقياد له، والعمل بكل ما يأمره به بانشراح صدر، ولو شق ذلك عليه.

ومأمورات الشيخ لا تنحصر، ولكن نذكر للمريد منها طرفًا صالحًا تأنيسًا له، وليعلم أن الشيخ لم يبتدع له ما حجر عليه، وإنما هو تابعٌ في ذلك أشياخ الطريق الذين سلفوا، ولو أن الشيخ ترك ذلك ورخص للمريد لعصى ربه ﷻ، وكان من جملة الغاشين في

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٨/٢٥٩) بنحوه.

الطريق.

إذا علمت ذلك:

فمن شروط الشيخ الذي يجب عليه أن يأمر بها المريد أو ينهاه: ألا يتركه يبرح من منـــزله أو زاويته إلا لضرورة أو حاجة يوجهه فيها.

ومن شروطه: أن يعاقب للمريد على كل هفوةٍ تصدر منه ولو سهوًا ونسيانًا، ولا سبيل إلى الصفح عنه في زلةٍ وقع فيها البتة، وإن وقع أنه صفح فهو إمام غاشٌ لرعيته غير قائمٍ بحرمة ربه، مخلٌ بحق المقام الذي هو فيه، وقد قال ﷺ: ((**مَنْ أبدى لنا صفحته أقمنا عليه الحدود**[1])).

وكان يهجر على الكذبة الواحدة الشهرين أو الثلاثة نصحًا لذلك الكاذب، ونصرةً لشريعة ربه ﷻ.

ومما يجب على الشيخ أيضًا: أن يشترط على المريد ألا يكتمه شيئًا مما يخطر له في نفسه ويستقر فيها، أو شيئًا يطرأ عليه في حاله، ومتى لم يكن الطبيب يميز أعيان الأعشاب كلها والعقاقير ويعرف تركيبة الأدوية فهو ممن يسرع بهلاك المريض، فإن العلم من غير معرفة العين لا يفيد، فلا بدَّ من معرفة التمييز، ألا ترى أنه لو كان للعشاب غرضٌ في إهلاك المريض، وقلده الطبيب في تلك الأعشاب من غير أن يعرفها من خارج ووصفها للمريض أهلكه، وأثم الطبيب والعشاب؛ فإنه كان من الواجب على الطبيب ألا يداوي المريض إلا بما يعرف عينه وشخصه، وكذلك الشيخ إذا لم يكن صاحب ذوق، وأخذ الطريق من بطون الكتب وأفواه الرجال، وجلس يربي بذلك المريدين طلبًا للرئاسة فهو مهلكٌ لمن تبعه؛ لجهله بمورد الطالب وصدره.

وقد أجمع القوم على أنه لا يجوز لأحدٍ أن يتصدر لمشيخه إلا أن يكون عنده دين الأنبياء وتدبير الأطباء وسياسة الملوك، وحينئذٍ يصح أن يُقال له: أستاذ.

ومما يجب على الشيخ أيضًا: المحاسبة للمريد على أنفاسه وحركاته، والمبالغة في التضييق عليه على قدر صدقه في اتِّباعه، فإن طريق القوم طريق شدة، ليس للرخاء والترخص فيها مدخل.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت:٦٩] فما جعل الله تعالى وضوح السبل إلا بعد المجاهدة، وحينئذٍ يكون السلوك عليها وهو سفرٌ بالأرواح،

(١) ذكره ابن حجر في تلخيص الحبير (٤/٦٦).

والسفر قطعة من العذاب، فلا يزال السالك في عذابٍ وتعبٍ حتى يلقى ربه ﷻ، فإن نظر إلى مقاومة نفسه من شهوات الدنيا عُذِّب، وإن نظر إلى عدم لقاء ربه عُذِّب، فأين الراحة؟

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ۝وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧، ٨] أي إذا فرغت من أمرٍ مشروعٍ متعبٍ فاشرع في أمرٍ آخر، ولا تترك الاشتغال بما يقربك إلينا لمحة واحدة، رغبة في وصولك إلى حضرتنا الخاصة بك، فأمره تعالى بمداومة السفر من غير فتورٍ عن ذلك، فافهم ذلك.

ومما يجب على الشيخ: زجر المريد إذا نازعه في فهم مسألة، بل إخراجه برجله من الحلقة وطرده؛ لأن علوم أهل الطريق لا تقبل المنازعة كطريق غيرهم؛ فإنها وراثة نبوية، فلا تُذكر إلا للمؤمنين بها، وقد كان النبي ﷺ يقول إذا تنوزع عنده: ((**لا ينبغي عندي التنازع**[1]))، انتهى.

وإيضاح ذلك أن المعارف الإلهية والإشارات اللطيفة الربانية خارجة عن المدارك: أي من حيث كون العقول ناظرة وباحثة، لا من حيث كونها قابلة، فلم يبقَ فيها إلا الكشف الصحيح؛ لأنه إخبار عن حقائق الأشياء كما هي عليه في نفسها، فهو كالنص الصريح، ومن كان يخبر عمَّا يعاين ويشاهد فلا يجوز للسامع أن ينازعه فيما أتى به، بل يجب عليه التصديق إن كان مريدًا، أو التسليم إن كان أجنبيًّا.

وقد أجمع الشيوخ على أنه لا ينبغي للمريد أن يتكلم بأحوال الطريق إلا فيما شاهده وعاينه، وأن الصمت عليه في حضرة شيخه واجبٌ، والكلام عليه حرامٌ، والنظر عليه في الأدلة والمعارضة لكلام شيخه محظورٌ، وكل شيخ ترك مريده يبحث ويستدل عليه فهو ساعٍ في هلاكه وحجابه وطرده عن حضرة ربه.

فالأولى بالشيخ إذا رأى المريد يجنح إلى استعمال عقله بالنظريات أن يطرده حضرته؛ لئلا يفسد عليه بقية أصحابه، فإن المريدين لله تعالى حور مقصورات في خيام شيخهم.

واعلم يا أخي أن طريق الصوفية هو الصراط المستقيم، وهو أجلُّ الطرق وأسناها، فإن الطرق تشرف وتتضح بحسب غايتها، وهذا الطريق غايته معرفة الحق جلَّ وعلا، ومعرفة الآداب المتعلقة بحضرته، ومعلوم أن معرفة الحق أشرف العلوم، كما أن معروفها أشرف وأعز في الوجود، فلذلك كان الطريق إلى معرفته أشرف الطرق وأفضلها، وكان

(١) رواه البخاري (١/٥٤).

الشيخ الدال عليه سيد الأدلاء وأكملهم وأعظمهم، والسالكون إليه أسعد السالكين وأنجاهم، فينبغي لكل من نصح نفسه ألا يسلك من الطرق سوى هذا الطريق؛ لارتباطه بالسعادة الأبدية، فإنه حاوٍ لعلم الشريعة والحقيقة، والعارف به هو الحقيق بمقام الشياخة والوراثة النبوية الكاملة، ومن حصل فيه قيل له: الشيخ والوارث والأستاذ إن كان تابعًا، والنبي إن كان في زمن النبوة.

وقد جعل الله تعالى جبريل عليه السلام في صورة مقام الأستاذ للأنبياء؛ تعليمًا لنا، وإرشادًا لاتخاذنا الواسطة بيننا وبين الله تعالى، ولا يقنع بما يلقيه الله تعالى إلى قلوبنا من الوجه الخاص الذي بيننا وبين ربنا، فكان الأنبياء في مقام المتعلمين من أشياخهم، وأشياخنا في مقام المتعلمين من نبينا محمد ﷺ، فهو الشيخ الحقيقي لنا ولأشياخنا، ونحن جميعًا تلامذته ﷺ.

ثم اعلم يا أخي أن هذا الطريق لما كان في مقام العزة والشرف حفَّت به الآفات من سائر الجهات، فلا يسلكه إلا شجاعٌ مقدامٌ على يد شيخ علاَّم، وحينئذ تقع الفائدة.

فعلى الشيخ أن يوفي حق تربيته، وعلى المريد أن يوفي حق طريقته بالسمع والطاعة، وليس مقام الشيوخة هو الغاية، بل الشيخ هو نفسه الطالب للمزيد من ربه على الدوام.

قال الله تبارك وتعالى تعالى لأشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]: أي بك لا بزيادة الأحكام التكليفية، فافهم وتأدَّب مع شيخك؛ فإنه نائبٌ لرسول الله ﷺ في هداية الأمة إلى الطريق التي جاء بها ﷺ، فيوقظ المؤمنين من نومة الجهالة، وينقذهم من شقاء صفات الحفرة النارية التي هم عليها.

قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]، والقرب على نوعين: قربٌ طينيٌّ، وقربٌ دينيٌّ، والمعتبر في الشرع القرب الديني.

قال ﷺ: ((**لا يتوارث أهل ملتين**[1]))، فلولا الدين ما ورث صاحب قرابة الطين شيئًا.

ثم لما كان الناس في الدين على حالين: مدَّعٍ وصادق، وطالب للآخرة، وطالب لله، انتدب الصوفية الناصحون للأمة، وبينوا المريدين ما في المقام من العلل، وبينوا لهم أن القرابة الصورية الطينية لا عبرة بها، وإنما النافع لهم الجمع بين القرابة الصورية والحقيقة، فيعمل أحدهم بالشريعة على وجه الحقيقة؛ ليخرج عن النفاق، ويكون ضميره مطابقًا

(١) رواه أبو داود (١٢٥/٣)، والترمذي (٤٢٤/٤)، والنسائي (٨٢/٤).

لأفعاله الظاهرة في الإيمان واليقين.

فاعلم ذلك يا أخي، واعرضه على مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

المبادرة إلى امتثال أمر شيخهم أو نهيه، فإن أذن أحدهم أن يأكل طعام الفقراء في الزاوية فعل، وإن نهاه عن ذلك فليس له أن يأكل منه ولو سرًّا، سواء كان ذلك في زاوية وقف، أو كان الفقراء فيها على ما يفتح الله تعالى عليهم به، وإن نهاه عن الاجتماع بأحدٍ من فقراء الزاوية أو غيره فليس له الاجتماع به لا سرًا ولا جهرًا، وإن حجبه عن مجالسته وجب عليه الانشراح لذلك.

وقد أجمعوا على أنه لا ينبغي للشيخ إن جالس تلامذته إلا لمصلحةٍ يعود نفعها عليهم، ومتى تركهم يجلسون معه بغير ضرورةٍ فقد أساء في حقِّهم.

وكان سيدي يوسف العجمي لا يجالس أصحابه إلا للمناقشة والتربية أو في قراءة الورد، وما عدا ذلك فلا يجتمع بهم، وكذلك بلغنا عن سيدي أحمد الزاهد، وسيدي مدين، وسيدي محمد الغمري وغيرهم.

فالشيخ فيما هو بصدده، والمريد فيما أمره به شيخه، وإذا منع الشيخ المريد من القرب منه في الليل وجب عليه الامتثال، ولا يجوز له التجسس على شيءٍ من حركاته وسكناته، من أكلٍ أو نومٍ أو طهارةٍ أو صلاةٍ أو غير ذلك؛ لأنه ربما نقصت حرمة الشيخ عنده إذا وقف على بعض أحواله، وذلك لجهله بأحوال الكُمَّل، ومتى هجر الشيخ المريد ولو بلا سببٍ فتكدر المريد من ذلك فقد خرج عن الطاعة، وإذا خرج عن الطاعة فقد خرج عن الطريق.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدَّعي الصدق من إخوانك تعرف حاله، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

احتمالهم الأذى في حق أنفسهم، دون احتمالهم ذلك في حق غيرهم من المسلمين، فإذا آذاهم شخصٌ وبالغ في إيذائهم احتملوه، ولم يصالحوه إلا لغرضٍ صحيحٍ شرعيٍّ، كأن يريد حمايته من الوقوع في الإثم، أو عدم تأذي إخوانك من الأذى، فإن من يحبك لا يكاد يحتمل ذمَّك ولا تنقيصك بين الناس، فمن ابتلي بشخصٍ ينقصه في المجالس، ويتأذى أصحابه بذلك فليسعى في مصالحته، دفع أذى عن المحسن له لا يضره لنفسه.

ثم إذا بلغ مبلغ الرجال فحينئذٍ يصير يرد عن نفسه من حيث أنها أمة الله، وهي وديعة له عنده، ولا حرج عليه في ذلك، بل هو مأمورٌ به، كما أوضحنا ذلك في كتاب ((الأخلاق الكبرى)).

فاعرض يا أخي ما قررناه في هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون أحدهم عونًا لشيخه على ما يريده من جميع نظام الذِّكر ومجلس العلم والمناقشة، وأن يحث كل واحدٍ أخاه على المواظبة على الحضور، ولا يعكس أحدهم ذلك وقتًا واحدًا، وإذا كان له ذلك اليوم حاجة خارج الزاوية مثلاً فليحصلها قبل وقت مجلس الذكر، ولا يترك الذكر ويسعى في تحصيلها؛ فإن ذلك معدودٌ من جملة مقت الله تعالى للعبد، بل عدَّ ذلك بعضهم من أكبر المقت، وقالوا: ما قدم عبدٌ أمر الدنيا على الآخرة إلا سقط من عين رعاية الله ﷻ، فليحذر المريد من تعكيس مجلس الذِّكر في الزاوية، أو يرسل أحدًا من الأولاد الحاضرين في المجلس في حاجةٍ، ويترك مجلس الذكر إلا أن تكون الحاجة تتعلق بعامة الفقراء لتحصيل الطعام، وآلة الطبخ لمطبخ الفقراء، ونحو ذلك.

أما الحاجة الخاصة لآحاد الفقراء فلا ينبغي إرسال أحد المجاورين أو غيرهم في حالة المجلس لحاجةٍ إلا بإذن الشيخ، والله إني لأرى المقت يلوح على الفقير إذا ترك مجلس الذكر وخرج لشيءٍ من أمور الدنيا، وربما واظب على الخروج من المجلس فاستحكم المقت فيه إلى أن يموت.

نسأل الله العفو والعافية، فاعرض يا أخي ما قررته لك في هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

الخوف على شيخهم من كل شيءٍ ينقص مقامه، لاسيما في المأكل والملابس، فإذا أرسل الشيخ أحدهم في حاجة بيع أو شراء فليحذر من البيع والشراء ممن يقع في الربا أو القمار، أو يغش في صنعته أو حرفته.

فإن شيخه إذا أكل من ذلك الطعام، أو لبس من ذلك اللباس الذي لا يتحذر صاحبه من الشبهات، نقص مقامه وحجبه عن طريق القوم، وإذا حُجب عن طريقهم انقطع إمداده للمريد وحرم النفع منه، فإذا رجعت منفعة على الشيخ إلى منفعة المريد، فإذا

أطعم شيخه شبهات فقد ضرَّ بحاله وحال شيخه، فيحتاج من يشتري الحاجة للشيخ أن يكون له الإشراف على مقامه؛ ليشتري له ما يناسب مقامه في الأكل أو اللبس، وإلا أطعم الشيخ الحرام المحض.

فإن الحلال بالنسبة لقومٍ ربما يكون حرامًا بالنسبة لمقام قومٍ آخرين من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وقالوا: ينبغي للمريد إذا اشترى للشيخ ألا يطلب من البائع مسامحة الشيخ بشيءٍ من المشترى، فيجعل له المنَّة على الشيخ.

فإن فهمت ذلك عرفت معنى قوله تعالى لمحمدٍ ﷺ: ﴿**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [الأنعام:١١٦]: أي لأن أكثر من في الأرض لم يصلوا إلى مقامك ولو شرفوا عليك، فلا يأمرونك إلا بفعل ما هو نازلٌ عن مقامك الأسنى، وإذا أطعتهم في ذلك فقد أضلوك عن مقامك اللائق بك ضرورة المكني عنه بسبيل الله: أي الخاص بك الذي لا يصل إليه غيرك، بخلاف طاعته ﷺ.

فالخواص الذين أشرفوا على مقامه المشار إليهم بغير الأكثر فإنهم ربما يكونوا يضلوا ﷺ عن مقامه الكريم، فعلم أنه ليس المراد بالإضلال عن سبيل الله ما يخالف الهدى كضلال الكفار؛ لأنه ﷺ معصومٌ عن مثل ذلك بالإجماع، وإنما المراد ضلال عن فعل ما هو الأولى في حقه ﷺ ونحو ذلك.

وهذا الضلال هو المراد أيضًا بقوله تعالى لداود عليه السلام: ﴿**وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [ص:٢٦]: أي سبيل الله الخاص بمقامك أنت فقط، وإلا فهو ﷺ معصومٌ كذلك عن الضلال المشهور بين العامة.

وبالجملة: فلا ينبغي أن يتكلم عن أحوال الأنبياء في تأديبات الحق لهم إلا من حقَّ له قدم الوراثة، وإلا يخاف عليه الخطأ، وهذا الذي ذكرناه من الجواب من جملة العلم الموروث عن نبينا وعن داود عليه السلام، وهو طريقٌ واضحٌ لا إشكال فيه.

فعلم أن كل من ادَّعى محبة الطريق ولم يخف على شيخه مما ينقص مقامه فهو كذابٌ على الطريق.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدَّعي الصدق من مريدي عصرك تعرف حاله على ما ذكرناه، ولعل ذلك المعنى الذي لم يخطر على باله جملة، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يفرح أحدهم بجفاء شيخه له، لاسيما إن أمر النقيب ألا يعطيه من خبز الزاوية وطعامهم، ومتى تكدر من ذلك في سره فقد نقض عهده مع الشيخ، وخرج عن سياج طاعته، ووجب عليه تجديد العهد ثانيًا كما أجمع عليه مشايخ الطريق، ويكون على علم الإخوان، حفظهم الله ولطف بهم.

إن الشيخ من مرتبته ألا يدخل تحت تحجير المريد عليه، كما أن من مرتبته ألا يفعل بالمريد إلا ما هو الأصلح له، فما منع الشيخ النقيب أن يصرف لذلك المريد خبزًا أو طعامًا إلا مصلحةٍ له؛ ليربي له اليقين، ويبعده عن الاهتمام بالرزق، والركون إلى الأسباب، كما يفعل أهل الاهتمام مع ربهم، وقد أجمع القوم على أن من المحال أن يتربى للمريد يقين وشيخه ينفق عليه ويطعمه من سماط زاويته، وإنما يتربى اليقين للمريد بحرمانه من الأكل من كل معلومٍ، وجلوسه في كل موضعٍ لا يعرفه فيه أحد، كالخرائب البعيدة عن طرق الناس من غير اصطحاب طعام أو نقد، ثم يأمره الشيخ بالذِّكر على وجه الإخلاص، وليمده الشيخ بالهمَّة لا بالكلام؛ فإن ذلك يضر بالمريد.

فإن قعد المريد كذلك لا بدَّ أن يفتح الله تعالى عليه بشيءٍ يؤكل، أو بزيادة اليقين وزوال الاهتمام بالطعام كما جرب.

قلت: وقد وقع لي مثل ذلك في بدايتي، فكنت أجلس في البرج الذي فوق السور بالقرب من باب الفتوح بمصر المحروسة، حتى فاجئني اليقين، وسبقني إلى ذلك سيدي محمد بن عنان[1]، وسيدي حسن العراقي، المدفون فوق الكوم المطل على بركة الرطلي، فجلس كل واحدٍ منهما في موضع خراب لا يمر به أحدٌ، فسخَّر الله له الدنيا في صورة امرأة عجوز، تأتيه كل يومٍ بصحفة طعام ورغيفين، فكانا يعرفان أنها الدنيا، ويأخذان ذلك الطعام من الله لا من الكون. انتهى.

فاعرض يا أخي ما ذكرته لك على مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) قال الشيخ المصنف عنه: كان ﷺ من الزهَّاد العبَّاد، وما كنت أمثله وأحواله إلا بطاوس اليماني أو سفيان الثوري، وما رأيت في عصرنا مثله، وكان مشايخ العصر إذا حضروا عنده صاروا كالأطفال في حجر مربيهم، كان على قدمٍ في العبادة والصيام وقيام الليل من حين البلوغ، كان يضرب به المثل في قيام الليل وفي العفة والصيانة. وانظر: الطبقات الكبرى (٢/١٠٧).

ومن أخلاقهم:

إذا أحسَّ أحدهم بعلامات الكمال النسبي العادي في مقامات الطريق ألا يطمح بصر أحدهم إلى وقع الإذن من شيخه، بل يجب عليه الصبر حتى يكون شيخه هو البادئ له بذلك، ومتى طمح بصره لي الإذن من شيخه فقد نكص على عقبيه، وربما رجع إلى حالةٍ هي أدنى وأرذل من حالته التي كان عليها قبل دخوله الطريق عقوبةً له.

فإن المريد كلما قرب من الحضرة الإلهية كأنما نوقش، كما أنه إذا أبعد عنها سومح.

والقاعدة: أن كل من عظمت مرتبته كبرت صغيرته.

وقد سمعت سيدي عليًا المرصفي رحمه الله يقول: من نعم الله تعالى عليَّ لما قرب أوان فطامي أن نفسي لم تحدثني قط بأني أستحق الإذن لي من شيخي، ولذلك جزاني الله تعالى بالإذن من شيخي ابتداءً على لسان رسول الله ﷺ، ثم جاء الإذن له من ربه عن طريق الإلهام، وقال لي: يا علي، ما أذنت لك إلا بأمرٍ من رسول الله ﷺ، وبإذنٍ من الله ﷻ.

قال: ولما مات سيدي شيخي محمد ابن أخت سيدي مدين[1] تطاول جميع أصحابه للجلوس في مصر؛ لإرشاد المريدين، وكنت غائبًا في نواحي البلاد، فأرسل الإخون يشاورونني في ذلك.

فقلت: يجلس كل من معه إذن من الشيخ، وكل من ثبَّته الله تعالى ثبت، فجلسوا كلهم، ولم يثبت في مصر منهم إلا واحدٌ، والباقون أعوانٌ له. انتهى.

فكان الشيخ ﷺ هو الذي ثبت في مصر، وانتفع به الناس، فعلم أن الشيخ لا يحتاج إلى تنبيه على الإذن لمريده إذا أكمل حاله واستحقَّ الإعظام؛ لأنه يعلم أن الواجب عليه إذا رأى المريد قد استقل بحاله كملت تربيته، ودخل أوان فطامه، وأتاه الإذن له من رسول الله ﷺ، أو من ربه ﷻ من طريق الإلهام أن يأذن له، ويقطع عنه الإمداد من جهته، ويتركه مع ربه إن شاء أقعده، ولا حكم للشيخ بعد ذلك عليه.

قالوا: ولا يسع المريد إذا ساوى شيخه في المقام أو جاوزه إلا التأدب معه واحترامه دون الاقتداء به.

---

(١) هو الشيخ ابن عبد الدائم المديني، كانت له مجاهدات عظيمة، وظهر صدقه مع تلامذته، وتربى عنده العارف بالله السروي، والشيخ عين الغزال، والمرصفي، وكان ذا همة وشكل مهي، وقد أقبل عليه القوم، فطردهم عن طريق القلب، وصار يخرج وحده إلى السوق ليشتري حاجته بنفسه، ويحمل الخبز إلى الفرن بنفسه ويخدم نفسه إلى أن مات، ودفن بجوار سيدي مدين.

قال الشيخ محيي الدين رحمه الله: والذي تختاره البقاء على الاقتداء به حتى يموت شيخه، كما أنه إذا مات شيخه قبل أن يكمله يجب عليه أن يتخذ له شيخًا آخر، ولا يقل: ما بقي أحد يعجبني مثل شيخي، كما عليه غالب من يدَّعي الطريق من المريدين، فإن ذلك من صفات اليهود، فإنهم قالوا: ما بقي أحدٌ مثل موسى، ولا يأتي لنا أحدٌ مثله، فأدركوا زمن محمد ﷺ الذي هو أعلى مقامًا من موسى بالإجماع، فلم ينتفعوا به، فباءوا بالخسران المبين في الدنيا والآخرة. انتهى.

وهذا الأمر قد كثر في مريدي هذا الزمان، فيموت شيخهم قبل فطامه لهم، فلا ينقادون لأحدٍ بعده ولو كان أعلى مقامًا من شيخهم.

فاعلم ذلك، وإياك أن تتكدر ممن قال لك بعد شيخك: تكون تلميذًا لفلان، وتقول: إن فلانًا لم يعرف مقامي، ومن نصحك بحسب مقامه فلا تلوم عليه، بل ذلك واجب عليه، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يلازم أحدهم على فعل ما أذن له فيه شيخه، وأمره به من الأوراد، كحضور مجلس الذِّكر صباحًا ومساءً، أو ذكره وحده في الزاوية ليلاً ونهارًا، ولا يتوقف على حضور الشيخ مجلس الذكر صباحًا ومساءً في الزاوية؛ لأن ذكر الشيخ صار قلبيًا، وبأطول ما لازم الذِّكر صباحًا ومساءً مع الفقراء في المجلس أيام بدايته، حتى أعطاه الله تعالى حياة القلب، واستغنى عن حضور مثل ذلك المجلس بالذكر القلبي.

ومن قال: لا أواظب على مجلس الذكر إلا إن واظب عليه شيخي فهو أعمى القلب، سيء الأدب مع شيخه.

وقد منَّ الله عليَّ بجماعة يسمعونني ذكر الله ﷻ صباحًا ومساءً، ولا يحوجونني إلى الحضور معهم، رضي الله تعالى عنهم، وربما تلمحت من بعضهم كسلاً إن لم أخرج إليهم، فأتكلف بالخروج إليهم تقويةً لهممهم، وربما كنت تلك الليلة سهرانًا إلى الصباح، فأضجع في المجلس عجزًا عن الجلوس ولا أتخلف عنهم، فرضي الله عمن لم يحوج شيخه إلى ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

نسيان أحدهم الغداء أو العشاء أيام بدايته؛ لشدة اشتغاله بالله ﷻ، وكل مريد تذكر غداه أو عشاه إذا فات وقته في العادة فلا يرجى منه شيء في الطريق، وكذلك كل من وجد عنده فراغًا للذهاب إلى مواضع النـزهات كالبحر والبساتين فلا يجيء منه شيء.

وحُكي عن أبي بكر الشبلي رضي الله عنه[1] **أنه كان يقول:** مكثت ستة أيام بدايتي لا أتذكر غداء ولا عشاء إلا إن أحضروه بين يدي، وربما غفلوا عني جمعةً كاملةً، فلا أتذكر أكلاً ولا شربًا.

فاعرض يا أخي هذا الأمر على مريدي زمانك، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

صبرهم على الجوع اختيارًا أو اضطرارًا كأيام الغلاء أو القحط، بأن يصير أحدهم يأكل فوق أكله المعتاد ولا يشبع.

كما ورد في الحديث: ((**إذا أراد الله بقوم قحطًا نادى مُنادٍ من السماء: يا أمعائي اتسعي، ويا عين لا تشبعي، ويا بركة ارتفعي**[2]))، انتهى.

فهذا هو القحط، وربما أكل الواحد طعام عشرة ولم يشبع.

قال سيدي علي الخواص رحمه الله: وأصل منشأ غلاء الأقوات والقحط كثرة غفلة

---

(١) هو الولي الكامل العارف بالله تعالى أبو بكر بن دلف بن جحدر الشبلي، وقيل: اسمه جعفر ابن يونس كما حكاه الشيخ السلمي، كان إمام أهل الورع والأحوال، كان واليًا بنهاوند والبصرة، صحب الشيخ الجنيد والصناج والطبقة، وصار أوحد وقته علمًا وحالاً، تفقه على مذهب الإمام مالك، وكتب حديثًا كثيرًا، وكان يأخذه الوله ويرد في أوقات الصلاة حتى لا يفوته شيء مما يتوجه عليه من التكليف، فإذا فرغ من صلاته أخذه الوله مرةً أخرى، وله كلامٌ كثيرٌ، منه: سهو طرفة عينٍ عن الله لأهل المعرفة شركٌ. وقال: التصوف ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك.

وسُئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، فقال: الرحمن لم يزل والعرش محدثٌ، والعرش بالرحمن استوى. وقال: من عرف الله لا يكون له غمٌّ.

وسئل: من أقرب أصحابك إليك؟ فقال: ألهجهم بذكر الله، وأسرعهم مبادرةً لرضاه.

وله أقوالٌ كثيرةٌ تدق على عقول أمثالنا.

قال عنه سيد الطائفة قُدِّس سرُّه: أنا أتكلم بهذا العلم في السراديب والبيوت خيفة، ولما جاء الشبلي تكلَّم بهذا العلم على المنابر، وأظهره بين الخلائق اهـ.

وتوفي قُدِّس سرُّه سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ودُفن بمقبرة الخيزران، وقيل له عند النـــزاع قل: لا إله إلا الله، فقال:

إنَّ بيتًا أنا ساكنه ... غير محتاجٍ إلى السُّراج

(٢) ذكره التقي الهندي في الكنـــز (١٤١٨/٧)، وقال: رواه ابن النجار في تاريخه عن أنس، وقال الشيخ المناوي في فيض القدير (١ / ٢٦٨): وهو مما بيض له الديلمي في الفردوس لعدم وقوفه على سنده.

الخلف عن ربهم، وارتكابهم المعاصي، قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف:١٦٨].

فاعلم أن من ادَّعى عدم الغفلة، وعدم ارتكابه المعاصي، وحصل له غلاء أو قحط، فهو غير صادق، ويتفاوت الناس في ذلك قلة وكثرة، وربما كان سبب ذلك الاستهانة بالنعمة، أو بغير سبب؛ امتحانًا من الله ﷻ لعباده، فاعلم ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

شدة اعتنائهم بالعمل بصريح السُّنة الواردة أكثر من اعتنائهم بالأمور المستنبطة إلا أن جمع عليهما.

وكذلك من أخلاقهم: شدة اعتنائهم بالعمل بكلام المجتهدين أكثر من اعتنائهم بكلام المقلدين، كما درج عليه السلف الصالح في حال بدايتهم، وهذا أمرٌ قد أغفله غالب المتمشيخين في هذا الزمان فضلاً عن المريدين، فترى أحدهم يواظب على قراءة ورد اخترعه مثلاً أكثر من مواظبته على ما ورد في السُّنة في عمل اليوم والليلة، وهو جهلٌ منهم، وأين إمداد أحدهم من إمداد الشارع ﷺ؟! وأين المتَّبع من المبتدع؟! فاعلم ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

تكرار قراءة القرآن ومحفوظاتهم في علوم الشريعة، ولا يشتغلون عنها بالأوراد مثلاً حتى ينسوها، كما عليه بعض الجهلة من المريدين، فإن كتب الفقه جامعة لأحكام القرآن الظاهرة والباطنة، ومن نسيها فكأنه نسي القرآن، فعليه من الإثم كما على من نسي القرآن وإن تفاوت المقام، ثم إن على شيخ هذا المريد اللوم أكثر من المريد؛ لكونه أهمله حتى نسي العلم والقرآن.

وقد ذكر الشيخ العارف بالله تعالى أبو المواهب الشاذلي أنه اشتغل بالذكر أيام بدايته حتى نسي غالب القرآن.

فرأى رسول الله ﷺ وقال له: ((**يا محمد، تركت تلاوة كلام ربك واشتغلت بوريداتك هذه!** [1])).

فقال: فمن تلك الواقعة رتبت لي كل يومٍ عشرة أحزاب، وكررت محفوظاتي في العلم التي كنت نسيتها. انتهى.

(١) هذا حديثٌ كشفيٌ صحيحٌ.

ثم لم يزل على ذلك حتى مات، كما أخبره بذلك حفيد الشيخ علي رحمه الله تعالى.

فاعلم يا أخي ذلك، والحمد له رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

تصدقهم بالثوب الذي كان عليهم وقت المعصية، ثم يغتسلون ويتوبون ويلبسون، وإن كان أحدهم فقيرًا لا يجد غير ذلك الثوب غسله ثم لبسه، وكذلك يحلقون الشعر الذي كان لهم حال المعصية، ويقصون أظفارهم، حتى أن بعضهم بالغ وصار يحلق لحيته كلما وقع في معصية.

ويقول: لو أمكنني تبدل أعضائي التي عصت لفارقتها. انتهى.

وهذا إن كان فيه تعظيمٌ لله تعالى فاتِّباع السُّنة المحمدية أولى، فيستغفر الله تعالى ويتوب إليه من كل ذنبٍ من غير حلق لحيته، فإن استدلَّ علينا شخصٌ بقوله ﷺ لمن أسلم: ((**ألقِ عنك شعرك واختتن**[1]))، وقال: إن شعر الكفر يعم اللحية، قلنا له: المراد بشعر الكفر الذي يؤمر لإزالته زمن الإسلام، كالعانة ونتف الإبط لا مطلق الشعر.

قال بعض المحققين: ولا ينبغي لمن عصى الله أن يفارق ذلك المكان الذي عصى فيه حتى يطيع الله تعالى فيه، ولو بقول: (لا إله إلا الله) مرة واحدة، فكما كان يشهد عليه كذلك صار يشهد له.

وهو كلامٌ حسنٌ، فاعلم ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا نقصهم منقص أن يكونوا معه على أنفسهم، ويقولوا لها: إنما نقصك فلان بحق وصدق، فالواجب عليك أن تقبلي لما نبهك عليه من الأمور التي تسخط الله تعالى عليك.

واعلم أن كل مريدٍ أجاب عن نفسه، وكره من نقصه، فهو مدَّعٍ كذابٌ، لا يجيء منه شيءٌ في الطريق، وكيف يدَّعي الصدق وهو يكره من يطلب إيصاله إلى حضرة ربه، فإن كل نقصٍ في العبد يعوقه عن السير إلى حضرة ربه محبوبه، ولو لم يعلم هو به، وهذا المنقص قد نبه هذا المدَّعي على التوبة مما يعوقه ليسير إلى حضرة ربه، فجزاؤه شدة المحبَّة لا الكراهة له.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على كل مدعٍ للإرادة من أهل عصرك، تعرف صدقه أو كذبه، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه أبو داود (١/٩٨)، وأحمد (٣/٤١٥).

ومن أخلاقهم:

ذكرهم لمناقب إخوانهم في المجالس، والكف عن ذكر نقائصهم فيها؛ لأن ذلك يسخط الله ويسخط الإخوان، ويوجب المقت من الله تعالى ومن خلقه، وذكر محاسن الناس يوجب رضا الله ورضا الخلق، والعاقل لا يقع فيما يسخط الله عليه أبدًا، وما بقي لمن يقع في أعراض الناس إلا أنه مجنونٌ، والمجنون لا يصح له سلوك الطريق حتى يفيق من جنونه، وعلى هذا فلم يسلم من الجنون إلا قليلٌ من الناس، عدموا الترقي في العلوم والمعارف.

ولا يزال أحدهم يقرأ على العلماء ويتلمذ للفقراء حتى تشيب لحيته، ولا يبلغ درجة التدريس في العلم، ولا الإرشاد في الطريق، ثم إذا يوم القيامة تقاسم الناس حسناته في نظير ما سبق منه في حقهم من الغيبة، فمثلاً هذا خسر الدنيا والآخرة.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على من يدَّعي الصدق في الإرادة من أهل عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

شدة محبتهم لكل من تتلمذ لشيخه؛ لأنه أخوه من الرضاع الربَّاني على يد شيخه، فمن كره أخاه وشاحنه بغير حقٍّ فلا يُرفع له إلى السماء عملٌ ما دام مشاحنًا له، كما صرَّحت به الأحاديث، وذلك كناية عن غضب الله تعالى عليه كما غضب على الكفار، وإن تفاوت الأمر في ذلك، وربما ردَّه الله تعالى بعد طول مجاهداته إلى أسفل من الحالة التي كان فيها قبل المجاهدة، وأحبط عمله.

فاعلم أن من ادَّعى الصدق في الإرادة وهو يكره أحدًا من إخوانه لحظ نفس فهو كذابٌ، لا يفلح أبدًا.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على غالب من يدَّعي صحبة المشايخ على الصدق تجده يكره غالب إخوانه، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إظهار كراهة من علموا أن شيخهم يكرهه؛ تقليدًا لشيخهم، كما يقلد طالب العلم إمام مذهبه فيما حرره بطريق الفهم من الشريعة، وإن لم يعرف لشيخه دليلاً فإن منصب الشيخ يجل أن يكره أحدًا من المسلمين بغير حقٍّ؛ لبرائته عن حظوظ النفوس غالبًا، ثم كلامنا إنما هو في حق الشيخ الحقيقي الذي له قدم المشيخة لا المتمشيخين، كغالب من برز في هذا الزمان، فإن الغالب عليهم الرعونات النفسية، وعلامتهم التكدير ممن بلغهم أنه ينقصهم بين المعتقدين فيهم أن لو كان أحدهم ممن حق له قدم الولاية لفرح بكل من

ينقصه، ورأى أن ما نقصه الناس به لا يجئ عشر ما يعلمه هو من نفسه.

وقد أجمعوا على أن كل من أحب المدح كره الذم فيه، ومن كره الذم فيه فلا يستبعد عليه كراهة إخوانه الذين نصحوه ولو بحق، فمثل هذا لا يجوز لمريده أن يقلده في كراهته للناس، ويصير يكرهها تبعًا له.

فاعلم ذلك واعرض هذا الحال على المدَّعين للإرادة والمشيخة من أهل زمانك تعرف مقامهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

طيب نفوسهم بمقاسمة إخوانهم في أموالهم، ثم يرون المنَّة في ذلك عليهم لإخوانهم الذين قبلوا منهم، ومتى خطر في نفوسهم أن لهم منَّة على إخوانهم في ذلك خرجوا عن مقام الإرادة.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على المتمشيخين من أهل عصرك، فضلاً عن المريدين تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

طيب نفوسهم بمقاسمة إخوانهم في حسناتهم في الدار الآخرة، ثم يرون المنَّة لهم عليهم كذلك في قبولهم لها، وهذا أمرٌ يصل المريد إليه في بداية أمره، فليس هو بدرجة عظيمة؛ لأنه أول ما يدخل الطريق يتجلى له أن الله تعالى هو الفاعل والمالك.

فلا يجد العبد لنفسه فعلاً ولا ملكًا، يمتن به على أحدٍ من الخلق، وإنما المنَّة في ذلك لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أنه يشكر الله الذي أضاف إليه شيئًا يعطيه لإخوانه، وكبر به من بينهم، فهو كالوكيل في مال سيد كريم، وليس له ملك لشيءٍ مما يعطيه.

فاعرض يا أخي هذا الخلق والذي قبله على كل من يدَّعي محبتك ، فإن سمح لك بمقاسمتك له في ماله وحسناته فهو صادقٌ، وإلا فهو كاذبٌ، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

بغض أهل المعاصي ولو أحبوهم واعتقدوهم إيثارًا لجناب الله تعالى، فإنه يكره العصاة، وكيف يدَّعي مريد الله تعالى الصدق وهو يحب من يبغضه ربه، وهذا الخلق قليل وجوده في مريدي هذا الزمان، لاسيما إن أحسن ذلك العاصي إليهم وافتقدهم بالهدايا،

فالصادق من آثر جناب الحق على جناب نفسه، وذلك ليؤثره الحق تعالى ويقدمه على أقرانه في مراتب القرب، وكل من أعز الله أعزه الله، ومن يهن الله فما له من مكرمٍ.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على غالب مريدي زمانك، تجد أحدهم يشكر المحسن إليه ولو كان من شراب الخمر، ويذم من ينصحه في دينه ولو كان من أولياء الله تعالى، واحذر أن تنسى، واعرض ذلك على نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

محبتهم لكل من يكرههم ويستغيبهم أكثر من محبتهم لمن يحبهم ويذكرهم بخير، ويجيب عنهم، ويثني عليهم من حيث الأثر في الآخرة، فإن من يكرههم وينقصهم يحكمهم الله تعالى في حسناته في الآخرة، ولا شك أن العبد أحوج إلى الحسنات في الآخرة من مدحه ومحبته في دار الدنيا.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف صدقهم أو كذبهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة الاهتمام بأمر عدوهم العاصي أكثر من اهتمامهم بأمر صديقهم الطائع؛ لأن صديقهم الطائع محفوظٌ من الآفات بطاعاته، ولا كذلك العاصي، وما أعطى الله تعالى المقامات العالية لمن شاء من عباده إلا ليأخذ بيد العصاة الهالكين، ولذلك كان العارفون يوم القيامة إذا أذن الله لهم في الشفاعة فيمن كان يسيء إليهم؛ ليزيلوا خجله الذي يقع له منهم هناك حين يرى مقامهم عند الله، وصنيعتهم معه من الإحسان ضد ما كان قد فعله هو معهم في دار الدنيا، والله يحب المحسنين.

قلت: وقد سمعت سيدي علي الخواص ﷺ يقول في العارفين:

إذا أُعطوا مقام الشفاعة في أهل عصرهم إنما لم يكونوا يبدون في الشفاعة، إن أحسن إليهم المحسن محفوظ بإحسانه من الآفات.

وليس عنده الكرب الذي عند المسيء العاصي. انتهى.

وهذا الخلق من أعظم أخلاق المريدين، فاعرض هذا على مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

احتمال الأذى من أعدائهم، وعدم التوجه إلى الله تعالى في الدعاء عليهم رضا بتقدير الله تعالى عليهم، وإن وقع منهم توجه إلى الله تعالى في حق عدوهم فإنما يسألون الله تعالى

في التوبة عليهم من وقوعهم في أذى المسلمين، أو العفو عنهم إن كان قد سبق في علم الله تعالى عدم توبتهم من ذلك، ويحزنون عليهم أشد الحزن؛ لما جبلهم الله تعالى عليه من الرحمة على العباد، واعلم أن كل مريد توجَّه إلى الله تعالى في هلاك من يؤذيه، أو زوال نعمته من مالٍ أو عافيةٍ ونحو ذلك، فهو كاذبٌ في دعوى الإرادة.

فاعرض يا أخي هذا الأمر على من يدَّعي الإرادة من أهل عصرك تعرف حاله. ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا سمع أحدهم كلامًا يوهم النقيصة في أحدٍ من المسلمين كأن سمع أحدًا يقول: كبسوه الليلة وأخذوه لبيت الوالي، فلا يطلب معرفة مرجع الضمير إلى من يتكلم بل يعرض عن ذلك، إلا أن يكون ذلك لغرضٍ شرعيٍّ؛ لأن التجسس على معرفة ذلك المكبوس يرجع إلى الغيبة فيه يقينًا، ربما يكون هذا المتجسس عدوًا له، فيكون ذلك عنده أشد من ضرب السيف فيه، بخلاف التجسس على أخيار الناس المحمودة، كما لو سمع إنسانًا يقول: قام الليلة إلى الصباح يصلي، أو صائم الدهر.

قلنا: التجسس على مرجع الضمير لنعرف مقام ذلك الرجل لنسأله الدعاء والصحبة؛ ليأخذ بيدنا في عرصات القيامة.

فاعرض يا أخي هذا الأمر الذي ذكرناه على مريدي زمانك تجد غالبهم يتجسس على عيوب الناس كما ذكرنا، ولا يكاد يعرض عن سؤاله عن مرجع الضمير في قولهم: كبسوه، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يروا نفوسهم أخبث من نفوس سائر الكتب وأبخس وأرذل، فلا يتغيرون من عشرة مخنث ولا حشاش ولا مدمن خمر، ولا غير ذلك، ويرون أن الله تعالى يغفر لهم ذنوبهم كلها إذا أذنبوا، ومتى اعتقدوا في أحدٍ من العصاة أنه مصرٌّ على معصيته فقد أساءوا به الظن، وأثموا كل ذلك؛ ليكونوا من أهلِ التواضع لعباد الله ﷻ، وفي الحديث: **((لا يدخل الجنة أحدٌ وفي قلبه مثقال ذرة من كبرٍ))**.

يعني على أخيه المسلم، لا يدخل الجنة وفيه ذلك، فكذلك لا يدخل حضرة الله تعالى في دار الدنيا لا في صلاةٍ ولا في غيرها، ومن هم كذلك فهو ملحقٌ بالشياطين في منعهم من دخول حضرة الله ﷻ، ومن هو من إخوان الشياطين فكيف يكون من المريدين الطالبين لطريق الأنبياء والمرسلين.

وقد كان عطاء السلمي ﷺ(١) لا يخدمه في بيته إلا المخنثون، وإذا لاموه في ذلك يقول: والله إنهم عندي لأطهر من نفسي، ومرادنا بالمخنثين هم أصحاب الأبنة، وهي غليان يحصل في المقعدة من قسم الأمراض، ومعلوم أن الأمراض لا يجوز ازدراء أصحابها.

وقد جعل الحكماء لإزالة ذلك حقنة، وهي أن تنقع جلود السمك المملح القديد في ماء ثم يُغلى على النار بعد ثلاثة أيام، ويُحقن به المأبون فتذهب عنه الأبنة بقدرة الله تعالى. انتهى.

فإياك أن تعيب على أصحاب الأبنة فتبتلي ببلائهم، كما وقع ذلك لبعض إخواننا، فإن من عاير ابتلي، وإنما الأدب أن يدعو لكل من ابتلي من المسلمين بمرضٍ في بدنه أو دينه، بأن يعافيه الله منه من غير ازدراءٍ له.

وإياك أن تجانب أصحاب الكتب ازدراءً لهم أو خوفًا على ناموسك بين الناس لا حياءً من الله ﷻ فإن ذلك نفاقٌ، وربما كنت أنت مرتكبًا في الباطن ما لو أظهرته لرجمك الناس ولم يجالسوك.

فاعرض هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

دوام شهودهم الفسق في أنفسهم على الدوام، أما في المعاصي فظاهر، وأما في الطاعات فكما فيها من النقص وترك الحضور والخشوع، ومرادنا الفسق اللغوي الذي هو مطلق الخروج عن السُّنة المحمدية، ولو في مأكله وملبسه ونومه؛ لا ارتكاب المحرمات.

يُقال: فسقت النواة: إذا خرجت من قشرها، وعلامة المتخلق بهذا الخلق ألا يتكدر ممن ناداه: يا فاسق، ويا قليل الدين، ونحو ذلك؛ لأنه صادقٌ عنده، ومتى تكدر لم يشم لهذا الخلق رائحة، بل من المتكبرين الذين لا يحبهم الله.

وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله(٢) يقول: من أراد أن ينظر إلى فاسقٍ مرائي

---

(١) قال المصنف: هو من غلب عليه الحزن والخوف حتى مكث أربعين سنة على فراشه لا يقدر أن يقوم ولا أن يخرج من بيته، وكان يومئ بالصلاة على فراشه، ورأى مرة التنور وهو يسجر فغشي عليه، وكان يبكي الثلاثة أيام بلياليهن، لا يرقأ له دمع.. وانظر: الطبقات الكبرى (١/٤٠).

(٢) هو الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو علي التميمي اليربوعي المروزي شيخ الحرم، قال فيه ابن المبارك: الفضيل من أورع الناس. ونقل الذهبي أيضًا: كان الفضيل بن عياض شاطرًا يقطع =

فلينظر إليَّ.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

محبتهم لندائهم باسمهم المجرد عن الكنية واللقب، ويكرهون نداءهم بالتكني والألقاب؛ لما يدخلها من الدنس، فإن شمس الدين أو سراج الدين لا يصح له أن يُلقب به إلا إن كان يدور على أهل الدين كلهم، كالشمس في جميع الدنيا، وأما كونه شمس دين نفسه أو سراجه فلا يصح إلا بتأويلٍ بعيد قولاً يخطر على بال المتكلم، فإن نداء الشخص باسمه المجرد هو الصدق المحض، إلا لغرضٍ شرعيٍّ كنداء العالم أو الشيخ مثلاً: يا سيدي الشيخ، فإن مثل ذلك لا بأس به.

وبالجملة: فعلى العالم والشيخ تهضيم نفسه، وعلى الطلبة والمريدين إجلاله كما جرى عليه السلف الصالح.

وكلامنا المتقدم إنما هو في حق الأقران من بعضهم بعضًا، والفرق أن العلماء والصالحين عرفوا نفوسهم، فلا يحصل لهم إعجاب ولا كبر بندائهم بالألقاب والتكني بخلاف المريدين، ومحك الصدق في ذلك من العلماء والصالحين أن تتساوى عندهم الألقاب والكنى، والنداء باسمهم المجرد، ومتى رجح عندهم النداء بالكنى، فهم من قسم المريدين الكذّابين لا من قسم الأشياخ الصادقين.

فاعرض هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف مقامهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم الحسد لإخوانهم إذا حصل لهم إقبال من الشيخ أو أصحابه أو معارفه أو غيرهم؛ لأن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، كما ورد في الحديث، ومن كان معه

=

الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينا هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع تاليًا يتلو ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد:١٦]، فلما سمعها قال: بلى يا رب قد آن فرجع فآواه الليل إلى خربة، فإذا فيها سابلة، فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا، قال: ففكرت رجاء: أنا أسعى بالليل في المعاصي وقومٌ من المسلمين هاهنا يخافوني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع: اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام. انظر: سير أعلام النبلاء (٨/٤٢٣).

نار تأكل حسناته أول فأول فكيف يدَّعي محبة القرب من حضرة ربه ﷻ وهو يتعاطى أسباب الطرد، فعلم أن كلما يأكل الحسنات يطرد العبد عن حضرة ربه ﷻ، كما أن كلما تثمر الحسنات من الطاعات يقرب العبد بها، وهذا داءٌ قد عمَّ غالب المريدين في هذا الزمان، فعدموا بذلك الترقّي؛ لأن الحسود لا يسود.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدَّعي الصدق من المريدين في عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

شهودهم ببادئ الرأي إذا وسوس لهم إبليس بمعصيةٍ وفعلوها، أن ذلك من تقدير الله ﷻ بواسطة إبليس من حيث كونه آلة في ذلك، كما أن وسوسة إبليس لهم بالمعصية عن تقدير الله على إبليس، كذلك بواسطة المزاج الذي ركبه الله عليه، فلا يضيف أحدهم الوسوسة إلى إبليس، يقف معه في ذلك زاعمًا أن إبليس منديل هذه الدار تمسح فيه أوساخ الدنس، فإن ذلك معدود من الشرك الخفي بالله ﷻ، وما رأيت لهذا الخلق ذائقًا من أهل عصري إلا القليل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، فليكن قوله: (شيئًا) فيشمل شرك النفس وإبليس في العمل.

ومتى وقع أن بعضهم قال: يا رب اغفر لي؛ فإنك وعدت بالمغفرة كل من لم يشرك بك شيئًا، وأنت تعلم أني لم أشرك بك شيئًا، وإذا بالهاتف يقول: ولا يوم اللبن، وكانوا قد قدموا بين يديه لبنًا ليشربه فأبى وقال: أخاف أن يضرني، فأخذه الله بإضافة الضر إلى اللبن.

فاعلم ذلك، واعرض على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ما داموا في هذه الدار ألا يروا أنهم صدقوا مع الله تعالى في حالٍ من الأحوال، وذلك ليكون أحدهم منكس الرأس على الدوام حياءً من الله تعالى.

وقد كان السري السقطي رحمه الله يقول: منذ ثلاثين سنة وأنا أظن أن الله سبحانه وتعالى ينظر إليَّ نظر السخط لسوء ما أتعاطاه، وقد أجمع الأشياخ على أن من لازم أهل الحضرة الإلهية منّ الله على قلوبهم بالتذلل بين يدي الله ﷻ، وأنه لا يجتمع الإدلال على الله، والتقرب أبدًا إنما يكون الإدلال للمحجوبين عن مشاهدته.

وهذا الخلق يخل به قومٌ كثيرٌ حتى ربما يظن بعضه بنفسه إذا دعي بزوال الغلاء، أو

بطول البقاء لأخذ في ولايته، أو بنــزول المطر، أو طلوع النيل، ووقع ذلك أنه بدعائه، فذلك وهمٌ كاذبٌ، ومن أين له ذلك؟!.

بل كان مالك بن دينار لا يخرج في الاستسقاء إذا دُعي إليه، ويقول: إني أخاف أن تمطروا حجارة، أو تحرموا المطر بحضوري معكم، فعُلم أن كل من توهَّم رضا الله عنه، وعمي عن شهود مساوئ نفسه فهو مغرورٌ، ومن علامة غروره تكديره ممن نقصه، ولو أنه عرف نفسه لرأى جميع ما نقصوه به من بعض صفاته، فكان لا يتكدر من ذلك، بل يشكر الله تعالى الذي لم يطلع الخلق على جميع مساوئه التي يخفيها عن الناس، ويجاهر بها ربه.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على أقرانك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة محبتهم لكل من بالغ في إيذائهم من حيث أنه كان سببًا لحصول الثواب العظيم لهم، وإذا مات حزنوا عليه أكثر من حزنهم على ولدهم وزوجهم وذهاب مالهم؛ لأن الزوجة والولد والمال قلَّ أن يحصل للإنسان من جهتهم ثواب، بل هم إلى الفتنة أقرب.

وقد كان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: من كان له عدو يؤذيه فليفرح به، وليحسن إليه، فإنه أنفع من أصدقاء هذا الزمان الذين يمدحونه ويغشونه ويداهنونه، وكان إذا مات لهم عدو يحزن عليه أشد الحزن ويقول: لا إله إلا الله، مات من كان يحصل لنا بسببه الخير، رضا لله ﷻ ورضا لرسوله ﷺ، فقلت له مرةً: كيف ذلك؟ فقال: كان يؤذينا فنحتمله، ونكرمه من حيث أنه عبد الله، ومن حيث أنه من أمة محمد ﷺ، فيحصل لنا الرضا من الله ورسوله إذا اطَّلع على قلوبنا، إننا ما احتملناه وأكرمناه إلا لأجل كونه عبده أو من أمة نبيه.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على المريدين من أهل عصرك تعرف صدقهم أو كذبهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

تحمل هموم إخوانهم وجيرانهم من المسلمين إذا نزل بهم هم، وعجزوا عن تحمله قيامًا بواجب حقهم، ولا يضحك أحدهم، ولا يتناول شيئًا من شهوات النفوس ما دام بجيرانه وإخوانه الهم.

كان أخي الشيخ أفضل الدين إذا نزل بأحدٍ من المسلمين كرب في سائر أقطار

الأرض، يصير كالذي مات أعز أولاده، وذهب أكثر ماله، فلا يزال كذلك حتى يرتفع ذلك الكرب عملاً بقوله ﷺ: ((**مَنْ لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**[1]))، رواه الطبراني.

ومن تحمل الإنسان هم أخيه أن يساعده فيما عليه من الديون، ويفك دينه عند الحبس أو الترسيم، اللهم إلا أن يكون ذلك الحبس عقوبةً له على ذنبٍ عمله، أو تعاطيه شيئًا لا يليق عليه به، كالذي يلتزم في تخليص خراج السلطان من أولاد الفقراء، أو يسلك طريق الأمناء في ضرب المسلمين وحبسهم، وبيع بهائمهم في الخراج بغير إذنهم، فمثل هذا لا ينبغي لأحدٍ مساعدته حتى تأخذ العقوبة فيه حدها، وربما يسعى بعضهم في إخراجه من الحبس مثلاً قبل بلوغ العقوبة حدها، فاستقبله بلاء من وجهٍ آخر أشد من الأول، وما ثمَّ أنفع لمن كان في ضيقٍ من الاستغفار، ويذكر ذنوبه التي فعلها طول عمره، والتوبة منها.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على أهل زمانك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

رجوعهم باللَّوم على أنفسهم إذا ظلمهم ظالمٌ، ولا يدعون على من ظلمهم، بل يرون الفضل لله تعالى الذي سلط عليهم ذلك الظالم ليكفر عنهم سيئاتهم، كمن استحقَّ النار فصولح بالرماد، وذلك لأنه تعالى لا يُعذِّب ابتداءً وإنما يُعذِّب جزاءً، كما جرت عليه به عادته تعالى في الدنيا.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾ [الشورى: ٣٠].

فاعلم أن كل مريدٍ اشتغل بمقابلة من آذاه ولو بالدعاء عليه فما عنده من الصدق رائحة؛ لأن من شأن المريد الصادق أن يشكر الله تعالى على كل ما قدَّر، ويستغفره من حيث كسبه للمعاصي وإن وقع له مآخذة وعقوبة على ذنوبه، لا يرى أن تلك المآخذة كفرت عن سيئاته كلها، وإنما كفرت البعض، وأنه يستحق زيادة العقوبة في الدنيا والآخرة، بل يصير هو يسأل زيادة العقوبة لنفسه إيثار الجناب الحق على نفسه، وتعجيلاً للتطهير، فمثل هذا غائبًا على شهود أن أحدًا ظلمه من الخلق، كما هو حال العاصي مع

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧/٢٧٠).

الزبانية يوم القيامة، فلا يرى أن أحدًا منهم ظلمه، ولا يُسمَّى ظالمًا، وهذا الحال الذي تميز به القوم في هذه الدار على غيرهم.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على غالب مريدي زمانك تعرف عدم صدقهم، بل رأيت شخصًا أذن له شيخه في أنه يسلك المريدين ويرشدهم اشتكى من اغتابه إلى بيت الوالي، وغرمه دراهم، وإذا كان هذا حال من أذن له شيخه أن يسلك الناس فكيف بغيره.

فاعلم ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

محبتهم لمجاورة الجار السوء، وذلك ليتعلموا بعشرتهم الحلم عليهم إذا خالفوا أغراضهم، ويحوزوا الأجر بالصبر عليهم، ويحفظوا غيرهم من الوقوع في الإثم بسببهم، ممن لا صبر عنده ولا حلم، وهذا ما درج عليه المريدون الصادقون خلاف ما عليه الكاذبون.

وكان مالك بن دينار[1] يشتري الرقيق الذي يخالف سيده، والدابة الشموص، ويتزوج المرأة السوء، ويقول: إنهم يذكرونني بحلم الله تعالى عليَّ، فأحلم عليهم تخلقًا بأخلاق الله تعالى، فإنه يحلم عليَّ ليلاً ونهارًا وأنا سابحٌ في ميدان المخالفات والغفلات، ولو أخذني لأهلكني ثم لم يظلمني شيئًا، وكان إذا بالغ عبده في مخالفة أغراضه يقول: ما أشبهم بمالك مع مولاه جلَّ وعلا.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يدعوا أحدًا من الأكابر إلى حضور ولائمهم إلا لغرضٍ شرعيٍّ، لا حظ للنفس فيه، وإن أخلوهم عن الدعاء إلى مثل ذلك كان أفضل وأكثر أدبًا، وذلك أن المريد عمله دائمًا على ترك الشهرة، ومحبة الخفاء، وعدم إقامة الجاه في قلوب الناس، ودعاء المريد العلماء والأمراء إلى حضور وليمته، مما يورث الشهرة والجاه في قلوب الناس، وذلك من أكبر

---

(١) قال الذهبي: هو علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين ومن أعيان كتبة المصاحف، ولد في أيام ابن عباس وسمع من أنس بن مالك فمن بعده، وحدث عنه وعن الأحنف بن قيس وسعيد بن جبير والحسن البصري ومحمد بن سيرين والقاسم بن محمد وعدة، وحدث عنه سعيد بن أبي عروبة وعبد الله ابن شوذب وهمام بن يحيى وأبان بن يزيد العطار وعبد السلام بن حرب والحارث بن وجيه وطائفة سواهم، وثقه النسائي وغيره، واستشهد به البخاري، وحديثه في درجة الحسن. وانظر: سير أعلام النبلاء (٥/٣٦٢).

أسباب الهلاك، وربما راج أمر المريد عند الأمراء والأكابر وعظموه أكثر من شيخه، فأعجبه ذلك، وغاب عنه أن شيخه لو أراد إقبال الخلق عليه لأقبلوا، ولكنه دفعهم بقلبه، وهرب من تحمل منهم في حضورهم عنده.

والصادق هو من يدفع الأمور المشغلة عن الله تعالى بقلبه من غير لفظٍ، حتى ربما سأل الأكابر في الحضور، ويقبل نعالهم بحضرة أقربائه، فلم يجبه أحدٌ منهم، وكان أخي أفضل الدين يفعل مثل ذلك إخمالاً لذكره، وكسرًا لنفسه، وهو دافعهم بقلبه هروبًا من منتهم.

وقد كان سيدي محمد الشربيني رحمه الله[1] يقول: اللهم اجعلنا ممن تزهد فيه الدنيا، ولا تجعلنا ممن يزهد هو فيها، فقيل له في ذلك فقال: إنما تزهد الدنيا في العبد لعدم وجود محل في قلبه يقيم فيه، فقيل له في ذلك، فهو ولو قدر أنه طلبها لا تجبه إلى مجيئها إليه، خلاف من يزهد هو فيها، فقد يكون لعلةٍ دنيويةٍ أو أخرويةٍ. انتهى.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على المريدين من أهل الزمان تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

محبة رفع كل أحدٍ من أقرانهم فوقهم في الدين والصلاح والعلم، فضلاً عن كونهم يتكدرون معه لشدة محبتهم الخير لجميع أقرانهم، وزهدهم في الدنيا، فلذلك كانوا يحبون رفعة أقرانهم عليهم، ولا يغفلون عن الدعاء لهم، بأن يحفظهم الله تعالى من آفات الرفعة والشهرة بالصلاح والخير.

وهذا الخلق قد قلَّ المتخلقون به من المريدين؛ وهو من أجل أخلاقهم، وربما ادعاه أحدهم علمًا من غير ذوقٍ، فينبغي على إخوانه امتحانه لله تعالى ليظهروا المكذب، فيستغفر الله تعالى من الدعاوى الكاذبة، وذلك بأن يمدحوا أحدًا من أقرانه على غفلةٍ، ويبالغ في وصفه بالزهد والصلاح، فإن انشرح ذلك المدَّعي لذلك، وظهرت أمارات السرور على وجه فهو صادقٌ، وإن انقبض وعبس فهو كاذبٌ.

فتنبَّه يا أخي لذلك، واعرضه على نفسك تعرف صدقها من كذبها، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) هو شيخ طائفة الفقراء بالشرقية، كان من أرباب الأحوال والمكاشفات، وكان يتكلم على سائر أقطار الأرض كأنه تربى فيها، وهو أحد شيوخ المصنف، وانظر: الطبقات الكبرى (١٢٣/٢).

ومن أخلاقهم:

أن يقدر العلماء العاملين بأنفسهم في كل مكروهٍ نالهم، فإذا بلغهم أن أحدًا من المقارضين ينقص أحدًا من العلماء يود أن لو كان ذلك التنقيص وقع له هو دون العالم، وذلك أن العلماء حملة الشريعة، وتنقيصهم بين الناس يقلل الرغبة في امتثال أمرهم بأحكام الشريعة إذا وقع من الناس التعدي، هكذا حال المريدين؛ لأنهم لم يشتهروا بحمل الشريعة كما اشتهر به العلماء.

وهذا الخلق قلّ من يتخلق الآن من المريدين به، بل رأيت بعضهم يفرح بتجريح العلماء خوفًا أن يعلوه في الجاه والصيت، ومثل هذا لا يفلح ولو عبد الله تعالى عمر نوح عليه السلام؛ لأن عبادته إنما هي بحظ نفس، وما جعل الله الفلاح والنجاح إلا في العمل الخالص الذي ابتغي به وجهه تعالى.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على نفسك، وعلى من ادَّعاه من أقرانك، واشكر الله، واستغفر الله من تقصيرك في حق العلماء، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

شدة كراهيتهم وزجرهم لمن ينقل إليهم نقائص الناس، لاسيما إن كان من فقراء الزاوية، فربما ألقى إبليس بينهم النميمة حتى خربت الزاوية، اللهم إلا أن يحكي ذلك الناقل النقص للشيخ ليؤدب من يستحق التأديب فهذا لا بأس به، بل ربما وجب بخلاف نقل النميمة للمريدين من الضعفاء الذين لا يتحملون الكلام في حقهم.

فافهم ذلك، واعرض هذا الخلق على فقراء الزاوية تجد لا يسلم من النميمة منهم إلا القليل، وهو من أكبر طريق لتشويش القلوب وتنافرها، وذلك موجب لزوال النعمة عن أهل الزاوية فتبطل أورادهم، أو يصير أحدهم يتكلف لها مع شغل القلب بالحقد والحسد، حتى يتمنى كل واحدٍ زوال نعمة أخيه، فيُجازى بمثل ذلك، فتتحول النعمة عنهم كلهم.

فاعلم ذلك، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

مسامحتهم لكل من اغتابهم في حياتهم وبعد مماتهم مما بلغهم وما يبلغهم حتى السامعين المصدقين على الغيبة، لاسيما المقاريض فإن حكمهم لآخرة حكم من أركبته الديون من سائر الخلق، وداروا حوله يطلبون منه ديونهم مع إفلاسه، ومثل هذا ينبغي لكل من عنده طرف من الفتوة أن يسامحه بدينه رحمةً به، فإنه أهل بلاء، وقد قال ﷺ: **((ارحموا أهل**

البلاء[1])).

وقال سيدي الإمام النووي رحمه الله[2] عن شخصٍ مشهورٍ بالفتوة، وله دين على معسر فضيق عليه في الطلب، هل يقدح ذلك في فتوته؟ فقال: نعم يقدح ذلك في فتوته. انتهى.

وأهل الله تعالى كلهم فتيان أهل مروءة، وإنما يسامحون من اغتابهم من غير علمهم أو بعد موتهم مبالغةً في الرحمة، ولعلمهم أن الله يأخذ لهم حقهم منهم سواء بلغهم أم لم يبلغهم؛ لأنهم لم يكونوا يعلمونها فالله يعلمها، فاحتاطوا لأخيهم المسلم وسامحوه فيما يقع فيه بعد موتهم من الغيبة؛ ليحوزوا بذلك الأجر، ويريحوا أخاهم من الوقوف من أجلهم للحساب.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي زمانك، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

شفاعتهم عند الحق سبحانه وتعالى في كل من آذاهم بغيبةٍ أو غيرها في دار الدنيا بعد مسامحتهم له؛ خوفًا ألا يكون الحق تبارك وتعالى قبل مسامحتهم له، فيسألون الله تعالى ألا يؤاخذه من جهتهم، وأن يعفوا عنه من حيث تعديه حدود الله تعالى بالإذن لعباده من غير طريقٍ شرعيٍّ.

فإن لكل معصية حقين: حق الله، وحق لعباده، فمسامحة العبد إنما هي في حقه دون حق الله تعالى.

وهذا الخلق من أحسن أخلاق المريدين، فاعرضه على مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، فإن من سامح سومح، ومن شاحح شوحح، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

مسامحتهم لجميع هذه الأمة المحمدية في كل حق لهم عليهم، ولا يطالبون أحدًا منهم بحق في الدارين، ولو جاءوا يوم القيامة فقراء من الحسنات، كل ذلك إكرامًا لعباد الله من

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٠/٦)، والبيهقي في الشعب (٢٦٣/٤).

(٢) هو شيخ الإسلام أستاذ المتأخرين، وحجة الله على اللاحقين، والداعي إلى سبيل السالفين، علم الأولياء، صاحب التصانيف النافعة كالمجموع شرح المهذب، وروضة الطالبين شرح المنهاج له، وتهذيب الأسماء ودقائق المنهاج بتحقيقنا. وانظر: المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي للسخاوي بتحقيقنا.

حيث كونهم عبيده تعالى، ثم إكرامًا لمحمدٍ ﷺ من حيث كونهم أمته، لا لعلةٍ أخرى من طلب ثواب أو غيره، فإن عبيد الثواب معدودون من الإناث المحبين للحلية والزينة بين العباد، وأهل الله تعالى فحول لا يطلبون سواه ولا يؤملون إلا إياه، ولا يرون لهم معه ملكًا في الدارين، وجميع ما يعطيه لهم يخرجون عنه إليه تعالى فورًا، ولا يثبتونه لهم إلا بقدر تحقق نسبة العطاء لهم، وذلك ليظهروا كرم الله سبحانه وتعالى عليهم لا غير، فسواء أعطاهم الدنيا والآخرة أو منعهم منها هو عندهم سواء؛ لشهودهم الملك في ذلك لله تعالى لا لهم، فهم يأكلون ويلبسون في الدارين من مال سيدهم، ويسكنون في داره صدقة منه عليهم من غير شهود استحقاقهم لشيءٍ من ذلك.

فاعلم أن من عفا عمَّن ظلمه لطلب الأجر والثواب، فهو لم يشم من طريق الأدب مع الله تعالى رائحة.

فاعرض هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف مقامهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

الإكثار من مراقبة الله ﷻ بقلوبهم في جميع حركاتهم وسكناتهم على حكم مصطلح المتصوفة شيئًا فشيئًا، فلا يزال أحدهم يتدرج في المراقبة من درجةٍ إلى درجتين إلى ثلاث أو أربع إلى عشر الليل أو النهار إلى خمسه إلى ربعه إلى ثلثه إلى نصفه إلى ثلاثة أرباعه إلى ألا يصير له ساعة غفلة عن الله تعالى إلا بقدر ما يسامح فيه البشر؛ إذ مراقبة الله تعالى مع الأنفاس ليست من مقدور البشر عامة، وإنما ذلك من مقام الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكمل ورثتهم.

وإنما قلنا آنفًا على حكم مصطلح المتصوفة ولم نقل الصوفية؛ لأن الصوفية هم كُمَّل العارفين، وكل من عرف الله تعالى عرف أنه لا تصح له مراقبة حقيقة؛ لأن المراقب ما راقب إلا ما لا أقامه الله فيه بنفسه تحلية، وتعالى الله عن ذلك عند العارفين، فهم مع نظر الله تعالى المحقق إليهم لا مع نظرهم المتوهم.

وقد أشار في الحديث إلى مقام المتصوفة والصوفية بقوله ﷺ: ((**اعبد الله كأنك تراه**[1]))، وهذه درجة التعليم، ثم يترقّى منها إلى درجة الخواص، وهو أن يعلم أن الله يراه

(١) رواه البخاري (١/٢٧)، ومسلم (١/٣٧).

دون أن يراه هو، وهذا أكمل في التنــزيه[1].

وفي بعض الهواتف الربَّانية يقول الله ﷻ: ((إذا كان كل شيءٍ خطر ببال العبد فأنا بخلافه، فكيف تصح له مراقبتي)). انتهى.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون أحدهم محتاطًا لنفسه، فلا يدخل في عهد شيخ حتى يتوب من سائر الذنوب الظاهرة والباطنة، فإن كل من بقيت عليه بقية من حقوق الناس أو حقوق الله تعالى، فبعيد عليه أن يحصل على طائلٍ، ولو كان شيخه من أكبر العارفين، ومن هنا كان الشيخ الحاذق لا يدخل العهد على مريدٍ إلا بعد توبته، ورد المظالم إلى أهلها، فإن غالب المريدين لا يهتدون لهذه التوبة، ويعتمدون على شيخهم فيدخلون عليه التعب، وهذا من باب قوله ﷺ لمن سأله مرافقته في الجنة: ((**أعني على نفسك بكثرة السجود**[2])).

فحوله ﷺ عن الركون إليه جملة، وأمره بمساعدته على تحصيل ما يريده، وهذا الخلق قد قلَّ من يوفي به من مريدي هذا الزمان، فلا المريد يحتاط لنفسه ويتوب قبل أن يدخل في العهد خوفًا أن يلعب بالطريق، ولا الشيخ نفسه يسأل المريد عن شروط التوبة، لاسيما إن كان الذي يأخذ العهد جلس بنفسه من غير إذنٍ من شيخ الغالب عليه التلبيس

---

(١) قال المصنف في الميزان الذرية: فقوله: (كأنك تراه) هو شاهد الحق الذي أقمته في نفسك، وهذه هي درجة التعليم، ثم يرتقي العبد من هذه الحالة إلى حالة الخصوص، وهو شهود كونه تعالى يراك ولا تراه، وذلك أنك إذا ضبطت شهوده تعالى في قلبك عند صلاتك مثلا فقد أخليت شهودك عن بقية الوجود المحيط بك.

وإذا تحققت ذلك علمت عجزك عن رؤيته تعالى؛ لتقييدك وإطلاقه، وضيقك وسعته.

فإذا عرفت ذلك بقيت مع نظره المحقق إليك لا مع نظرك إليه؛ لأن نظرك يقيِّده ويحدده، وهو المنــزَّه عن الحدود. فعُلم أنه لولا تخيل العقل الحق تعالى للأصاغر في القبلة ما تعلَّقوا من يتأدبوا معه.

وأما الأكابر فلا يحتاجون إلى هذا التخيُّل.

ولذلك كان القطب دائمًا خلف الحجاب لا يرى ربه حتى يموت، فافهم. ومن هذا الفرق أيضًا بين الرؤية والشهود:أن الرؤية لا يتقدَّمها علمٌ بالمرئيِّ، بخلاف المشاهدة يتقدَّمها علمٌ بالمشهود، وهو المسمَّى بالعقائد، ولهذا يقع الإقرار والإنكار في الشهود حين التجلي الأخروي، ولا يكون في الرؤية إلا الإقرار. وانظر: الميزان الذرية (ص٢٨) بتحقيقنا.

(٢) رواه أبو داود (٢/٣٥)، والنسائي (١/٢٤٢)، وأحمد (٤/٥٩).

على نفسه وغيره، فليتنبه لذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

شدة إقبال أحدهم على الاشتغال بعلاج نفسه ورياضتها دون الاشتغال بعلاج غيره؛ لأن هذه إنما هي وظيفة الأشياخ، أما المريدون فمن الأدب إقبالهم على ما يتعلق بنفوسهم دون غيرهم، وهذه مكيدة لا يتنبه لها غالب المريدين، فيصير يشارك إخوانه بالموعظة والإرشاد، وهو نفسه لم يتخلق بذلك.

وقد أجمع الأشياخ على أن المريد لا ينبغي له أن يكون مؤدبًا للأطفال، خوفًا أن يسرقه حب الرئاسة، فلا يصير يفلح على يد أحد.

وكذلك لا ينبغي للمريد أن يكون خطيبًا ولا واعظًا ولا مدرسًا إلا أن أذن له شيخه في ذلك، وأمن عليه من الإعجاب والكبر.

وقد كثر هذا الأمر في مريدي هذا الزمان حتى ربما ادَّعى أحدهم أنه أعلم من شيخه، لاسيما إن كان عنده علم من طرف العربية، وسار يرد على شيخه اللحن، فإنه يتلف بالكلية.

وقد صلّى جماعة من الفقهاء خلف حبيب العجمي، ثم أعادوا الصلاة وقالوا: إنه يلحن، فلما فارقوه لقيهم السبع فأراد أن يأكلهم، ففروا راجعين إلى الشيخ، فخرج معهم إلى السبع فمسكه وعرك أذنه، فولى السبع وقال له: أما قلت لك مرات لا تتعرض لضيفاني، ثم قال لهم: اشتغلتم بتقويم اللسان فخفتم من الأسد، واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الأسد. انتهى.

وكذلك وقع لسيد إبراهيم المتبولي ﷺ أنه صلّى وراءه فقيه في صلاة المغرب، فتخيل له أن الشيخ يلحن فنوى المفارقة، فلما سلم الشيخ قال له: يا فقيه، اللقمة الكبيرة تقف في الحلق، فشهد تلك الليلة زورًا، وأخذ عشرين دينارًا ممن شهد له، فحرسوه وعزله السلطان قايتباي عزلاً مؤبدًا إلى أن مات. انتهى.

وكذلك وقع للشيخ علي المحلي أن شخصًا من أهل دمياط صلّى خلفه، فلم تعجبه قراءاته، فلما سلم أنكر عليه، وقال للشيخ: إيش مذهبك؟ فقال: حنشي، فازداد إنكاره على الشيخ، وقال: هذا لا يعرف اسم مذهبه، فقال له: قل: حنفي، فقال: بل حنشي، فقال: ما معناه؟ فقال: إن أنفخ عليك فتموت، فنفخ عليه من بعيد فوقع ميتًا. والحكايات في ذلك كثيرة.

فاعلم ذلك، واعرضه على مريدي زمانك، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكثر أحدهم من مراقبة شيخه حتى يصير مشهوداً له على الدوام ليلاً ونهارًا، حتى أنه لا يتكلم حتى يستأذنه بقلبه، ولا يسكت من ذكر أو علم حتى يستأذنه كذلك، وهذا من أعظم أخلاقهم.

ومن لم يكن كذلك فبعيدٌ عليه أن يترقّى إلى مراقبة ربه ﷻ، وهذا الأدب واجب على المريد ما دام يجهل ربه، فإذا عرف ربه المعرفة المشهودة بين القوم صار هذا الأدب مستحبًا في حقه؛ لأنه حينئذٍ يجد معية الحق تعالى سارية مع جميع الوجود، فما من موجودٍ إلا والحق تعالى معه، يمده بالوجود والانخفاض والصعود.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف مقامهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

مخالفة أحدهم هوى نفسه على الدوام ما لم يكن له شيخ، فإن كان له شيخ فهو تحت إشارته، وليس له العمل بهواه ما دام تحت يده.

فإذا خرج من تحت يده رجع إلى الميزان، كان له قبل دخوله في يد الشيخ، فإذا أعجبته زوجته طلقها، أو جوخته تصدق بها، أو عمامته أهداها، أو وظيفته أو خلوته أسقط حقه منها، أو ماله خرج عنه للفقراء.

كل ذلك احتياطاً لنفسه خوفًا أن يشغله عن ربه فيستحق المقت.

وهذه هي طرق المحبين لله ﷻ الذين تُطوى لهم منازل الطريق.

وأما من أقام مع زوجته التي تشغله عن ربه ﷻ، أو أعجب بشيءٍ من أحواله، فهو كاذبٌ في محبة ربه ﷻ، ويا طول تعبه وتعب شيخه فيه.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف صدقهم أو كذبهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

حفظ أحدهم قلبه مع شيخه من حين يدخل في عهده إلى أن يموت، لا يدبر عن محبته طرفة عين، ولو هجره أو طرده لا يحول عنه أبدًا، فإن الإعراض عن الشيخ كالردة من آداب الطريق.

وقد قال شيخ أهل الطريق أبو القاسم الجنيد ﷺ: لو أقبل عارف على ربه ﷻ ألف سنة ثم أدبر عنه لحظة كان ما فاته في تلك اللحظة أكثر مما ناله قبلها. انتهى.

وكذلك القول في الإدبار عن الشيخ؛ لأنه مرتبة إدمان دون الله ﷻ، فمن تمَّ إقباله على شيخه فقد استحقَّ الترقي إلى مقام الإقبال على ربه، ومن لا فلا.

فإياك يا أخي أن تتكدر من شيخك إذا طردك عن بابه بغير طريق تعرفها أنت، وتصير تحقد في لبك على شيخك، أو تشكوه في نفسك، فضلاً عن الناس الأجانب، وفضلاً عن أعداء الشيخ، فإنك مقت مقتًا لا تفلح بعده أبدًا، كما وقع ذلك لبعض من يدَّعي أنه من جماعتنا.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على مريدي زمانك، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يجعل أحدهم نفسه شيخًا له مع شيخه، فيصير يعرض عليها كل شيءٍ أمره به الشيخ أو نهاه عنه كالمستشير لها، هل أوافق شيخي في ذلك أم أخالفه.

وقد أجمع الأشياخ على أن من لم يبادر إلى امتثال أمر شيخه أو نهيه فورًا فيفعل ما أمره به، وينتهي عما نهاه عنه من غير تهاون ولا تروي فيه، فهو مخدوعٌ لا يجئ منه شيء في طريق أهل الله ﷻ.

وقد قال الأشياخ: لا يجوز لمريدٍ أن يكون له شيخان؛ لأن أمر الطريق مبني على التوحيد، فكما أنه لم يكن وجود العالم عن إلهين، ولا التكليف بين رسولين، ولا المرأة بين زوجين، فكذلك المريد لا يكون بين شيخين، وينبغي أن يستثنى من كلامهم رسالة موسى وهارون عليهم الصلاة والسلام؛ فإن تكليف قومهما كان بين رسولين بنص القرآن، ثم إن كلامنا إنما هو في حق الشيخ الحقيقي والمريد الحقيقي، ومن لم تجتمع فيه الشروط منهما فلا حرج عليه في اتخاذه عدة أشياخ يرشدونه إلى الخير، كما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، فعلم أن كل من مال عن قول شيخه الحقيقي إلى قول نفسه أو قول غير شيخه سرًّا أو جهرًا، فهو كاذبٌ في محبته الطريق، لا يجئ منه شيء.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف هل وافق به أم لا، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون أحدهم أبعد الناس عن الوقوع في خرق إجماع أهل الطريق؛ لأن الإجماع كنص الشريعة على حدٍّ سواء، وهو لما لم يجمعوا عليه أشد تهاونًا، وقد أجمعوا على أن

ترك العبد فضول الدنيا محمود في جميع الملل، فلو كان الفضول في يده يخرج عنه وإن لم يكن في يده لا يسعى في تحصيله، وما أمر الله الناس بالاكتساب إلا ليكفوا به نفوسهم عن سؤال الناس، بشرط ألا يشغلهم عن عبادة ربهم، كما قال تعالى في حق الكُمَّل مادحًا لهم: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ [النور:٣٧].

فمن ألهته الدنيا عن ذكر الله تعالى وما ذكر معه فطلبه للدنيا مذمومٌ، وليس له في الرجولية نصيب.

وقد نقل الشيخ محيي الدين ابن العربي في الفتوحات المكية إجماع جميع الملل على ذم محبة الدنيا، فقال: أجمع أهل كل ملةٍ على أن الزهد[1] في الدنيا مطلوبٌ، وأن إخراج العبد من يده ما زاد عن حاجة يومه وليلته محمود عند الله تعالى ورسله وصالح المؤمنين. انتهى.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك هل وفوا به أم لا تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يرتكب أحدهم أثقل الأمرين أو الأمور على النفس، فإنه لا يشتد عليها إلا ما هو الخير لصاحبها، وذلك لأنها تطلب ألا تدخل تحت أمور بها أبدًا، وذلك لسرٍّ لا يُذكر إلا مشافهةً لأهله.

وفي بعض الكتب الإلهية: إن الله أوقف النفس بين يديه بعد أن خلقها، وقال لها: من أنا؟ فقالت له تعالى: أنت أنت، وأنا أنا، فغمسها الحق جلَّ وعلا في بحر الجوع والبلاء خمسة آلاف سنة، ثم قال لها: من أنا؟ فقالت له: أنت ربي، لا إله إلا أنت. انتهى.

ثم لا يخفى عليك يا أخي أن ذلك شأنها ما دامت تُسمَّى نفسًا، فإذا انجلت وصارت روحًا أو قلبًا أو سرًّا فهناك لا يصح منها أن تأمر صاحبها إلا بخيرٍ سواء أخف عليها أم ثقل.

---

(١) قال الشيخ المصنف: قد منَّ الله تعالى عليَّ بالزهد في الدنيا من حداثة سنِّي إلى وقتي هذا، حتى لو أمطرت السماء ذهبًا، ومكتوب على كل دينارٍ من أخذ هذا لا يحاسبه الله تعالى عليه في الدنيا ولا في الآخرة، لكنت لا أجد عندي داعية إلى أخذ شيءٍ منه إلا لدَينٍ أُوَفّيه به، أو لسدِّ فاقةٍ في ذلك الوقت الذي أنا فيه فقط، ومن شكَّ في وصولي إلى هذا المقام فالله تعالى يغفر لي وله إن شاء الله. وانظر: الدرر واللمع في بيان الصدق في الزهد والورع للمصنف (ص٣٢) طبع بتحقيقنا.

وإيضاح ذلك أن النفس حيث أطلقت في كلام القوم، فالمراد بها المحجوبة عن حضرة الله تعالى برعوناتها البشرية.

وهي المرادة في هذا الخلق، فإذا انجلت زالت حجبها وصارت ملكية، فيجب على صاحبها موافقتها؛ لكونها صارت لا تأمره إلا بما يأمره به ربها ﷻ، كما هو مشهور بين أهل الكشف.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف مقامهم حتى لا تنسى نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يحنُّ أحدهم إلى غروب الشمس ودخول الليل كما تحن الوالدة إلى الاجتماع بولدها بعد غيبته الطويلة، أو كما يحن العطشان الذي أشرف على الهلاك إلى الماء، وذلك لأن الله تعالى جعل النهار للمعاش وللاجتماع بالناس، وجعل الليل لمحادثته ومناجاته والسير معه.

وهذا دأب المريد ما دام سالكًا.

فإذا بلغ درجة الكمال تساوى عنده الليل والنهار في الحضور مع الله، وصار لا يشغله عن الله شاغلٌ، ويحن إلى كل وقتٍ من ليلٍ أو نهارٍ.

فعلم أن كل مريدٍ لم يحن إلى دخول الليل لأجل السهر في العبادة فهو كاذبٌ في دعواه الإرادة.

وفي بعض الكتب الإلهية: يا عبدي جعلت النهار لمعاشك، وجعلت الليل للسهر معي، فاشتغلت عني بالنهار، ونمت عني بالليل، فخسرت مجالستي في الدارين. انتهى.

لأن العبد لا يجالس ربه في الآخرة إلا في مثل الوقت الذي جالسه فيه في دار الدنيا، غير أن مدة مجالسة العبد لربه في الآخرة أطول زمنًا، فعلم أن مثل مجالسة العبد ربه في الدنيا كالنواة التي تنبت منها النجم والشجر، وعلم أن كل ساعةٍ لم يجالس العبد فيها ربه في الدنيا فلا حظ له في مجالسته في الآخرة، وإن كل من جالسه مقدار درجة مثلاً امتدَّت له مجالسته تعالى في الآخرة بقدر همته وعزمه في دار الدنيا، هكذا ذكره أهل الكشف.

ويؤيده قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** [الطور:١٦]، **﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** [النحل:٣٢]، ونحوهما من الآيات.

وقد يتفضَّل الله تعالى على بعض عباده بالمجالسة له في وقتٍ لم يكن جالسه فيه في الدنيا، لأنها دار خرق فيها العوائد.

فاعلم ذلك، واعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف مقامهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يتقيَّد أحدهم بظاهر الكتاب والسُّنة، ولا يتزيَّن برأي لم يجد له دليلاً، ولا يدعو بدعاءٍ مخترعٍ بصلاته قط؛ لأنها حضرة الله تعالى وحضرة رسوله ﷺ.

وقد ورد في السُّنة ما يغني العبد عن الأدعية المخترعة، فلا ينبغي لأحدٍ مزاحمة الشارع في التشريع، فيكون مبتدعًا بحضرته مع قدرته على الوصول إلى اتباعه بحفظ أدعيته المأثورة عنه، وكل من تأمل أن المخترعين للأدعية فيما ورد عن رسول الله ﷺ وجده أعم وأكمل من كل شيءٍ اخترعه هو؛ لأن دائرة علمه ﷺ بأحكامه أوسع الدوائر، فجميع الأنبياء والأئمة محبوسة في دائرته ﷺ.

وأيضًا فإن الدعاء بما ورد مرجو الإجابة؛ لأن الله تعالى ما أمرنا بالدعاء إلا لأنه يريد بخلاف الدعاء الذي اخترعناه، فقد لا يجيبنا الحق فيه؛ لاختراعنا وسوء أدبنا مع رسوله ﷺ، بعد أن علمنا قوله ﷺ: ((**ما تركت شيئًا يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به، ولا تركت شيئًا يبعدكم عن الله إلا وقد نهيتكم عنه**[1])). انتهى.

فعلم أن كل مريدٍ تقيَّد في أعماله وأقواله وعقائده على الكتاب والسُّنة فهو أسرع في سيره إلى حضرة ربه، ومن هنا طالت الطريق غالبًا على المريدين، وماتوا ولم يصلوا إلى مقامات الكمال؛ لسلوكهم بالآراء والبدع.

فاعلم ذلك، واعرضه على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يتعاطى أحدهم أسباب الشهرة ولو بميل نفسه إليها، حتى أن بعض الصادقين لما طفح النور على وجهه من كثرة الأعمال الخالصة، وتميز بذلك بين الأقران سأل الله تعالى في سجوده أن يحول ذلك النور من وجهه إلى قلبه، فحوله الله تعالى في الوقت لموضع صدقه.

ومما وقع أني كنت جالسًا عند سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى فمرَّ علينا رجلٌ والنور طافحٌ من وجهه، فقلت للشيخ: انظر يا سيدي شدة هذا النور الذي على وجه هذا

---

(١) رواه الدارقطني في العلل (٥/٢٧٣).

الرجل، فنظر إليه وقال: اللهم اكفنا السوء، فقلت له: كيف؟ فقال: إن الله إذا أراد بعبد خيرًا جعل نوره في قلبه؛ ليعرف ما يأتي وما يذر من الأعمال، وإذا أراد به سوءًا جعل نوره على وجهه، وعرى قلبه من النور، فهو يقع في كل محظورٍ ولا يهتدي لتركه، فقلت له: فإن جعل الله النور على وجهه من غير واسطة ميل إلى ذلك، فقال: إن العبد لا يأتيه شيءٌ من خيرٍ وشرٌ إلا مع مقدمات النفس إلى ذلك، ومن هنا وقع التكليف.

وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول أيضًا: من شأن المريد الصادق أن يدفع أسباب الشهرة عنه بالقلب، فلا يظهر على وجهه قط نورًا، ولا يقبل أحد يده فضلاً عن رجله، والكاذب يقبل ذلك، فعلم أن العبد لو حقق النظر في كل ما يقع على يده لوجده، إنما يصل بواسطة محرم يقبل عليه.

فاعلم ذلك، واعرض يا أخي هذا الخلق على إخوانك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أخذهم بعزائم الشريعة، ولا يزالون لرخصها إلا عند الضرورة، وذلك لأن الرخص إنما جعلت للضعفاء من القوم وأصحاب الأشغال الشاقة، وأما الفقراء فليس لهم إلا الاشتغال بالله تعالى، وقد أجمعوا أن الفقير إذا انحط من عزائم الشريعة إلى رخصها فقد فسخ عهد شيخه الذي كان عاهده عليه من اقتحام الشدائد؛ لأن المحب للعبادة لا يصرفه عنها صارفٌ، ولا ترده عنها السيوف والمتالف، كالجهاد في سبيل الله على حدٌ سواء.

واعلم أن المريد متى أكل أو لبس مما فيه شبهة مثلاً، كطعام المباشرين وأعوان الظلم من غير ضرورة، فهو بطالٌ لا يجئ منه شيء في الطريق، فلينفض شيخه يده منه.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على مريدي أهل عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكتم أحدهم أعماله الصالحة من النوافل عن الناس، ولا يظهر شيئًا منها حتى يتمكن في الطريق، وقد أجمع الأشياخ كلهم على أن كل مريدٍ أحب الظهور ونشر الصيت بين أقرانه فهو كاذبٌ في محبة طريق أهل الله تعالى، والكاذب لا يصلح للطريق.

وقد أجمعوا على أن مريد بنى أمره على الكذب، لا يصلح له أن يشم من الصدق رائحة، كما أن من بنى أمره على الصدق فهو محفوظٌ من الدعاوى الكاذبة إلى أن يموت، وذلك أن شجرة الكذب لا يمكن لفروعها أن تخرج عن أصولها.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: من أقوى سلاح الشيطان على المريد أن يتغير من الناس إذا اتهموه، فإذا فعل ذلك وقد أعطى الشيطان سلاحه الذي يقتله به، وكفاه المؤنة. انتهى.

فعلم أن كل مريدٍ رمي بفاحشةٍ أو رياءٍ أو زندقةٍ وتغيرت منه شعرة فهو كاذبٌ في محبة أهل الطريق؛ لأنَّ الصادق لا يُراعي إلاَّ الله ﷻ، ولا يلتفت إلى ذم الخلق ولا إلى مدحهم.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدَّعي الصدق من مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يعتني أحدهم بالعبادة والإقبال على حضرة ربه بعد الصبح وبعد العصر، أكثر من اعتنائه بما ذكر في غير هذين الوقتين، كما درج عليه الصادقون، فكان أحدهم إذا صلَّى الصبح أو العصر يستمر في العبادة إلى طلوع الشمس أو غروبها، ولا يصير له التفات إلى شيءٍ من أمور الدنيا، وذلك لأن ملائكة النهار ينـــزلون من طلوع الفجر، وملائكة الليل ينـــزلون من صلاة العصر، فيجتمعون مع ملائكة الليل وملائكة النهار، فيصير على العبد في هاتين الوقتين للحظتين أربع من الملائكة، يشهدون عليه عند الحاجة إذا وقع أنه كذب الملكين الموكلين به في ليلٍ أو نهارٍ.

وهذا الخلق قلَّ من يتنبه له من المريدين، بل بعضهم ربما كان في هاتين يضحك ويلعب، أو يتعاطى شيئًا من المحرمات، وذلك في غاية سوء الأدب وقلة الحياء، كمن يرسل الله تعالى له أربعة أملاك يأتون بصحيفته ليعرضوها على ربه، فيرسل لربه ضحكًا أو لعبًا أو معاصي يستحي من ذكرها، فضلاً عن الوقوع فيها.

وقد أدركت سيدي محمد بن عنان وسيدي علي الخواص رضي الله عنهما إذا صلَّى أحدهما الصبح أو العصر يصير كأنه لا يعرف أحدًا من الخلق، ولا يجيبه بكلمة لغو حتى تطلع الشمس ويصلِّي الضحى، أو حتى تغرب الشمس ويصلِّي المغرب، وكانا يذكران أن ذلك شأنهما من حين كانا في سن الصبا.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف صدقهم أو كذبهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ما دام أحدهم قاصرًا ألا يتزوج غير واحدةٍ، ثم إذا ترقَّى في المقام تزوج أخرى إن

شاء، ثم هكذا إلى الأربع، وليس له التزوج بأكثر من واحدةٍ إذا خاف على نفسه عدم القيام بالعدل بينهما أو بينهن؛ لأن التزوج أكثر من واحدةٍ إنما يكون لمن أحسن من نفسه الترقي إلى مقامات الرجال، وشهود مشاهدهم، فهناك لا يخاف عليه عدم العدل بين النساء؛ لأنه حينئذٍ محفوظ بعناية الله عن الزيغ؛ لخروجه عن حظ نفسه، فإن الأكابر لا يتزوجون إلا لمحض رضا رسول الله ﷺ، بامتثال أمره في قوله: ((**تزوَّجوا الولود الودود؛ فإني مكاثرٌ بكم الأمم يوم القيامة**[1])).

فلا يتزوج لقضاء شهوة نفسه من جماعٍ أو حصول أولاد؛ لأن ذلك إنما محله الدار الآخرة، فإن أهل الجنة ينكحون لمجرد اللذة دون النسل، وقد يجعل الله تعالى مثل ذلك للخواص في هذه الدار من غير أن ينقص لهم أجر، فعلم أن من كان مشهده امتثال أمر رسول الله ﷺ بالتزوج بأكثر من واحدةٍ فلا حرج عليه؛ لأن مراعاة خاطر رسول الله ﷺ أولى من مراعاة خاطر امرأة قد تكون فاسقة، لا تصلّي لربها ركعة، مع أن كل من تزوج لامتثال أمر الله تعالى دون حظ النفس محفوظ من الجور وعدم العدل.

بنص الحديث وهو قوله ﷺ فيما رواه البيهقي وغيره: ((**مَنْ تزوَّج لله كفي ووقي**[2])).

وذكر الشيخ محيي الدين في الفتوحات: إن من شأن القطب الغوث محبة النكاح؛ لما فيه من التحقق بالعجز الذي هو أكبر أوصاف العبودية، فتراه يفني العبد عن شهوة نفسه حال الوقاع، ويقهره تحت الحجاب. انتهى.

وهذا مشهد خاص بالأقطاب، وقد يعطيه الله تعالى لمن شاء من عباده، فعلم أيضًا أنه ليس للمريد أن يتشبه في ذلك بالأشياخ الذين يتزوجون فوق الواحدة لحفظهم من الجور دونه.

قالوا: وليس في قواطع الطريق قاطع أقوى من الجماع، فربما يجامع أحدهم المرة الواحدة فترده تلك المرة إلى أنزل من مقامه قبل دخول الطريق، كما جُرِّب، فليكن المريد على حذرٍ من كثرة الجماع.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه البيهقي في الكبرى (٨١/٧)، والطبراني في الكبير (٢١٩/٢٠).

(٢) لم أقف عليه.

ومن أخلاقهم:

ألا ينام أحدهم في بيتٍ فيه جنب؛ لقوله ﷺ: ((**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه جنب**[1])). انتهى.

ومعلوم أن الملائكة إذا لم تدخل ذلك البيت فهو مأوى الشياطين، فينبغي للعبد إذا جامع واغتسل دون زوجته أن ينام في مكانٍ آخر إلا لضرورة شرعية، وهذا خلق ما رأيت له ذائقًا إلى وقتي هذا.

فاعمل به، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا ينام أحدهم إلا عن غلبة؛ لأن النوم بين يدي الله تعالى عبث يجر إلى المقت؛ لعدم تعظيم حرمة ربه، وإذا اطلع الله تعالى على قلبِ مريدٍ فرأى فيه قلة التعظيم له يمقته، لا سيما إن نام من غير غلبة وإخوانهم مستيقظون مع الشيخ، فإن ذلك يزيده مقتًا، فإن الإنسان ربما يكسل إذا رأى إخوانه نائمين فله رائحة عذر، بخلاف ما إذا رآهم مستيقظين، وربما نظر الشيخ إلى نومه عبثًا فمقته، غيرة لجناب الله ﷻ، فلا يفلح بعدها أبدًا، فإن مقت الله تعالى أحق من مقت الشيخ؛ لغلبة رحمة الله تعالى على غضبه، فمقته مخلوط برحمة، ولا هكذا مقت العبد لبعض الفاسقين؛ لأنه لا يكاد يوجد فيه رحمة بل هو محض انتقام، كما سيأتي.

ومن هنا يعلم معنى قول أبي يزيد[2] حين سمع قارئًا يقول: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾

---

(١) رواه أحمد (١/٨٣)، والبزار في مسنده (٣/٩٩).

(٢) هو الإمام الشيخ القطب: اسمه طيفور بن عيسى بن شروشان وكان جده مجوسيًا فأسلم وكان سبب إسلامه على ما ذكره شيخ المشايخ أبو عبد الله محمد بن علي الداستاني البسطامي قدس الله روحه أنه كان يخالط شروشان ولد إبراهيم الذي ورد بسطام في أول الإسلام فلام إبراهيم ولده وأنكر عليه صحبة شروشان، وقال له: رجل مجوسي تصاحبه؟ فقال لوالده: هو رجل مرضي الخصال لا يرد السؤال عن السؤال سخي وفي وإنما أحبه لذلك، فقال له والده: قل له: إن أبي يجيئك ضيفًا، فأخبره فقال: نعم إن فعل فعلي الهدية والكرامة، فلما حضر إبراهيم وأحضر شروشان الطعام. قال له: لا آكله حتى تعطيني مرادي وتقضي حاجتي. قال: وما ذاك؟. قال: أن تسلم. قال: أفعل وكرامة، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده رسوله، فكان هذا سبب إسلامه. وقد كثر اسم طيفور في قبيلته وقومه في يومه وغير يومه، وفي الأجانب من كل جانب كانوا يسمون باسمه ويكنون بكنيته تبركًا واستسعادًا، ولكن هو ذلك الطيفور الذي هو نور على نور، ولا زال المشايخ المتقدمون في عصره يزورونه ويتبركون بدعائه وهو عندهم من أجل العباد والزهاد وأهل المعرفة بالله. قد فاق أهل عصره بالورع والاجتهاد ودوام الذكر لله

=

[البروج:١٢]، فقال: بطشي أشد من بطش الله تعالى: أي بطش الله مخلوطٌ برحمة؛ لأن الربوبية لا تنتقم لنفسها، ولا هكذا بطش العبد، فإنه محض انتقام لا يشوبه رحمة، فتحمله الغيرة لله تعالى ألا يكون له رحمة لمن عصاه، كما هو مشاهد في حق السلطان، فربما قتل نفسًا في كلمةٍ قالها إنسان في حقه، ولم يكتفِ بحبسه وضربه، فافهم.

ووالله إني لأغار لله تعالى في ليلة الجمعة التي تحييها من الإخوان، وأمقت كل من رأيته نام من غلبةٍ، فيصبح وأثر المقت على وجهه لا يخفى إلا على أعمى القلب، كما في أمد كل من رأيته سهرانًا، فأصير أمده بمددي إلى الصباح، عكس من أمقته؛ فإني أمده بمقت بعد مقتٍ إلى الصباح، ويمشي الله تعالى الأمر في كلٍّ من الشخصين، وقد تناعس بعض الإخوان ليلةً فوضعت يدي في كفه كهيئة الذي يعد له دراهم، فاستيقظ وطار النوم من عينيه، وذلك لغلبة محبته الدنيا على محبة ربه في قلبه.

تعالى حتى بال الدم من خشية الله تعالى.

قال الشيخ أبو عبد الرحمن السُّلمي رحمه الله: مات أبو زيد عن ثلاث وسبعين سنة، وهو من قدماء مشايخ القوم له كلام حسن في المعاملات، ويحكى عنه في الشطح أشياء منهــا ما لا يصح ويكون مقولاً عليه يرجع إلى أحوال سنية وفراسة حادة ورياضة لأصحابه حسنة. مات سنة إحدى وستين ومائتين، وقيل: أربع وثلاثين ومائتين.

من كلامه: مددت رجلي ليلةً في محرابي، فهتف بي هاتف: من يجالس الملوك ينبغي أن يجالسهم بحسن الأدب.

وسُئل عن السُّنة والفريضة، فقال: السُّنة: ترك الدنيا بأسرها، والفريضة: الصحبة مع الله سبحانه وتعالى، وذلك لأن السُّنة كلها تدل على ترك الدنيا، والكتاب كله يدل على صحبة المولى.

وكان يقول: رأيت رب العزة تبارك وتعالى في النوم، فقلت: يا رب كيف السبيل إلى الوصول إليك؟ فقال: فارق نفسك وتعالَ إليّ.

وقيل له: متى يكون الرجل متواضعًا؟ فقال: إذا لم يرَ لنفسه مقامًا، ولا يرى أن في الخلق من هو شر منه.ودخل على أبي يزيد عالم بلده وفقيهها يومًا، فقال: يا أبا يزيد أخذت علمك هذا عن من؟ وممن؟ ومن أين؟ فقال له أبو يزيد: علمي هذا من عطاء الله، وعن الله، ومن حيث قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عمل بما يعلم ورثه علم ما لم يعلم»، فسكت الفقيه.

وسُئل أبو علي الجرجاني عن الألفاظ التي تحكي عن أبي يزيد فقال: يسلم له حاله؛ فإنه يتكلم على حد غلبة، أو حال سكر، ومن أراد أن يرتقي إلى مقام أبي يزيد فليجاهد نفسه كما جاهد أبو يزيد، فهناك يفهم كلام أبي يزيد ﷺ. وانظر: روضة الحبور في مناقبه لابن الأطعاني (بتحقيقنا).

وربما يقول أحدهم: إني مغلوبٌ في محبتي للدنيا وتقديمها على الآخرة. فنقول له: ادخل في يد المربي؛ يوصلك إلى مقام يزول فيه حب الدنيا من قلبك، ويسكن محبة الله ﷻ، فإنه لا يبعد مع المربي مقام، إنما يكون ذلك عند فقد المربي، أو مع وجوده وعدم السماع لقوله.

وأعرف جماعة يخادعون الله ويخادعونني، ويدعون النوم للعبه أوقات الذِّكر والخير، وإذا عمل أحدهم مولدًا أو عرسًا يصير سهران تلك الليلة لا يأخذه نوم؛ للقوة الداعية إلى الدنيا، وضعفها في أعمال الآخرة.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف صدقهم أو كذبهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم تعلق أحدهم من وقوعه في الشدائد التي تطرقه أوائل دخوله في الطريق، فإنه لا بدَّ لأهل الله تعالى من وقوع ذلك لهم شاءوا أم أبوا؛ لأنهم أهل دعوة لمحبة لله تعالى في بدايتهم، وكل مدعٍ ممتحن، فلا يزال أحدهم يُبتلى حتى تزول عنه جميع الدعاوى الظاهرة للناس، ثم يُبتلى من بعد ذلك من حيث سريرته، فلا يزال كذلك حتى يدخل الجنة، هذا ما عليه عامة المتصوفة.

وأما على مذهب المحققين فما من أحدٍ إلا وهو مدع ولو ارتفعت درجته؛ لأن الصفات البشرية ترق ولا تنقطع.

وما خرج عن ذلك إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وجميع ما ينالهم من الشدائد، فليس هو من باب الامتحان، وإنما هو لتتقدي بهم أممهم فافهم.

ثم إن أصل وقوع الشدائد للمريد في بدايته إنما هو لبيان عزة الطريق، وعز سلوكها على غالب الناس؛ إذ هي طرفٌ مع النفس والهوى والشدائد؛ لأن الأصلح فيها جنبها في الله تعالى، وهذا يجعل النفس في الحق على الدوام عليه إلا إن حقته العناية الرُّبانية، ولولا ذلك لكان غالب الناس أولياء، وربما يلقن الولي نحو ثلاثين ألفًا، فلا يصح منهم إلا واحد، والباقي لا يشمون من الطريق رائحة وإن تحلوا بملابس الفقراء، كما شاهدنا ذلك في الأشياخ الذين أدركناهم.

وكان سيدي محمد السروي رحمه الله[1] يقول: لقنت لأكثر من ثلاثين ألفًا، فطلع

---

(١) سبق ترجمته.

منهم محمد الشناوي.

وسمعته مرة أخرى يقول: لا يقع الامتحان إلا للصادق من المريدين، وأما المرائي فعمله حابط من أصله ولو عبد الله تعالى إلى يوم القيامة، ومثل هذا قد كفى إبليس المؤنة، فيستدل على صدق المريد بكثرة الابتلاء له.

فاعرض يا أخي ذلك على مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

قبل أن يجد أحدهم الشيخ المعد لتربية المريدين أن يخالف نفسه في كل ما تهواه حتى في نوافل العبادات، فإنها لا تستحلي عبادة إلا إن كان فيها حظ لها من رياءٍ أو عجبٍ أو تكبرٍ ونحو ذلك، وقد عمل بهذا الخلق بعض الرهبان، فعرض على نفسه الإسلام فثقل عليها فخالفها وأسلم، فانشرح صدره بعد ذلك للإسلام، وصار يضيق من صفات الصغار، وخرج عن قولنا قبل أن يجد الشيخ، أما إذا وجده فإنه يجب عليه الامتثال بما يأمره شيخه سواء وافق هواه أو خالفه، ثم لو قدر أنه نهاه عن عبادةٍ فإنما ذلك لما رآه فيها من عدم الإخلاص، وإن كان الشيخ حاذقًا فهو يأمره بكثرة ذِكر اسم الله تعالى، والدوام على ذلك حتى يحصل الجلاء من الرياء في القلب، ويصير يدرك الحق والباطل حتى لو خُيِّر بين نشره بالمناشير وبين الرياء في عبادته، لاختار النشر ولا يشرك بالله شيئًا في عبادته.

وقد أجمع الأشياخ كلهم على أنه ليس للقلب جلاء أسرع من جلاء الذكر، وجعلوه كالحصن للنحاس المصدي، وجعلوا غيره من سائر العبادات كالصابون للنحاس، فيا طول تعبه! ويا طول زمن جلائه.

فعلم أن من طلب الطريق بتلاوة القرآن أو كثرة الصلاة مثلاً، فيا طول تعبه؛ لأن تلاوة القرآن والصلاة إنما هما من أوراد الكُمَّل من الأولياء الذين عرفوا الله تعالى المعرفة المشهورة بين القوم.

وعلامة الكمال أن تصير العلوم تخلع عليه في كل تلاوةٍ حال التلاوة، ولا يحتاج في استخراجها إلى تفكر حتى لو كرر الآية ألف مرة، خلع عليه في كل مرةٍ علوم لم تخلع عليه قبل ذلك، فما دام التالي لا تخلع عليه العلوم في كل مرةٍ فاستعمال الذِّكر له أولى.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يقيم أحدهم في موضع يعتقده الناس فيه؛ لأن ذلك سمٌّ قاتلٌ له وهو لا يشعر، وأيضًا لا يعمل الأعمال ليفوق بها على أقرانه؛ لأن ذلك دليل على العجب وعدم الإخلاص، وإنما يقيم في موضع الإنكار والاعتراض على أفعاله وأقواله حتى يتفحل ويبلغ مبالغ الرجال، وفي ذلك من الأمان ما لا يخفى على صادق.

ثم إذا اكتفى بعلم الله تعالى فيه، وصار لا يلتفت لذم الخلق ولا مدحهم فله أدب آخر فيه مفصل، ثم إن كثرة الاعتقاد في العبد إنما هي تابعة لصدقه وعلو همته، فإن المرائي الكسلان لا يعتقده أحد، وهو يُذل في كل محلٍّ أقام فيه.

وكان سيدي محمد الشناوي رحمه الله يقول: من صدق المرء أن يكون على عبادة الثقلين، ومع ذلك لا يعتقده أحد لدفعه الناس عنه لصدقه، فإن الناس ما اعتقدوا في مريد إلا لعدم صدقه، وميله إلى شكرهم له في الباطن، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾ [الشورى: ٣٠].

فاعرض يا أخي ما ذكرناه على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا كان أحدهم لا يجد في بلده من يربيه فله أن يسافر إلى من هو منصوب إلى تربية المريدين في عصره، ولو كان بينه وبينه مسيرة سنة وأكثر، لاسيما إن كان أحدهم مبتلى بشيء من الأمراض الظاهرة أو الباطنة؛ ليخرجه من تلك البلية بحسن معرفته وسياسته، وذلك كحب حدث أو جاه أو رئاسة، فإن كل ما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجبٌ، وقد أجمع العلماء كلهم على وجوب علاج الأمراض الباطنة، كالظاهرة عن حد سواء؛ لما ورد في ارتكابها من الوعيد الشديد، ولا يتواهن في السفر إلى من يخرجه عن ذلك إلا كل شقيٍّ مطرودٍ عن حضرة ربه ممقوت.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تجد أكثرهم مرتكبًا جملة من الكبائر، فضلاً عن الصغائر، وما منهم أحد يطلب دواءه ممن هو في بلده من المشايخ فضلاً عن كونه يسافر إليه، ولا تنسَ أن تعرض ذلك على نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا سافر أحدهم لشيخ بقصد أن يأخذ عليه الطريق وقابله بالجفاء وعدم البشاشة فليصبر على ذلك، ولا يرجع عنه بل يجب عليه الاعتناء به أكثر، وحمله على أنه إنما يفعل

ذلك بيانًا لمعرفة همة ذلك المريد، وبيانًا لعزة الطريق وأهلها، فإن من شأن الطالب احتمال الذل في طريق تحصيله، ومن شأن المطلوب منه ذلك العزة.

قال سيدي عمر بن الفارض رحمه الله تعالى:

مـــني بــــه ذُلّ الخَـــضُوعِ ومنهُ لي ◦ عِـــزّ المَـــنُوعِ وقــــوّةُ المُسْتَـــضْعَفِ

وقال أيضًا:

لَـــوْ قَـــالَ تيهًا: قِفْ عَلَى جمرِ الغَضا ◦ لَـــوَقَفْتُ ممتَـــثِلاً، ولم أتوَقَّـــفِ

إلى آخر ما قال[1].

ثم إن هذا الأمر لا يقع من الشيخ إلا في حق من تفرس فيه بعض خيانة، أما من تفرس فيه الصدق فلا يحتاج إلى امتحانٍ، وعلى ذلك يُحمل حال من عبس في وجهه المريد أول قدومه عليه، ومن رحب به، فافهم.

فإن سيدي علي الخواص كان يقول: إذا جاءكم المريد يطلب أخذ العهد عليه فلا تقولوا له: اصبر؛ فإن ذلك يخمد نار عزيمته. انتهى.

وقد جاءني مرة ثلاثة من طلبة العلم الشريف من جامع الأزهر، يطلبون الطريق فتفرست فيهم عدم الصدق، فقلت لهم: هل بلغ أحدكم مرتبة الإفتاء والتدريس؟ فقالوا: لا، فقلت لهم: لا تطلبوا الطريق حتى تبلغوا ذلك. فرجعوا في الحال عمّا كانوا جاءوا لأجله، وعلمت أنهم إنما جاءوا بشهوة نفس، فإن الطريق كلها مبنية على مخالفة الهوى والنفس.

وقد قال القوم: لا يمتثل لشيءٍ دخلته النفس وإن كان علمًا أو عملاً؛ لأنه إلى الإثم أقرب، ولكن غالب طلبه العلم الآن محجوبون عن شهود عدم إخلاصهم في العلم والعمل.

ولو أن الشيخ قال لأحدهم: اترك هذا العلم حتى يصح لك مقام الإخلاص فيه لم يطعه، بل يصير يمزق في عرض الشيخ، فيقول في هذا: إن الشيخ يمنعني عن الاشتغال بالعلم الذي يقربني إلى الله تعالى، كما وقع ذلك في كثيرٍ من طلبة العلم، وقد درج الشباب الصالح كله على دوام اتهامهم أنفسهم في الإخلاص.

حتى إن الإمام النووي رحمه الله أوصى بغسل كتاب الروضة، وقال: في نفسي منها شيء، وكان يذهب إلى الشيخ حسن المراكشي خارج دمشق ويشاوره في المسائل التي

---

(١) انظر: ديوان سيدي ابن الفارض قدس الله سره (ص١٢٣، ١٢٤).

رجحها في مذهب الشافعي قبل أن يضعها في كتبه، ويقول: أخاف أن أنفرد بترجيح حكم فيكون وباله عليَّ يوم القيامة. انتهى.

واعلم أن كل مريدٍ لم يقبل عليه شيخه أو هجره بغير سببٍ ظاهرٍ فتقلقل، فهو كذابٌ في طلب الطريق، لا يجئ منه شيء.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدّعي الصدق من مريدي زمانك تعرف حاله، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا جاور أحدهم في زاوية شيخه على نية التربية أن يتنـــزه نفسه عن الوقوع فيما يطلبه الكذابون في تقريره في وظيفة في الزاوية، فإن كل من يطلب ذلك ولو بقلبه فقد خان عهد شيخه، فإذا خان عهده فليتب فورًا وليخرج من الزاوية، فإن لم يخرج فقد عرض نفسه للمقت كلما وقع بصر الشيخ عليه.

وقد وقع ذلك لبعض المجاورين عندي والمترددين إليَّ، فكلما وقع بصري على الواحد منهم نزل عليه المقت قهرًا عليَّ؛ لعدم استحقاق المدد، ولوقوعه بالاستهزاء بالطريق وأهلها.

ثم إذا ولَّى الشيخ أحدًا من الفقراء في وظيفةٍ، واتسع حاله فليتحمل كلفته عن الشيخ توسعة على إخوانه الذين لا وظيفة لهم في الزاوية ولا غيرها، أو لهم وظيفة ولكن لا تكفي عيالهم، ولا ينبغي لمن وسع الله عليه أن يزاحم المنقطعين في الخبز والطعام؛ لأنه ما وضع بالأصالة إلا للمنقطعين إلى الله تعالى، كأهل الصفة في عهد رسول الله ﷺ.

ولذلك لما مات شيخ من أهل الصفة ووجدوا في داخل إزاره دينارين، فقال ﷺ: **((كيتان من نار[1]))**. انتهى.

فعلم أنه لا يجوز للمجاورين أن يخالفوا الشيخ إذا أشار عليهم بشراء شيء من القوت والأدم كل سنة، ويعمل بذلك حلوًا لعياله، كما يقع فيه المخالفون لعهد شيخهم، فإن ذلك حرام بين القوم، وربما جره إلى مقت الشيخ له، فلا يفلح بعدها أبدًا، وربما يبش الشيخ في وجهه وهو ماقتٌ له بقلبه، فليحذر المجاور من مثل ذلك؛ فإنه عقوقٌ للوالد ولا يخفى حكمه.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) لم نقف عليه هكذا.

ومن أخلاقهم:

ألا يعد أحدهم نفسه من المريدين حتى يجاوز هذه العقبات الثلاث وهي: محبة الدنيا، والعمل لأجل الثواب، وتحمل البلايا والمحن إذا ترادفت عليه، وعدم القلق منها، بحيث يطلب الإقالة من البلاء، فمن لم يجاوز هذه الثلاث عقبات فهو لم يشم من طريق الصادقين شمة؛ لأن أول السير في طريق أهل الله تعالى لا يكون إلا بعد ذلك، وهناك يطلب الله تعالى صادقًا، يعني يطلب طريق معرفة الآداب المتعلقة بحضرته تعالى فافهم.

ومحك الصدق في عدم ميله إلى الدنيا أن يتساوى عنده الذهب والزبل على حدٍّ سواء، ومحك صدقه في طلب الآخرة أن يصبر وينشرح كلما وعده الله تعالى عليه بالثواب، كضربه وحبسه وتمزيق عرضه ونحو ذلك بغير حقٍّ.

وقد بلغنا أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الخلق تسارعوا إلى حضرته ووقفوا كلهم بين يديه، فقال تعالى لهم: من أنتم؟ وهو أعلم بهم، فقالوا بأجمعهم: نحن المحبون لك، فقال تعالى: انظروا ماذا تقولون، فإن المحب لا يصرفه عن محبوبه صارف، ولا ترده السيوف والمتالف.

فقالوا: ها نحن بين يديك فامتحنا بما شئت. فخلق الله تعالى لهم الدنيا وزينها في أعينهم، ففرَّ إليها من بين يديه تسعة أعشارهم وبقي العشر.

فقال لهم الحق تعالى ثانيًا: من أنتم؟ فقالوا: محبوك. فخلق لهم الجنة وزيَّنها في أعينهم، ففرَّ منهم تسعة أعشار العشر، ثم خاطبهم الحق ثالثًا وقال لهم: من أنتم؟ فقالوا: محبوك. فابتلاهم في أبدانهم وأولادهم وأموالهم فثبتوا، وهو الذي ثبتهم من فضله، فقال لهم: أنتم عبيدي حقًا، لا إلى الدنيا والآخرة ذهبتم، ولا من البلاء فررتم، وأنتم خاصتي من خلقي، وذاك أول سيركم إلى حضرتي، فسيروا على اسم الله تعالى إلى حضرتي، غير ملتفتين إلى أحدٍ غيري، لأسبغ عليكم نعمتي، ولا أخرجكم من حضرتي أبدًا لابدين ودهر الداهرين. انتهى.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدَّعي الصدق من إخوانك، تعرف حاله ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

غض أحدهم بصره عن رؤية الصور المستحسنات التي لا يحل له نظرها أو يكره، فإن هذا النظر للقلب كالسهم المسموم، ومن وجد في قلبه ميلاً إلى مثل ذلك، فالواجب عليه أن يواصل الجوع بطريقه الشرعي، حتى يصير لا تدعوه نفسه إلى رؤية شيء من

شهوات الدنيا.

وكل من لا يسد عن نفسه باب النظر كما ذكرنا فليعلم أن الله خذله ومقته، فلا يجوز له لبس زي الفقراء، فضلاً عن الدعوى أنه منهم.

وهذا الخلق يخل به كثيرٌ من الفسقة الذين يجتمعون على المشايخ ولا يفهمون كلامهم في التوحيد، فيصير أحدهم يقول: كل حسنٍ في الوجود فهو من جمال الحق، وجمال الحق مطلوب من الخلق أن ينظروا إليه.

وهذا أقوى من دسائس إبليس عليهم، ومنهم اليوم طوائف كثيرة على هذا الحال يُسمُّون الإباحية، فيجب على كل مسلمٍ الإنكار عليهم، وهجران أفعالهم، ومنع الضعفاء من معاشرتهم.

وقد أنكرت مرة على واحدٍ منهم نظر إلى أمرد فقال لي: إنما نهى الله تعالى رؤية مثل ذلك للمحجوزين بحجاب الإيمان، وقد خرجت من حجاب الإيمان إلى مقام الكشف والشهود. فقلت له: يكذب البعيد، فإنك لو وصلت إلى مقام الكشف والشهود لكنت من أول المبادرين إلى امتثال أمره تعالى، واجتناب نهيه، فإن الذي ادعيت أنك صرت في حضرته هو الذي نهاك عن مثل ذلك، فلم أجد له جوابًا.

وقوله أنه خرج من حجاب الإيمان إلى الشهود جهلٌ منه؛ فإن حجاب الإيمان يرق مع صاحبه ولا ينقطع أبدًا، كما أوضحنا ذلك في كتاب المنن والأخلاق الكبرى فراجعه.

واعرض يا أخي هذا الأمر على مريدي عصرك، فكل من رأيته غاضًا بصره فاشهد له بالصدق وإلا فهو كاذبٌ، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يطالب أحدهم نفسه بالعمل بكل خلقٍ سمعه عن أحدٍ من أهل الطريق، وإذا لم تجبه نفسه إلى التخلق به، فيمنعها الأكل والشرب، وأن يلزمها بالوحدة والسكون، حتى تجبه، وهذا الخلق يخل به غالب من يدَّعي الصدق من مريدي هذا الزمان، فيقنع أحدهم بحفظ تلك الحكاية ويصير يحكيها للناس من غير تخلقٍ بما فيها من الآداب، وربما ظنَّ الناس أنه صار من الصوفية، فيصير يعتقده ويعظمه، فينقطع بذلك عن الطريق ويلتحق بحزب الشيطان، وأعرف من أهل هذا الحال اليوم جماعة لا يحصون.

ومن هنا أجمع الأشياخ على أن كل مريدٍ تكلم في مقامٍ من غير أن يذوقه مقت، ومُنع وصوله إلى ذلك المقام بعد ذلك عقوبةً له.

واعلم أنه لا يجوز لمريدٍ أن يقرر للناس كلامًا لم يتلبس هو به، وأنه يجب عليه

السكوت لو سُئل هو عنه خوفًا من الفتنة، كما درج عليه المريدون الصادقون، والله أعلم.

فاعرض يا أخي ذلك على من يدَّعي الصدق من إخوانك تعرف حاله، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يقع أحدهم في معصيةٍ بعد التوبة على يد الشيخ إلا ويعلم الشيخ بها؛ ليعلمه كيف التوبة منها، ويرشده إلى سد الباب الذي دخلت له المعصية منه، ويسأل الله تعالى قبول التوبة، ومتى كتم عن الشيخ شيئًا من المعاصي التي وقع فيها خان نفسه.

وما قوله ﷺ: **((ومَنْ ابتلي بشيءٍ من هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى[1]))** فهو محمولٌ على من يتظاهر بها حالَ وقوعها منه، أو على ذكرها لغير من يرشده إلى كيفية الخروج منها، أو على من لا يستغفر له.

هكذا قال بعض العارفين: إن أكبر من يقع في خيانة هذا العهد من وقع له إجازة من شيخه بالمشيخة، فيصير يقع في كل محظورٍ، ويخاف أن يحكيه لشيخه، وقد قالوا: شيخك وربك لا تكذب عليهما، وذلك لأن من تجرأ على الكذب على شيخه فيوشك أن يتحرى الكذب على الله تعالى؛ لأن الشيخ مرتبة إدمان للمريدين في مقام الصدق أو الكذب مع الله، فكان كل شيخٍ يقول لمريده: تعالَ أعلمك كيفية معاملتك مع الله تعالى، وأتحمل منك سوء الأدب الذي يقع منك في حقِّي، ثم أعلمك طريق الخلاص من ذلك، فإنه ما ثمَّ عارف بالله تعالى إلا وهو يحب أن يفدي جناب الحق تعالى بنفسه، واعلم أن الصادق لا يكتم عن شيخه شيئًا من خواطره التي تستقر فضلاً عن الأقوال والأفعال.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدَّعي الصدق من المريدين تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يأخذوا معلومًا على شيءٍ من الوظائف الدينية، كقراءة القرآن، والخطابة، والإمامة، والتدريس، والوعظ، وغير ذلك؛ إلا عند حصول الاضطرار بوجود شدة ألم الجوع أو البرد ونحوهما، ومتى وجد أحدهم اللقمة وما يستر عورته، ويرد عنه الأذى فلا ينبغي له أخذ شيء من ذلك المعلوم؛ لأن ذلك يوقفه عن السير، ومن كان يأخذ أجرة

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٢/٨٢٥).

عمله فلا ترقِّي له في المحبة عند من استعمله، بخلاف من يخدم سيده امتثالاً لأمره، ومحبةً في إظهار شعار شرع نبيه ﷺ، فإنه يترقَّى بذلك إلى فوق ما كان يؤمله من المقامات، كما هو مشاهد في خدام الملوك وغيرهم.

وكان سيدي عليٌّ الخواص رحمه الله يقول: من اضطر إلى أخذ معلوم وظيفة دينية فليأخذ ذلك بنية أنه ابتلي عطاء من الله ﷻ، لا في مقابلة ذلك للعمل.

قال: وهذا شأن المريد ما دام في مقام الشرك مع الله في الأعمال، فإذا بلغ إلى مقام توحيد الفعل لله تعالى وحده، ورأى نفسه إنما هو محل بروز ذلك للعمل لا غير، فهناك يصير يرى العمل لغيره، لا يخطر قط طلب أجرة عليه لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولولا أنه يستحي من الله تعالى أن يقول: (يا رب ليس لي شركة معك في فعلٍ من الأفعال) لقال ذلك، ولكنه أضاف الفعل إلى نفسه أدبًا مع الله تعالى، كما أضافه الحق تعالى بقوله: تعلمون، تفعلون، تكسبون، تصنعون، ونحو ذلك، فإنه لولا صحة إضافة الفعل إلى العبد ما صحَّ له تكليفه، كما أوضحنا الكلام على ذلك في كتاب المنن والإخلاص.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدَّعي الصدق في الإخلاص من المريدين تعرف حاله، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يأكل أحدهم من كسب امرأة لاسيما زوجته؛ لأن الله تعالى جعل الرجال قوامين على النساء، كل من أكل من كسب امرأة فهو من أردأ الناس، وكيف يليق لمن عنده أدنى مروءة أن يكون معدودًا من أعيال النساء.

وقد أجمع الأشياخ كلهم على أن من قبل رفقًا من امرأة فهو مخذولٌ، لا يجيء منه شيء في الطريق، وقد رأيت الأشياخ الذين أدركتهم أول النصف من القرن العاشر يمنعون تلامذتهم أن يأكلوا من وليمةٍ صنعتها امرأة، لكنها إن كانت نذرتها لشفاء ولدها مثلاً.

وما ورد من أن الصحابة كانوا يأكلون طعام امرأة كانت تصنعه لهم كل جمعةٍ، فذلك بتقدير الشارع ﷺ لهم على ذلك، فهو مستثنى مما نهى عنه الأشياخ.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدَّعي الصدق من مريدي عصرك تعرف حاله، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة التباعد عن أبناء الدنيا، لاسيما إن نهاهم شيخهم عن ذلك؛ لأن المريد لضعفه يسرق طبعه من طباع أبناء الدنيا، فيصير في طلب الدنيا وشهواتها كأحدهم ولو غلظ،

كما هو مشاهد فيمن يخالط الفقراء على صدق، فيصير يزدري لبس الجبة التي كان يلبسها في الزاوية والطعام الذي كان يأكله فيها، ويطلب أعلى من ذلك، ولا يتيسر له ذلك إلا بالدخول في الكسب بطريق حلال أو حرام، فيتلف ويخرج من طريق الزهد والقناعة التي كان عاهد شيخه عليها، وقد وقع مثل ذلك لبعض من خرج من طاعتي من المجاورين، فينقطع عن مجالس الذكر والعلم وتلاوة القرآن، وصار عليه ظلمة من شدة المقت، ولو أنه كان أطاعني وقنع بما في الزاوية من اللقمة والخرقة لكان عليه وعلى ثيابه النور، كالجماعة المقيمين في الزاوية، فلا حول ولا قوة ولا سعادة إلا من الله العلي العظيم.

وقد كان سيدي محمد الغمري ﷺ[1] يكره للفقير النظر إلى تحسين ثيابه، والجلوس على باب المسجد أو شباكه الذي على السوق، ويقول: إن ذلك يشغل قلب الفقير عن اتباع طريق القوم، فعلم أن كل فقيرٍ نهاه شيخه عن مثل ذلك، أو فرض له به وخالف فهو كذابٌ مخذولٌ ممقوتٌ، ولا يجيء منه شيء في الطريق.

فاعرض يا أخي ذلك على من يدَّعي الصدق من إخوانك تعرف حاله، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة حزن أحدهم على نفسه وتوبيخها، وعدم استحسان حالها كلما ازدادت من الأعمال الصالحة، ولا يرضى عنها أبدًا، وهذا الخلق قد قلَّ المتخلفون به هذا الزمان، بل ربما رأى أحدهم نفسه على شيخه، وقد رأيت طائفة من المريدين حتى ذاب قلبي من علاجهم، ثم تغيروا وانقلبوا من طريق الاستقامة.

فلا تسأل يا أخي ما حصل لي من الأسف عليهم، وذلك لتلبسهم على مرتبتهم، وكتمهم عني صفاتهم الخبيثة، فقضى عليهم ذلك التلبيس أواخر أعمالهم، ولو أنهم كانوا بنوا أمرهم على الصدق مع مربيهم، ولم يكتموا عنه شيئًا لمدهم بالصدق وأفلحوا.

وقد أجمع الأشياخ كلهم على أن كل من لم يوبخ نفسه، ويتهم نفسه على الدوام لحقه عجب، ونكص على عقبيه في أثناء الطريق.

وكان حكمه حكم النحل إذا اشرفت على ختام أقراص الشهد، ثم سرحت أواخر

---

(١) قال الشيخ المصنف: هو ابن سيدي أبي العباس الغمري، كان من الصفاء والصلاح على جانب عظيم، توفي سنة ٩٣٩ هـ بمصر ومسجده بالقاهرة. وانظر: الطبقات الكبرى (١٣٢/٢).

الختام على شجر الحنظل، فرعت منه ثم بحث ذلك على الأقراص فمررتها كلها. انتهى.

فوبخ يا أخي نفسك، ولا تحوج شيخك إلى توبيخك، وتعب سره فيك، فإنه ما وبخك إلا وأنت مستحسن أحوالك في الباطن، فأخرج الله تعالى له بعد ذلك ما كان في نفسك وصدقه وكذبك، وقد ربيت فقيرًا في باب بيتي، فكان يقوم بذكر الله ويصلِّي من الليل، فرأى نفسه أنه صار من المقرَّبين بذلك، ولولا لطف الله لخسف به باب البيت، وأحوجني إلى عمارته.

وقد ورد في بعض الكتب الإلهية: أنين العاصين أحب إِلَيَّ من زجل المسبحين. انتهى.

وذلك لأن العاصي يطلب بأنينه من الله المغفرة، والمسبح يطلب بزجله بالتسبيح مع العجب المقت، فليتنبه.

واعلم أن كل مريدٍ لم يرَ نفسه أنه قد استحقَّ الخسف به لولا حلم الله تعالى، فهو هالكٌ والسلام.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدَّعي الصدق من مريدي زمانك تعرف حاله، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم أكل أحدهم أو لبسه بالدين، أو إطعامه الضيف، كذلك بل يصبر أحدهم على الجوع والبرد حتى يوسع الله تعالى عليه.

وأما الضيف: فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وقد استعاذ رسول الله ﷺ من غلبة الدين وقهر الرجال[1].

فأما الدين: فإنه أثقل ما يكون على من يؤمن بيوم الحساب، ويعرف شدة ذلك اليوم وما فيه من الضيق، حتى أن الرجل ليأتي يوم القيامة بمثل عمل سبعين صديقًا، لا يظن بنفسه النجاة، ولا يمكن المديون أن يدخل الجنة وعليه ذرة من خردل، بل يُحبس عن الجنة حتى يوفي صاحبها من أعماله، ويتحمل على ظهره من سياطه، ثم يُطرح في النار كما ورد، ومثل ذلك من يستعاذ منه.

وأما قهر الرجال: فسبب استعاذته ﷺ منه، إنما هو من جهة حجاب صاحبه عن شهود أن الفعل لله ﷻ، فكأنه ﷺ استعاذ من إرخاء الحجاب عليه حتى يصير يرى الفعل

---

(١) رواه أبو داود (٢/٩٢)، والنسائي في الكبرى (٥/٤٤٨).

من الخلق، فيقهر إذًا ذلك، فإن أحدًا لا يقهر وهو يشهد الفعل لله أبدًا، فما ثمَّ عارف يقهر في الدنيا أبدًا إلا وهو محجوبٌ عمَّا ذكرناه.

وقد قال الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله[1]: ما قهرت في عمري قط، وذلك

---

(١) هو من تغني معرفته عن الإشارة إليه، وإن كانت معرفته مستحيلةً على غير أبناء جنسه، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، وأنشدوا:

إيَّـــاك واسم العامرية إنَّنـــي أغارُ عليها من فم المتكلِّم

أغارُ عليها أن يراها سوايَ بلْ أغارُ عليها أن أرها لغيرتي

فهو ممن ورثوا: (لا يعرف قدري غير ربِّي)، فكان من موروثه ﷺ مُربَى ولغيره مُربي، سُتروا في الدنيا؛ تخلقًا بأخلاق سيدهم، وغدًا: (أنا سيِّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر)، خاتم الولاية المحمدية، حجَّة الله على أوليائه، العين التي يشرب بها عباد الله، الولي، الكامل، المقرَّب، السند، العالم بالله تعالى، المؤيَّد من الله ورسوله في جميع شئونه، سيدنا محمد بن علي بن محمد الطائي الأندلسي، المعروف بالشيخ ابن العربي ﷺ، ونفعنا به في الدارين، آمين، وأماتنا على محبته ومحبة جميع الصالحين، آمين.

ولـــد ﷺ في يـــوم الإثنين السابع عشر من رمضان عام خمسمائة وستين هجرية، الموافق الثامن والعـــشرين مـــن يوليه سنة ألف ومائة وخمسٍ وستين ميلادية في مدينة مرسية (من أعمال ولاية اندالوزي) (إحدى ولايات الأندلس (المعروفة الآن بأسبانيا)، وكان أبوه من أئمة الفقه والحديث، ومن أعلام الزهد والتصوف، وكان جده أحد قضاة الأندلس وعلمائها، فنشأ نشأةً دينيَّةً نورانيَّةً صالحةً، وما كاد لسانه ﷺ يبين حتى دفع به والده إلى أبي بكر بن خلف عميد الفقهاء، فقرأ عليه القـــرآن الكريم بالسبع في كتاب الكافي، فما أتم العاشرة من عمره حتى كان مبرزًا في القراءات، ملـــهمًا في المعـــاني والإشارات، وكان ﷺ من الموقعين عند بعض ملوك المغرب، ثم أنه طرقه طارقٌ من الله، فخرج في البراري على وجهه، إلى أن نزل في قبرٍ، فمكث فيه مدةً، ثم خرج من القبر يتكلَّم بتلك العلوم التي نُقلت عنه.

وقال الشيخ المناوي في «الطبقات»، وقال بعضهم: برز الشيخ منفردًا مؤثرًا للتخلِّي والانعزال عن الناس ما أمكنه، حتى أنه كان لا يجتمع به إلا الأفراد، ثم آثر التأليف، فبرزت عنه مؤلفاتٌ لا نهاية لها، تدلُّ على سعة باعه في العلوم الظاهرة والباطنة، وأنه بلغ مبلغ الاجتهاد في الاختراع والاستنباط وتأسيس القواعد والمقاعد، التي لا يدركها ولا يحيط بها إلا من طالعها بحقها اهـــ.

ولم يزل سائحًا في كل بلدٍ بحسب الإذن المحمدي، ثم يرحل منها، ويخلف ما أُلفه من الكتب فيها، وكان آخر إقامته بالشام، وكان ﷺ متقيِّدًا بالكتاب، محمولاً بالسنَّة، ويقول:كل من رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك.

وله ﷺ كراماتٌ أكثر من أن تُحصى، ومن أجلِّها مؤلفاته التي لم يجد الزمان بمثلها، وعجز أرباب العقول العقيمة عن النسج على منوالها، ومنها: الإخبار به قبل زمنه على لسان الحكيم الترمذي حين ألف كتابه «ختم الأولياء»، فأخبر أنه لا يحلُّ تلك الأسئلة إلا رجلٌ من أهل

=

الولاية، يكون اسمه على اسمي واسم أبيه على اسم أبي، فكان هو الشيخ الأكبر؛ لأن اسم الحكيم الترمذي محمد بن علي، ومنها: إخباره ﷺ عن السلطان سليم وعن دخوله الشام قبل زمن هذا السلطان، فوقع الأمر على ما أخبر به، وبنى عليه السلطان قبره المعروف بسبب ذلك، واختلف الناس في شأنه ﷺ: بين معتقدٍ، أو مسلِّمٍ، أو منكرٍ، ونعوذ بالله من الإنكار، ذلك فضله يؤتيه من يشاء من عباده، لم تشاركه في خلقٍ حتى تشاركه في تقسيم، وإذا أردنا أن نبيِّن المنكرين من المعتقدين فلا بدَّ أن نأخذ في الاعتبار ما يلي:

أن كتب ومؤلفات الشيخ الأكبر ﷺ قد علمها واطَّلع عليها جميع علماء الإسلام من وقت الشيخ إلى يومنا هذا، ومن يقل بغير هذا فقد نسب الجهل إلى علماء الإسلام، وحاشاهم من ذلك؛ لأن كتبه وعقائده أشهر من أن يُشار إليها، وما من بلدٍ مسلمٍ أو حتى غير مسلمٍ إلا وكتب الشيخ موجودةٌ فيه، معلومةٌ عند علمائه، وإذا نظرنا إلى المتكلمين في كتب الشيخ وعقائده نجدهم كالآتي:

أولاً: المسلمون للشيخ علومه وسكتوا عن التكلُّم فيه، ومنهم شيخ الإسلام النووي، فإنه اُستفتي في الأمر، فكتب قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤١]، لكن الذي عندنا: أنه يحرم على كل عاقلٍ أن يسيء الظن بأحدٍ من أولياء الله ﷻ، ويجب عليه أن يؤول أقوالهم وأفعالهم ما دام لم يلحق بدرجتهم، ولا يعجز عن ذلك إلا قليل التوفيق.

وقال في «شرح المهذب»: ثم إذا أوِّل فليؤول إلى سبعين وجهًا، وإن لم يقبل عنه إلا تأويلاً واحدًا، ما ذلك إلا تعنُّتٌ اهـ.

ليت شعري! ومن يشتري لدينه مثل هذا الحبر الآن، وكذلك شيخه الخوري حين اُستفتي، فقال: اختلف فيه من الكفر إلى القطبانية، والتسليم واجبٌ، ومن لم يذق ما ذاقه القوم ويجاهد مجاهداتهم لا يسعه من الله الإنكار عليهم اهـ. وتبعهم على ذلك خلقٌ كثيرون؛ سالكين طريق السلامة.

ثانيًا: المنكرون علوم الشيخ ﷺ ومقامه: وهم فريقان: الأول: من قصد الإنكار لحسدٍ، أو حظِّ نفسٍ، أو نتيجة لما فهمه بفهمه السقيم لكلام الشيخ، وهم نفرٌ معدودون: كابن تيمية، وقام بالرد عليه كلا من: الشيخ محمد المزجاجي في كتابه «هداية السالك في أسنى المسالك»، والشيخ محمد المكي في كتابه «عين الحياة في معرفة الذات والأفعال والصفات»، والشيخ إبراهيم الكوراني (الملقَّب بمجدد الأشاعرة) في مواضع متفرقة من كتبه، والرد لذلك كتاب ((مطلع الجود في تحقيق التنـزيه في وحدة الوجود ومشرع الورود إلى مطاع الجود»، وهو شرحٌ على استشكال في الكتاب السابق، والشيخ النابلسي في كتابه «الرد المتين على منتقص العارف بالله سيدي محيي الدين»، وهو من أقواها في الرد، والشيخ الشعراني في كتابه «القول المبين في الرد عن الشيخ محيي الدين»، وهو يدافع عن الشيخ بنقل نصوصه، ومنهم كذلك القاري، والتفتازاني، وقام بالرد عليهما الشيخ عمر حفيد العطار الدمشقي في كتابه «الرد على المعترضين على الشيخ محيي

الدين»، وتناول كلامهما مسألةً مسألةً، وقد طُبع هذا الكتاب قديمًا، ومنهم أيضًا البقاعي، ورد عليه الجلال السيوطي في رسالته «تنبئة الغبي في تبرئة ابن العربي»، وكذلك الشيخ محمد بن جمعه الحصكفي في كتابه «ترياق الأفاعي في الرد على الخارجي البقاعي»، وإن كان سبب التأليف هو رسالة البقاعي في الشيخ ابن الفارض ﷺ، وكذلك قد أفتى في الشيخ ابن الخياط، وردَّ عليه العلامة الفيروزآبادي في كتابه «الرد على المعترضين على الشيخ محيي الدين»، أو «الاغتباط بمعالجة ابن الخياط»، أما العلاء البخاري وكذلك السخاوي فلم يخرج إنكارهما عن واحدٍ ممن ذُكروا، فكلامهم مكرَّرٌ، والرد على من ذكروا ردًا عليهم.

وأما الفريق الثاني ذكره الشيخ المناوي في «الطبقات»، فقال: فريقٌ قصد بإنكاره تنفير الناس عن مطالعة كتبه؛ لما اشتملت عليه من المشْكلات وغويص المعضلات، فلم يقصدوا بإنكارهم حظًا نفسانيًا.

قلت: ومنهم بعض الصوفية ممن يعتقدون بولايته وقطابته، مع نهي أتباعهم عن النظر في كتبه؛ خشية أن يفهموا بالفهم السقيم أقوال الشيخ، فيظن به سوءً، فيهلك مع الهالكين .

واعلم أني ذكرت لك ما وقفت عليه من المؤلفات مما هو تحت يدي، وإلا فإن الرد على الاعتراضات الوارد بسبب الفهم السقيم على الشيخ ﷺ كثيرةٌ، أكثر من أن تستقصى، ومنها على سبيل المثال «الجانب الغربي في حل مشكلات الشيخ ابن عربي» للشيخ محمد المكي، ولا يخفى عليك أيضًا أن الرد على من ذكروا منثورٌ في كتب القوم، وفي فتاوى مشايخ الإسلام ومؤلفاتهم، هذا فضلاً عن أن بعض من ذكروا عليه اختلافًا بين أهل الإسلام كابن تيمية فإن العلماء قاموا عليه في كثير من الأمور التي خرق بها إجماع المسلمين، كمسألة (الزيارة النبوية الشريفة) وغيرها من المسائل في علم الكلام، وراجع في ذلك «شفاء السقام» للتقي السبكي، «ودفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك للإمام أحمد» لتقي الدين الحصني، وغيرها كثيرًا ولكن العبرة عندنا في الدفاع عن الشيخ هي بالقول لا بالقائل، حتى وإن لم يكن معتبرًا عند أهل العلم.

ثالثًا: المدافعون عن الشيخ والمحبين له، وهم كل أهل التصوف من عصر الشيخ إلى قيام الساعة، وكل من كان محبًا لهم، أو تابعًا لهم من الفقهاء وعامة المسلمين، ونتبرك بذكرهم، فنقول: منهم العز بن عبد السلام، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وصلاح الدين الصفدي في تاريخ مصر، والشيخ زروق، فقال: هو أعرف بكل فنٍ من أهله، وحيث أطلق القوم (الشيخ الأكبر) فمقصودهم هو اهـــ.

والشيخ كمال الدين ابن الزملكاني قال في كتابه المؤلف في النبي والملك: كان الشيخ ابن عربي بحرًا زاخرًا في المعارف الإلهية.

والشيخ قطب الدين الشيرازي، وقاضي القضاة الشمس البساطي المالكي، وبدر الدين ابن جماعة، وقيل أن له شرحٌ على «الفصوص»، والشيخ تقي الدين السبكي، وقد ترجمه قائلاً: كان الشيخ محيي الدين آيةً من آيات الله.

والشيخ سراج الدين المخزومي، وألَّف في الرد عنه كتابًا حافلاً أكثر الشيخ الشعراني النقل منه في

مقدمة «اليواقيت»، وشدَّد فيه الشيخ المخزومي على أن شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني لم يفتِ في الشيخ بسوء، وجعل يستشهد لذلك.

وكان القاضي شمس الدين الخونجي الشافعي يخدمه خدمة العبيد.

والشيخ اليافعي في إرشاده، وكان يقول في ذلك: إن حكم إنكار هؤلاء الجهلة على أهل الطريق حكم ناموسة نفخت في الجبل تريد إزالته من مكانه بنفختها.

والشيخ محمدُ المغربي شيخ الجلال السيوطي، وغيرهم كثيرٌ مما لا يحصيهم العدُّ رضي الله عن جميعهم.

رابعًا: وهم ممن لم يعرف لهم إنكارٌ، ولا قولٌ بتسليم ولا محبّةٍ من علماء الإسلام، فالقول فيهم: أن جميعهم كما قدَّمنا قد علموا بمؤلفات الشيخ وعقيدته، وإلا للزمهم الجهل بأمور المسلمين، وإنهم مؤيِّدون لعقيدة الشيخ وعلومه، مقرُّون بعلوِّ منـــزلته ورفعته، وإلا لو كان الأمر كما توهمه المنكرون لأخذنا جميع علماء الإسلام بقول القائل: (الساكت عن الحق شيطانٌ أخرس)، وإما أن يكون سكوتهم لخوف المؤيدين للشيخ وهذا بعيدٌ، فلم يبق إلا أن يكونوا مقرِّين، فيكون كل من لم يفتِ في الشيخ بشيءٍ محبًا له، مقرًّا بعقيدته، وإنما كان المانع له عن تبيين القول ما رآه من سفسطة المنكرين، وقوة ما ردَّ به مشايخ الإسلام عليهم.

تعقيب: اُستفتي الحافظ الذهبي، وكان من المنكرين على الشيخ بسببُ «الفصوص» مع تقريره لجميع مؤلفاته عن قول الشيخ في «الفصوص»: أنه أُعطي الكتاب من الحضرة النبوية الشريفة؛ فقال: ما أظن أن مثل الشيخ محيي الدين يكذب أصلاً اهـــ.

فهل هذا يعدُّ رجوعًا عن قوله في «الفصوص»، الله أعلم !

تنبيه: اعلم أننا لا نعتبر أحدًا من مشايخ الإسلام المذكورين حجّةً على الشيخ الأكبر، فإن كانوا هم مشايخ للإسلام فهو شيخ الإسلام والإيمان والإحسان والإيقان وما فوقه من مراتب الدين؛ إذ من شروط الوراثة المحمدية أن يكون أعلم الناس في عصره بالكتاب والسنة، وأكثر أهل عصره أتباعًا لهما، ومعاذ الله أن يكون واحدًا من غير الوارثين لسيدنا محمد ﷺ حجّةً عليهم، فكل واحدٍ من المحمديين حجّةٌ لأخيه، وليس غيرهم حجّةً عليهم، وإنما قول هؤلاء المشايخ رضي الله عنهم حجّةٌ علينا؛ لأننا بعقولنا المقيدة وبجهلنا لحقائق الدين لم نكن لنقبل علوم المحمديين؛ فجعلنا إقرار من هو أقرب إلينا في مرتبة العقل والفكر النظري كالواسطة التي قبلنا بها تلك العلوم؛ لقربهم من مرتبتنا العقلية، وإن كانوا هم فوقنا في تلك المرتبة؛ لوسع اطِّلاعهم على النصِّ الشرعي الظاهر.

واعلم أن هذا القول ليس قدحًا في علماء الشريعة معاذ الله، بل هو إعلامٌ على علوِّ مرتبة الوراثة المحمدية، بل إن ممن ظهروا بالعلم الظاهر كالأئمة الأربعة هم عند القوم من أهل الوراثات، وإن اختلفت مراتبهم بين وتدٍ أو صدِّيقٍ، أو غير ذلك من مراتب الولاية.

وبالجملة: فإن القول في الشيخ الأكبر نفعنا الله به في الدنيا والآخرة أعظم من أن يحمله هذا الكتاب، وليس هذا محل بسطه، وإن شاء الله سنقوم بتحقيق الكتب التي تدافع عن الشيخ والتي سبق ذكرها، ونذكر الدليل والشواهد على كل مقولةٍ أو عقيدةٍ أو فتوى.

لشهودي أن الفعل لله وحده، فما تجلّى تعالى لقلبي في اسمه القاهر ولا القهار أبدًا، وإنما عرفت القهر من شهوده في غيري حين حُجب. انتهى.

فاعرض يا أخي الخلق على من يدّعي الصدق من مريدي زمانك تعرف حاله ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

محبتهم لنسبة الخير إلى غيرهم دونهم بادئ الرأي، فإذا قاموا الليل وصدقوا بصدقة أو بنوا مسجدًا، وسمعوا شخصًا يضيف ذلك إلى غيرهم انشرحوا لذلك من غير تفكرٍ، وإذا كانوا يعمرون مسجدًا، ويصرفون عليه مالهم، وكان شخص يعمر كذلك مسجدًا، فطلب منهم المساعدة سرًّا فرحوا لذلك.

وحق عليهم أكثر من صرفهم على بناء المسجد المنسوب إليهم.

ومتى ثقل عليهم نسبة الخير إلى غيرهم فهو دليلٌ على عدم الإخلاص.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم احتقارهم لمن كان من أهل العبادة؛ لأن خاتمته مجهولة، ولأنه يظهر بذلك فضل الله وجوده وحلمه على عباده مع إحسانه إليهم ليلاً ونهارًا، وقد قال تعالى: ((**إن رحمتي سبقت غضبي**[1])).

= واعلم أني ذكرت من أقوال الشيخ ما كللت به تحقق هذا الكتاب، والتي ستأتي في محلها إن شاء الله: من القول بحدوث العالم، ونفيه للحلول والاتحاد، وغير ذلك مما نُسب إليه إما محض افتراء أو فهم كلامه على غير مقصده. ولنختم تلك الترجمة بما ذكره سيدي عبد الوهاب ﷺ: رأيت في واقعة الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه ومعه سيدنا آدم عليه السلام، فقال الشيخ لسيدنا آدم عليه السلام هذا الولد يحبنا كثيرًا، وكنت في هذا الوقت مولعًا بقراءة كتب الشيخ والرد عنه والأجوبة عن مسائله؛ فقال لي سيدنا آدم: يا ولدي، ألم تقرأ القرآن؟ فقلت: بلى يا سيدي. فقال: ألم تقرأ قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود:١١٨]؟ اهـ. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(١) رواه البخاري (٦/٢٧٠٠)، ومسلم (٤/٢١٠٨).

فائدة جليلة: قال الشيخ ابن ماء العينين: ولذلك قال ﷺ في الحديث الربّاني: «رحمتي سبقت» بالغين المعجمة «غضبي» في بعض الروايات: أي وسعتها وتعلقها، وذلك لأن الرحمة صفة لا تعلق لها بفعلٍ ولا غيره، وأما الغضب فمتعلقه فعل العبد؛ وهنا أمورٌ تقصر عنها العبارات، ولا تنفع =

ومعنى (سبقت الرحمة الغضب) ما قاله بعض أهل الكشف أن أسماء الرحمة يسبق معناها إلى العبد، فيأتي معنى الغضب فيجد الرحمة سبقته إليه، فلا ينفذ فيه الغضب.

وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ [فاطر: ٤٥].

ومن كان يظهر فضل ربه عليه لا ينبغي له إلا التعظيم، ولكن يحتاج صاحب هذا المقام إلى عينين: عينٌ ينظر بها إلى كونه مظهر رحمة ربه وفضله، وعينٌ ينظر بها إلى تفريطه في جانب ربه، وقلة حمده، وشكره بالفضل، فيراه دون من كان أكثر عباده منه، وهذا خلقٌ غريبٌ.

فاعرض يا أخي على مريدي عصرك تعرف مقامهم، ولا تنسَ نفسك، وعظم الناس بحقٍّ، واحتقرهم بحقٍّ بحسب ميزان الشريعة، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

التحفظ من دخول مقام التوحيد ذوقًا، فإن فيه غوائل تخالف إجماع سائر الملل، وهو اعتقاد الوحدة المطلقة، حتى أن بعضهم قال: إن حقيقة الروح هو الله، وحقيقة إبليس هو الله، وأنه يجب طاعة النفس وطاعة إبليس في كل شيءٍ أُمر العبد به، وهذا أعظم مراتب الجهل والخرافات.

فإن العبد لا يلحق مرتبة السيد أبدًا بالإجماع، ولو تأمّل القائل بذلك في قوله لوجده كلامًا غير معقولٍ، كيف يقول بالوحدة المطلقة ويثبت هناك عبدًا يعصي مثل إبليس أو غيره، فتعوّذ بالله من اعتقادٍ يخالف اعتقاد سائر الملل، وتعالى الله عمّا يقول الجاحدون علوًّا كبيرًا.

= فيها الإشارات؛ لأنها أرق من الشعر، وأدق من النظر، ولذلك هذا البحر صاحبه هو الفرد الكامل، وهو الغوث الفاضل عليه يدور أمر الوجود، وهو خليفة الرب المعبود؛ لأنه صارت لـه الصفات الإلهية ذاتًا محضة، فأعطى كل رتبة من مراتب الموجودات الإلهية والخلقية حقها؛ لتخلقه بالأخلاق الرحمانية، كما قال ﷺ: «تخلَّقوا بالأخلاق الرحمانية»، وفي رواية: «تخلَّقوا بأخلاق الله».

وهنا نكتة لطيفة من بعض جوامع كلمه ﷺ وهي قوله:

(بالأخلاق الرحمانية)، ولم يقل بالجبارية ولا العظيمة ولا الكبريائية، قال بالرحمانية لما فيها من الشمول الغير متقيّد بشيءٍ، وتقدم أن الأصل في الصفات هو (الرحمن)، كما أن الأصل في الأسماء هو (الله).

واعلم أن اسمه (الرحمان) على وزن (فعلان)، وهو يكون في اللغة لقوة اتِّصاف المتصف به وظهوره عليه، ولذا وسعت رحمته كل شيءٍ، وانظر: شرح الكبريت الأحمر (بتحقيقنا).

وقد عجز العقلاء كلهم أن يتكلموا بلسان فرد لا ثاني معه، واعترفوا بالقصور عن ذلك، فإنه يبطل رسالة جميع الرسل، ويبطل أحكام جميع الكتب؛ لأنها كلها إنما جاءت إلا تثنية رب وعبد، كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب ((**فرائد القلائد في علم العقائد**))، وذكرنا فيه أن جميع الأكابر من الأولياء ملازمين لآداب العبودية[1]، لم يخرج أحدٌ منهم إلى فضاء ساحة الربوبية للناس في كل عصرٍ، حتى أن بعضهم أعطاه تعالى

---

(١) قال الشيخ الشرقاوي رحمه الله: (العبودية): وهي الذلة والافتقار وليست بنعت إلهي، ولهذا لما لم يجد أبو يزيد البسطامي شيئًا يتقرب به إلى الله تعالى ليس للألوهية فيه مدخل، قال: يارب بماذا أتقرب إليك؟ فقال الله تعالى له: تقرّب إليّ بما ليس لي: الذلة والافتقار. انتهـى.

فالعبد معناه الذليل، يُقال: أرضٌ معبَّدة: أي مذللة. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]: أي ليذلوا لي، ولا يَذِلُّ له من لا يعرفه، ولذا فسَّر ذلك ابن عباس بقوله: أي ليعرفوني فهو تفسير باللازم، وإنما خص هذين الجنسين بالذكر؛ لأنه لم يدع أحد الألوهية والتكبر على الله تعالى من سائر المخلوقات غيرهما، ولم يتحقق بمقام العبودية على كماله أحدًا مثل رسول الله ﷺ، وكان عبدًا مخلصًا في جميع الأحوال التي تخرجه عن مرتبته؛ ولذا شهد الله تعالى له بأنه عبد مضاف إليه بقوله: وإنه لما قام عبد الله ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء:١]، ولما أمره تعالى بتعريف مقامه يوم القيامة قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» بالراء: أي ما قصدت الفخر عليكم بالسيادة، بل أردت تعريفكم بشري لكم؛ إذ أنتم مأمورون باتِّباعي.

ورُوي: «ولا فخز» بالزاي: أي ما قلته متبجح؛ إذ الفخز: التبجح بالباطل في صورة الحق، فالعبد مع الحق في حال عبوديته كالظل مع الشخص في مقابلة السراج، كلما قرب من السراج عظم الظل، ولا قرب من الله إلا بما هو لك لا له، وكلما بَعُدَ من السراج صغر الظل، ولا يبعدك عن الحق إلا خروجك عن صفتك التي تستحقها، وطمعك في صفته تعالى.

قال الشيخ الشعراني في رسالة الأنوار القدسية في معرفة أدب العبودية: واعلم أن سبب تعدي العبد عن حدوده كونه مخلوقًا على الصورة، ولله تعالى العزة والكبرياء والعظمة فسرت هذه الأحكام في العبد تحقيقًا للواقع، والكامل من العبيد هو الذي لا يصرفه خلقه على الصورة عن الفقر والذلة والعبودية؛ لما يعرف من نفسه من العجز والضعف والافتقار إلى أدنى الأشياء، والتألم من قرصة برغوث، وهذا يدركه كل إنسانٍ من نفسه ذوقًا، فليحذر العبد من رؤية نفسه على أحد من رعيته، ولو عبده الذي في رقه؛ لأنه ربما يكون عند الله أحسن منه حالاً، كما ورد في الحديث، وليحذر من قوله: تجعل رأسك برأسي أو مثلك بمثلي أو غير ذلك، فإن هذا كله دليل على الجهل والقساوة والكبر، والله لا يحب المتكبرين.

ولو لم يكن في ذلك إلا ان الله تعالى يكرهه لكان ذلك كافيًا في الزجر؛ لأن العبيد كلهم حرمهم ورقيقهم ملك له تعالى، لا فضل لأحد على أحد إلا بما فضَّله سيده به، وهو لا يعلم إلا بوحي؛ فالزم الذل وترك الزجر لعبدك وخدمك إن كنتَ عبد الله. انتهى. وانظر: شرح الحكم الكردية للشيخ الشرقاوي (١٣٧) بتحقيقنا.

حرف (كن) في هذه الدار، فلزم الأدب، ولم يتصرف به فيها، وقال: لا أزاحم أوصاف الربوبية.

ومنهم: أبو السعود بن الشبل[1]، الذي شهد فيه الشيخ محيي الدين بن العربي أنه أكمل من شيخه الشيخ عبد القادر الجيلي ﷺ، وما أعطى الله تعالى عباده علم التوحيد إلا ليعلموا به أنه تعالى إلهٌ واحدٌ، لا ليتصرفوا فيه فيما ليس لهم، فإنه يخالف أوصاف العبودية التي بها تقربة العبد من حضرة ربه.

وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: من حين خلق الله تعالى الخلق فهم معه بلا وصلٍ ولا فصلٍ؛ إذ الوصل والفصل لا يكون إلا مع المجانس، ولا مجانسة بين الله تعالى وبين خلقه بوجهٍ من الوجوه، وما تعلق علمه تعالى بهم إلا وهم مفصولون عنه.

قال لهم: كونوا، فكانوا ولو كانت حقائقهم موجودة، كما يقول من يقول بقدم العالم ما كانوا يحتاجون إلى قول (كن)؛ لأن قول (كن) لا تتوجه إلا على معدومٍ لتوجده، فقد أخطأ والله من قال بعضه يعشق بعضًا فهو المعشوق والصب إن كان قال ذلك عن صحوٍ، وإن كان قاله عن سكرٍ فالسكران غير معتبر العبادة.

وأما ما يستدل إليه أصحاب شطح من نحو قوله ﷺ: ((**ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطلٌ، وكل نعيمٍ لا محالة زائلٌ، وأنها أصدق كلمة قالها شاعر لبيد**[2])).

فلا يصح دليلاً للقائلين بالوحدة المطلقة؛ لأنه صرَّح بأن مع الله تعالى خلق، ولكن وجودهم بإمداد الله تعالى لهم بالوجود، لا مستقلاً بأنفسهم.

ومن كان وجوده بغيره فهو كالباطل؛ لأنه باطلٌ من كل وجهٍ.

فافهم يا أخي، واعرض هذا التقدير الذي قررناه على مريدي عصرك تعرف حالهم،

---

(١) هو العارف الأفخم والصوفي الأعظم سيدي أبو السعود بن شبل البغدادي إمام كملت بالله إرادته، وصفت في مشاهد الحق ذاته، أجل أتباع الشيخ العارف بالله عبد القادر الجيلي ﷺ.

وقال الشيخ الشرقاوي: كان مقامه الصدق لا حاله، فكان في العالَم مجهولاً؛ لتمكنه من مقام الصدق مع الله، نقيض الشيخ عبد القادر فإنه كان محققًا متمكنًا في حال الصدق، فظهرت على يديه الخوارق، وكان مشهورًا في العالَم رضي الله عنهما فما سمعنا في زماننا مثل الأول في مقام الصدق، ولا مثل الثاني في حاله، فالصدق الذي هو نعت إلهي لا يكون إلا لأهل الله تعالى، والصدق المعروف عند الناس سار في كل صادقٍ من مؤمنٍ وكافرٍ، وهو ظل الأول كظل الشخص بالنسبة له. انتهى. انظر الكواكب الدرية (١/٦٤٥)، وشرح الحكم الكردية (٨٩) بتحقيقنا.

(٢) رواه البخاري (٤/١٧٦٨).

ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يفرح أحدهم بكثرة تحجير شيخه عليه، ومنعه مما تهواه نفسه كحسن الهيئة ونظافة الثياب، ومنعه من مجالسة أصحاب شيخ آخر، وهد عمامته وتعميمها على غير مراده، ومنعه من وضع جنبيه إلى الأرض ونحو ذلك.

وكل مريدٍ تكدَّر من شيءٍ من ذلك فهو كاذبٌ في دعواه الإرادة، وربما بالغ أحدهم وكره شيخه وفارقه وصار يحط عليه في المجلس.

وقد كان الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى يقول: ينبغي للشيخ أن يأخذ من المريدين أشد الحذر، ولا يربيهم إلا بسياسةٍ تامة، فإن أكثرهم كاذبون، وليحذر من أن يتركهم يجالسون أصحاب شيخ آخر، فإن المضرَّة في ذلك كثيرة واقعة، والنفس من شأنها الخيانة إلا من حفظ الله أخذ مريده مع مريد غيره، فحصل منه زجر له، فتحول عنه إلى ذلك الشيخ فمقت.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على أقرانك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

التجرد عن الدنيا، ولا يمسك أحدهم منها إلا ما لا بدَّ منه من خرقةٍ يستر بها عورته، أو كسرةٍ يسد بها جوعته، وفروةٍ يدفع بها ألم البرد، ونحو ذلك، وهذا ما درج عليه الفقراء سلفًا وخلفًا، فإذا كمل حالهم فإن شاءوا وأجمعوا الدنيا وصرفوها في مصارفها، وإن شاءوا داموا على التجرد، ومقام الفقر إلى الله تعالى بجمع الناس كلهم، وقد بسطنا الكلام على ذلك في المتن الكبرى في مواضع.

وملخص ذلك أن المريد لا يكون صادقًا في تجرده عن الدنيا إلا إن وصل إلى حد الصدق، وذلك أن يصير ينشرح بضيق اليد، وينقبض لسعتها، ولا يكون ذلك إلا بجذبٍ إلهيٍّ، أو بالسلوك على يد شيخ ناصح.

فاعرض يا أخي هذا على من يدَّعي الصدق من مريدي عصرك تعرف حاله، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

الخروج من مخالفة الأئمة، فيأتوا بعبادتهم على أكمل ما يقدرون عليه من مراعاة الخلاف، ولا يقتصرون على العمل بمذاهبهم، فربما فاتهم العمل بأحاديث كثيرة لم يأخذ

بها إمامهم، وكل قولٍ أو فعلٍ لم يبين الشارع ﷺ رتبته في الوجوب أو الندب عبادة على وجه التأسِّي، مع قطع نظرهم عن جعله واجبًا أو مندوبًا، ويكفيهم التأسي برسول الله ﷺ في ذلك، وأثوبه على نية الوجوب كان أفضل، لكن ليس لهم أن يأمروا أحدًا به فيضيفوا على الأمة.

وكان أخي أفضل الدين رحمه الله لا يدع عنده قط شيئًا لغدٍ من دراهم أو طعامٍ، ويقول: إن أبا ذر وغيره من أصحاب الصفة كانوا يرون تحريم الادخار فلا نخالفهم، وكان يثلث الوضوء في شدة البرد، ويمسح رابضه كله، ويرتكب الأشد في الأعمال حتى كان يتوضأ من النوم متمكنًا، ولا يصلِّي بغير وضوءٍ إذا نام متمكنًا أبدًا. وكان يقول: الرخص ليست لأمثالنا.

فاعرض ذلك على من يدَّعي الصدق من إخوانك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

غض البصر عن النظر إلى زينة الدنيا، وإذا لبس أحدهم مضربة جديدة أو صوفًا جديدًا لا ينظر إلى ذلك خوفًا من المقت.

وقد لبست فاطمة رضي الله عنها مرة حلة فأعجبتها، فأمر رسول الله ﷺ بنــزعها، وصلَّى ﷺ مرة في كساءٍ له أعلام، فنظر إليه فأعجبه فتركه تشريعًا لأمته؛ خوفًا أن يصير لهم بمثله فتشبه، وإلا فاعتقادنا فيه ﷺ أنه لا يشغله عن الله شيء من الكونين.

فاعلم يا أخي ذلك، واجتنب لبس كل ما تميل إليه النفس، ولا تشبه بالكُمَّل من الرجال إذا لبسوا الملابس الفاخرة؛ فإنهم ما سامحوا نفوسهم بلبسها حتى تساوى عندهم المحررات، وغلظ المشاق في غلو ثمنها ورخصه وحسنه وحقارته، فإن وصلت إلى ذلك فالبس مثلهم.

وكان الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى يقول: المريدون في لباسهم على قسمين: منهم من يلبس الخرقة، ومنهم بحكم الوقت من سعة اليد وضيقها، فالذي يلبس لآخرته هو من يلبس ما يستر عورته، وتقيه من الحر والبرد، مما لا قيمة له ولا ثمن، كشراميط الكيمان، والذي يلبس بحكم الوقت فعلامة صدقه أن يلبس ما لا يعيبه.

وقد كان أويس القرني[1] يكتسي من خرق المزابل، والذي يلبس بحكم الوقت فعلامة

---

(١) له مقام قديم في العراق، وفوقه مشهد محترم قديم من بناء المتقدِّمين، يزوره المسلمون كثيرًا ويرون =

بركته، وقد جُرِّب كثيرًا، واشتهر في بلدنا أن كل ولد يكون سيء الأخلاق، قليل المنام، كثير الأسقام، يزور هذا المقام الشريف يهدأ ويبرأ بإذن الله تعالى سريعًا، ويكفي شرفًا وفخرًا لمشرِّف هذا المكان ما ورد في الخبر عن نبينا ﷺ: «خليلي من هذه الأمة أُويس القرني».

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يحب مِنْ خلقه الأصفياء الأخفياء، الشعثة رؤوسهم، المغبرة وجوههم، الخميصة بطونهم الذين إذا غابوا لم يفقدوا، وإذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم، وإن خطبوا المتنعمات لم ينكحوا وإن طلعوا لم يُفرح بطلعتهم، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا، قالوا: يا رسول الله، وما أُويس القرني؟ قال: أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة آدم شديد الأدمة، ضارب بذقنه إلى صدره، رامٍ ببصره إلى موضع سجوده، واضع يمينه على شماله، يبكي على نفسه ذو طمرين: أي ثوبين خلقين لا يؤبه له: أي لا يبالي به ولا يلتفت إليه متزر بإزار صوف، ورداء من صوف مجهول في الأرض معروف في السماء لو أقسم على الله لأبره، إلا وأن تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء إلا وأنه إذا كان يوم القيامة قيل للعباد: ادخلوا الجنة وقيل لأويس: اشفع فيشفعه الله تعالى في مثل عدد ربيعة ومضر يا عمر ويا عليّ إذا أنتما لقيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكما».

ولقد اجتمع به السيدان عمر وعليّ رضي الله تعالى عنهما في السنَّة التي مات فيها عمر ﷺ، التقيا معه بأراك عرفات وهو يرعى الإبل، وعرفاه بالأوصاف، وسألوه الاستغفار لهما بعد أن سلما عليه فردَّ عليهما السلام، وقال: مَنْ أنتما؟ قال عليّ ﷺ: أمَّا أنا فعليّ بن أبي طالب، وأما هذا فعمر بن الخطاب أمير المؤمنين، فاستوى أُويس ﷺ قائمًا، وقال: جزاكما الله تعالى عن هذه الأمة خيرًا، قالا: وأنت جزاك الله تعالى عن نفسك خيرًا، فقال له عمر ﷺ: مكانك رحمك الله تعالى حتى أدخل مكة، فآتيك بنفقة من عطائي وفضل كسوة من ثيابي، هذا المكان ميعاد بيني وبينك، قال: يا أمير المؤمنين لا ميعاد بيني وبينك، فعرفني ما أصنع بالنفقة ما أصنع بالكسوة، أما ترى عليّ إزارًا من صوف ورداءً من صوف! متى تراني أخرقهما؟ أما ترى أن نعليّ مخصوفتان متى تراني أبليهما؟ أما تراني أني أخذت من رعايتي أربعة دراهم متى تراني آكلها؟ فلمَّا سمع عمر ﷺ ذلك ضرب بدرَّته الأرض، ثم نادى بأعلى صوته: ألا ليت عمر لم تلده أمه، يا ليتها كانت عقيمًا لم تعالج حملها إلا من يأخذها بما فيها: يعني الخلافة، ثم قال: يا أمير المؤمنين خذ أنت هاهنا حتى آخذ أنا هاهنا، فذهب عمر ﷺ ناحية مكة، وساق أُويس إبله فوافي القوم فأعطاهم إيَّاها، وخلى الرعاية، وأقبل على العبادة حتى لحق بالله ﷻ.

ورأيت في كتاب بحر الأنساب أنه ﷺ قتل بصفين بالقرب من البيرة مع مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ، وقبره الشريف هناك مشهور يُزار في سنة ستة وثلاثين من الهجرة، وغسَّله أمير المؤمنين ودفنه بيده الشريفة، وله ﷺ هذا المقام في بلدنا المشهور بمقام السلطان أُويس القرني، فلعله ﷺ قد تعبَّد فيه أيامًا، والله أعلم.

والظاهر أن لقب السلطان له مأخوذ من قوله ﷺ في حقِّه خير التابعين، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن سيد بن جبير، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما أن

صدقه أن يلبس ما لا يعيبه عليه العلماء، ولا يزدريه لأجله السفهاء.

قالوا: ولا ينبغي للمريد أن يتجرَّد عن الدنيا بالكلية، بحيث يصير كلاًّ على الناس يطعمونه ويكسونه، كالنساء مع القائم عليهم، فإن ذلك من رداءة الهمة.

وقد ذكرنا في كتاب ((المنن الكبرى)) أن شخصًا من المحترفة جاء يزور سيدي إبراهيم المتبولي[1]، فأعجبه الفقراء وترك حرفته، فقال الشيخ: لِمَ تركت حرفتك؟ فقال: دخلت الزاوية رأيت بومة عمياء في طاقة الزاوية، ورأيت صقرًا يأتيها كل يومٍ بقطعة لحم تأكلها.

فقلت أنا الآخر: أتوكل على الله وأجلس مع الفقراء.

فقال له الشيخ: لأي شيءٍ تجعل نفسك بومة لا تجعلها صقرًا، فتأكل من كسبك وتطعم منه غيرك، فتاب ذلك الشخص، ورجع إلى حرفته. انتهى.

فاحذر يا أخي النظر إلى صوفك الجديد وجوختك الجديدة على جاري عوائد العوام، فإن ذلك يجري إلى المقت، ونبِّه إخوانك على مثل ذلك، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أنهم لا يأكلون ولا يشربون إلا عند شدة الجوع والعطش، وكذلك لا ينامون ولا يتكلمون إلا عند الضرورة، وبذلك يثابون ثواب الواجب.

فإن الإنسان إذا اضطر إلى شيءٍ من المباحات صار فعله واجبًا عليه.

وأين مرتبة المباح من مرتبة الواجب، فعلم أن كل مريدٍ أتى المباحات من غير

رسول الله ﷺ قال: ((خير التابعين رجلٌ يُقال له: أُويس، يأتي عليكم في أمداد اليمن لو أقسم على الله لأبَرَّه، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل)).

فلمَّا قدم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ سأله أن يستغفر له فاستغفر له الحديث بطوله.

وروى الإمام أحمد في الزهد عن الحسن البصري رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر قال الحسن: هو أُويس القرني رضي الله تعالى عنهما))، وفي حوش هذا المقام الشريف قبور كثير من السادات الحسينية والأكارم [الأشرفية] رحمة الله تعالى عليهم أجمعين. وانظر في ترجمته: طبقات ابن سعد (١١١/٦)، والحلية (٧٩/٢)،وتهذيب التهذيب (٣٨٦/١)، ولسان الميزان (٤٧١/١)، والانتصار للموصلي (ص ٥٤٠) بتحقيقنا.

(١) كان من أصحاب الدوائر الكبرى في الولاية، ولم يكن له شيخ إلا النبي ﷺ ، وانظر: أخباره ومناقبه العظيمة في الطبقات الكبرى (٧٧/٢)، والأخلاق المتبولية للمصنف.

ضرورةٍ فهو مترخصٌ، لا يجئ منه شيء في الطريق.

وقد كان سيدي عبد القادر الجيلي ﷺ ونفعنا به يقول:

ربما كنت أمكث في بدايتي السبعة أشهر وأكثر لا آكل ولا أشرب لعدم الضرورة، ومكثت مرة سنةً لا آكل ولا أشرب ولا أنام، ولا أضع جنبي على الأرض، ولا أمد رجلي.

وما كنت أتذكر الطعام إلا إن حضر بين يدي.

فاعرض يا أخي ذلك على من يدّعي الصدق من المريدين تعرف حاله، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

تفتيش أحدهم نفسه كل ساعة؛ لينظر إقباله على حضرة ربه سائر أوقاته. فيجد في العمل ويزيد فيه، فإن الله سبحانه وتعالى لا يظهر حتى يشهده بقلبه إلا في العبادات التي فرضها لا غير، ولا يظهر قط لعبدٍ في مكروهٍ أو مباحٍ أصلاً، إلا إن فعل المباح بنيةٍ صالحةٍ، فينبغي للمريد إذا عرف من نفسه التلبيس عليه ألا يقبل ما تلقيه إليه، بل يسأل عن أحواله من يعرف أنه ينصحه ولا يداهنه، ثم يقبل ذلك الأمر الذي تنبّه له بحكم الجزم، ويقول لنفسه: اقبلي هذا النصح من هذا الأخ الصالح، ويكثر من توبيخها.

فعلم أن كل من لم يفقد نفسه كما ذكر، أو لم يقبل قول من ينصحه من إخوانه فهو منافقٌ كذابٌ على الطريق.

فاعرض يا أخي هذا الأمر على غالب المتمشيخين من أهل عصرك تجده غاشًا لنفسه، وإن وقع أن أحدًا نصحه وبيّن له نقصه عاداه وهجره، وإن شككت في قولي فجرِّب وانصح شيخًا منهم بحضرة تلامذته فيما هو مرتكبه من محبة الدنيا وشهواتها، وانظر ماذا يقع لك منه ومن جماعته، وما هكذا المريدون الصادقون، رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي، فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم رؤية أحدهم نفسه على أحدٍ من عصاة هذه الأمة، بل يرى نفسه أفسق الفاسقين دائمًا سرمدًا، ويعمى عن نقائص الناس جملةً واحدةً.

ومتى رأى نفسه مساوية لأحدٍ من إخوانه في الدين والتقوى فقد أساء الأدب، وخرج عن طريق الإرادة.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: لا يصح لمريد قدم في طريق الإرادة يرى

أن كل بلاءٍ نزل على بلاده سبب ذنوبه هو، وأن ذنوب الناس كلها مغفورة إلا ذنبه. انتهى.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على المتمشيخين في أهل زمانك تعرف صدقهم وكذبهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم تصدرهم لإزالة منكرات عصرهم؛ لأن ذلك إنما هو من وظائف الأشياخ؛ لمعرفتهم بطريق السياسة، وعدم خوفهم من الوقوع في الإعجاب إذا زالوا المنكر بخلاف المريدين؛ فإن أحدهم جاهلٌ بطريق السياسة، وعدم خوفهم من الوقوع في الإعجاب إذا زالوا المنكر، ويدخله الإعجاب بذلك، ويشغله عن الله ﷻ ولاسيما إن حصل له بسبب ذلك ضرب أو حبس أو جرح في جسده من جند السلطان، وقد عدوا مثل ذلك من دسائس إبليس.

حكى لي شيخنا سيدي علي الخواص ﷺ أن جماعة من المريدين أقاموا في ساحةٍ، فكانوا يحصدون بالأجرة، ويعملون من عمل أيديهم، وقلبهم حي من الذكر، وكان إبليس كلما قرب منهم يكاد يحترق من أنفاسهم، فلما عجز إبليس منهم وسوس لجماعةٍ من العياق فضربوا بعضهم حتى أدموهم والمريدون ينظرون، ثم وسوس لهم أن ذلك خيرٌ يعتدي عليه، وهو أفضل مما هم فيه، فخلصوا بينهم، فهو أفضل لكم، فتركوا المجلس وقاموا للعياق فأدموهم كذلك، وكان مقصود إبليس منهم أن يقطعوا مجلس الذكر لا غير.

فاحذروا أيها المريدون من ذلك، فإن غوائل الشيطان كثيرة، ودسائسه أخفى من دبيب النمل.

فاعلم ذلك، واعرض ما قررنا لك في هذا الخلق على مدَّعي الصدق من مريدي زمانك تعرف حاله، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يتكدر أحدهم من عدم إذن شيخه له بالدخول عليه في بيته أو خلوته، وكل مريدٍ أخذ في نفسه من الشيخ إذا منعه من الدخول عليه مقته الله تعالى.

وقد وقع لي ذلك في بعض المريدين الذين خرجوا من تحت التربية، فجاء إلى باب داري، فوجد الباب مردودًا، فرجع ممقوتًا، فمكث نحو شهرين لا يجتمع بي، وظهرت أمارات المقت عليه، فنظرت إليه فوجدته نزل إلى دون الحالة التي كان أتى عليها من بلاد الريف من نحو عشرين سنة، ولم أعين اسمه لكونه معروفًا بين أصحابي.

وغاب عن هذا المريد أن الشيخ مأمورٌ بأن يكون له خلوة لا يدخلها إلا الخواص من أصحابه، ومأمورٌ أيضًا بأن يكون له زاوية تخص عموم أصحابه دون الأجانب من أبناء الدنيا، ثم بتقدير أن الشيخ قال له: ارجع يا منافق لا تدخل عليَّ، فيجب عليه تأويل ذلك على أحسن الوجوه، ويقول: إن الشيخ سماني منافقًا، وما ذلك إلا لنفاق فيَّ، فإنه صادقٌ بلا شكٍّ، فيصير يفتش نفسه ليعرف صفات النفاق ويتوب منها، هذا الواجب.

وأما التكدر من نسبته إلى النفاق فهو عين النفاق.

فاعرض يا أخي ما ذكرته لك في هذا الخلق على حال من يدَّعي الصدق تعرف ما له مقام، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون أمر أحدهم كله جدًّا لا لعب فيه ولا مزح، وإن وقع من أحدهم شيء من ذلك عوقب عليه في المنام؛ لأن عمل المريد في بدايته دائمًا إما هو فيما فيه من ثواب أخرى، ولا تكاد تجده في لغوٍ ولا غفلةٍ ولا سهوٍ عن فعل شيء من الأمور التي تقربه إلى الله تعالى.

وقد وقع لي أنني قلت مرة كلمة مضحكة من حال تدريس العلم، فرأيت نفسي تلك الليلة مع خلبوص المغاني، وأني مرافقه في سفرٍ من مصر إلى أن أشرفنا على المحلة الكبرى، فاستيقظت مرعوبًا من ذلك؛ لأني خلطت مع الشرع ما لا يليق أن يُذكر معه، وسافرت إلى ورائي لا إلى قبلي، إن انحدرت عن مقامي، والكلمة المضحكة إنني قلت لما قرأ عليَّ: يُستحب أن يكون المؤذن أمينًا، فقلت أنا: لاسيما إن كان بجانب المنارة امرأة جميلة فاسقة، فربما غمزها من المنارة وغمزته.

كما حكي أن امرأة كان بينها وبين مؤذن أمارة، وهي أنها إذا قال المؤذن في تسبيح الليل: لا إله إلا الله، وكان زوجها عندها تقول كذلك: لا إله إلا الله حاضر ناظر، فيعرف بذلك المؤذن، فيمتنع عن المجيء إليها، وإذا قالت: لا إله إلا الله، سبحانه وتعالى يعلم المؤذن أن زوجها غائب فيأتيها، وكانت تقصد بقولها: (تعالى): أي يا مؤذن تعالَ فإن زوجي غائبٌ، فلما حكيت هذه الحكاية ضحكت الجماعة، فعوتبت في المنام على ذلك، وقيل لي: تخلط مع تقريرك للشريعة غيرها، فمن ذلك اليوم وأنا أتحرز من ذلك.

وقد أجمعوا على أن كل مريدٍ خلط جدًّا بهزلٍ، لا يجيء منه شيء في الطريق، فإذا كان في مثل هذه الحكاية التي ذكرناها من أن فيها نصحًا وتحذيرًا للإخوان، فكيف بالغيبة والنميمة ونحوهما. نسأل الله العافية.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على إخوانك، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا كان أحدهم تاجرًا أن يفرح كلما خسر، ويغتم كلما ربح، إلا أن يكون المال لغيره، وذلك لأنه كلما خسر فقد قرب من الفقر وضيق اليد، وذلك من صفات الأولياء والصالحين، وكلما ربح قرب من صفات الجبابرة والغافلين، فعلم أن كل فقيرٍ ادَّعى الصدق في محبة الطريق وحزن لفوات شيء من الدنيا فهو كاذبٌ.

ويقع لي بحمد الله تعالى أنه يضيق صدري كلما دخل عليَّ شيءٌ من الدنيا، وانشرح كلما منع الله عني شيئًا من الدنيا، فأشكر الله سبحانه وتعالى على ذلك.

وقد وقع لشيخنا الشيخ نور الدين الشوني[1] أنه دخل عليه مال من بعض التجار، فاشترى به قمحًا للتجارة فسوس كله، فباعه بأنقص من رأس ماله، قال: ففرحت بذلك غاية الفرح، وعلمت بأن الله تعالى لم يرد مني الاشتغال بأمور الدنيا. انتهى.

وكذلك ما أخبرني الشيخ الصالح عمر النبتيتي[2] المكشوف الرأس أنه حصل له من بعض الولاة نحو ثلاثمائة دينار، فأعطاها لشخصٍ يتجر له فيها بينه وبين الله سبحانه وتعالى، فجحدها وصار يقول: يا مسلمين، الشيخ أبو شوشة مكشوف الرأس يدَّعي عليَّ باطلا بثلاثمائة دينار، إيش بقي في الدنيا خير، إذا كان هذا الصائم الدهر يدَّعي باطلاً، فكيف بغيره! فدار مدينة الخانقاه كلها وهو يقول كذلك حتى خرست، قال الشيخ عمر: فتركت مطالبته من ذلك اليوم، وعلمت أن الله سبحانه وتعالى ما أراد لي الدنيا، فله الحمد على ذلك. انتهى.

وكذلك وقع لي أنا وولدي عبد الرحمن بأن أخذ شخصٌ مني ومنه خمسمائة دينار،

---

(١) الشوني: نسبة إلى شوني من أعمال الغربية. نشأ معرضاً عن اللهو، وافتتح وهو فتى يافع أول مجلس للصلاة على النبي ﷺ وذلك بمسجد سيدي أحمد البدوي رضي الله عنهما – ثم انتقل إلى القاهرة وأنشأ مجلس الصلاة على النبي بالجامع الأزهر تحت سمع وبصر العلماء المحققين. وعنه انتشر في جميع الأقطار. وهو أحد شيوخ المؤلف، ومن الأقطاب الوراثين، توفي سنة ٩٤٤ هـ نفعنا الله به. وعرف بالمحيا، والمحيا هو مجلس الصلاة على النبي ﷺ. وضريح الشيخ بمصر، يزار قدس الله سره،، ونور ضريحه.

(٢) قال الشيخ المصنف: أحد أصحاب سيدي أبي العباس الغمري، وكان من الرجال المعدودة في الشدائد، وكان صاحب همة، يكاد يقتل نفسه في قضاء حاجة الفقراء، توفي سنة نيف وتسعمائة؛ ودفن في نبتيت في زاويته، ولم أجتمع عليه غير مرة واحدة، فدعا لي بأن يسترني الله بين يديه في القيامة. وانظر: الطبقات الكبرى (٢/١١٤).

كنا جمعناها على اسم الحج بيننا وبين الله تعالى، فادَّعى أن الله تعالى أذهبها كلها من بين يديه، وصار يقول: فلان وولده ظلموني، وليس لهما عندي حق، فأما الثلاثمائة التي تعلق بي فسامحته بها في الدنيا والآخرة، وأما فلوس الولد فحبسه، ووصل منه إلى غالب حقه، فليفرح المريد التاجر كلما تاجر وخسر، فإن الله تعالى أراد به الخير، وكل مريدٍ تكدر لخسارته في الدنيا فقد تودع منه في الطريق، وهو من أبناء الدنيا لا من أبناء الآخرة.

فاعرض يا أخي ذلك على نفسك وإخوانك تعرف حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

مبادرتهم إلى السعي في إزالة الخجل من جليسهم إذا وقع في شيءٍ يخجله، كما إذا كثر اللغو والهذيان، فقال شخصٌ من القوم وهو في وسط الحكاية: الفاتحة يا جماعة، وذلك بأننا نقرأ الفاتحة ثلاث مرات وأكثر، ونكلمه كلامًا طيبًا ثم نسأله الدعاء، فيقول في نفسه: لو كانوا ضجروا من كلامي ما قرأوا الفاتحة أكثر من مرة، ولا سألوني الدعاء، وهذا خلقٌ ما رأيت أحدًا من أقراني يراعيه.

فاعمل يا أخي بذلك؛ ليعاملك الله بنظره إذا حصل منك ثقل لجليسك مع جماعةٍ فيزيلوا خجلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يطلب أحدهم من الشيخ أن يجيبه عن كل ما سأله عنه؛ فإذا وصف أحدهم لشيخه رؤيا رآها، أو مكاشفة كاشفها، أو مشاهدة شاهد منها أمرًا ما، وسأله عن مسألةٍ ما من الشريعة، فلا ينبغي له مطالبة الشيخ بالجواب ولو بباطنه؛ لأن شيخه حكيم الزمان، والمريد عليل محجوب عن رؤية ما ينفعه وما يضره، وربما كان ذلك الجواب يضر بالمريد، إذا اشتمل على أمرٍ فيه تعظيم قدر للمريد، وربما رأى نفسه بذلك على شيخه، فسقط من حرمة الشيخ في قلبه بمقدار ما رأى نفسه عليه، ووقعت الإنابة منه عدم الانتفاع بكلام الشيخ، وترك العمل بما ينصحه، وإذا ترك العمل بما ينصحه به وقع الحجاب والطرد، وإذا وقع ذلك خرج المريد عن حكم الطريق، وأخلد إلى أرض الشهوات، فمثله كمثل الكلب. نسأل الله العافية.

وكان سيدي يوسف العجمي رحمه الله تعالى يقول: لا ينبغي للشيخ أن يتكلم على ما يحكيه له المريد، أو يسأله عنه البتة، وإنما يعطيه من الأعمال ما يدفع به ما في ذلك من المضرة أو الحجاب، ويرقيه إلى ما هو أشرف من ذلك.

فاعرض يا أخي ما قررته لك في هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف حالهم في الأدب مع الشيخ، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يغتر أحدهم بطول صحبة الشيخ، ويرى نفسه أفضل ممن صحب الشيخ بعده، وأنه أرقى منه في المقام؛ لكثرة صحبته للشيخ وصدقه معه، لاسيما إن صار المريد القديم خطيبًا أو واعظًا، فما كل من سبق سبق، ويجب على المريد إذا صار له جاه في قلوب الخلق أن يحتمل زجر الشيخ له بين الناس، وإخراجه من الحلقة، فإن جرى برجله فإن الشيخ ما أخرجه من مجلسه إلا لمصلحةٍ تعود عليه، ومتى تكدر من شيخه لأجل ذلك فقد خرج عن الطريق، ووجب عليه تجديد العهد.

وقد قالوا: للشيخ ثلاث مجالس: مجلس للعامة، ومجلس لأصحابه من المريدين، ومجلس للخواص منهم، كل واحدٍ على انفرادٍ، ولكل مجلس كلام يخص أهله متى سمعه من ليس هو من أهله أضرَّ بحاله، فأما مجلس العامة فيجب على الشيخ ألا يترك أحدًا من المريدين يحضره، ومتى سامح أحدًا من المريدين في حضوره فقد أساء في حقه، إنما الواجب عليه أن يأمره بالمجانسة معه على الانفراد، وذلك حتى لا يسمع العامة أو غيرهم شيئًا من زجره وتقريعه وتوبيخه، وأن الواجب على الشيخ ألا يغفل عن زجر المريد وتقريعه وتوبيخه، وبيان أن الأمر الذي هو عليه حال ناقص عن مقامات الرجال، وتنبيهه على زيادة همته ونقصها؛ لأن لا يفتتن برؤية محاسن نفسه.

وكان الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى يقول:

من شرط الشيخ إذا جالس العامة ألا يخرج عن نتائج المعاملات من الأحوال والكرامات، وذكر ما كان عليه أهل الله تعالى من المحافظة على آداب الشريعة، وأحكامهم إياها ونحو ذلك. انتهى.

وأما مجلس الشيخ مع خواص المريدين فشرطه: ألا يخرج عن نتائج الأذكار والخلوات والمراقبات والرياضات.

وإيضاح السبل إلى طريق المجاهدة إلى الممات، المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩].

فاعرض يا أخي ما قررناه في هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف مقامهم، ولعلك تجد أكثرهم يتغير منه كل شعرةٍ إذا زجره شيخه من الجلوس معه، وربما صار ينقص في المجالس بسبب ذلك، وربما كان الشيخ حال زجره للمريد عن الجلوس في وقتٍ لا يسعه

فيه غير ربه ﷻ، وصاحب هذا المقام يزجر السلطان ولا يبالي به، فاعلم ذلك، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم قناعة أحدهم بما حصل له من الحضور مع الله في غالب أوقاته، ولا بما حصل له من التوكل والتسليم، وغير ذلك من الأحوال في المقامات، فإن الأمر بداية ما ثم فيه نهاية.

وقد كان سيدي إبراهيم المتبولي ﷺ يقول: لا يكثر تعظيم أحدكم نفسه، وإنما يرى نفسه دائمًا صغير اليد، قدمه ومتاعه من إمداد ربه ﷻ.

وكان يقول: لا يغتر أحدكم بما حصل له من الحضور مع الله تعالى في عبادةٍ وترك ما سواه، فإن ذلك ليس من طبع النفس، والآخر مثلها، أن ما هو أمر عارض عرض لها، فربما رجعت إلى طبعها من الغفلة والحجاب في أسرع من لمح البصر، فعلم أن كل مريدٍ لم يتفقد نفسه في كل ساعةٍ ولحظةٍ فهو مخدوعٌ، ولو كان من أكبر المشايخ فضلاً عن المريدين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً*إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً*وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾ [المعارج:١٩، ٢٠، ٢١]، وكل رذيلة في النفس قد أبان فيها أن الفضائل فيها مكتسبة لها، ليس هي في جبلتها، ومعلوم أن الأمور المكتسبة سريعة الذهاب من زهدٍ وورعٍ وإقبال على عبادة، وغير ذلك.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تجد غالبهم يقنع بأدنى شيء يحصل له في الطريق، ثم بعد مدة يسيرة يتحول ذلك عنه، ويصير مسلوبًا من كل خيرٍ، حتى يظهر عليها لوائح المقت، نسأل الله العافية، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة العمل على جلاء مرآة قلوبهم من الصدأ المانع من كمال محبة الله ﷻ، وذلك حتى لا يمل أحدهم من كثرة الأوراد وسهر الليالي بين يدي ربه ﷻ، فإن كل من تعلق بالسهر وكثرة الأوراد فذلك دليلٌ على محبة الله ﷻ، وأن عنده بقية من صفات أعداء الله سبحانه وتعالى، ولو كان أحدهم يحب الله لكانت مجالسته تعالى ألف سنة عنده كلمحة، ثم الدهر بكمال محبة الله ﷻ، وهو محبة المريد لشيخه وسهره معه الليالي، فإنه مرتبة إدمان للمريد، فيقول: كيف أنام وشيخي سهران! فلا يزال كذلك حتى يصير يقول: كيف أنام وربي لا ينام! فيكون نومه غلبة بعد ذلك، فيصدق الله تعالى لا ينقص له به رأس مال.

فاعلموا ذلك أيها المريدون، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة ندمهم واستغفارهم إذا فاتهم مجلس ذكر، فيتأسفون على ذلك أشد من تأسفهم على موت ولدهم وذهاب مالهم، ولا يصير لأحدهم ذلك اليوم ميل إلى أكلٍ ولا شربٍ ولا ضحكٍ ولا جماعٍ، ولا غير ذلك من شهوات الدنيا، حزنًا على فوات مجالستهم لله تعالى، بل لو مات أحدهم أسفًا على ذلك لكان قليلاً، فعلم أن كل مريدٍ فاته ورد وأكل ذلك اليوم أو ضحك أو جامع حليلته فهو كاذبٌ في دعوى الإرادة.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من شئت من المريدين تعرف صدقه أو كذبه، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون أحدهم حاذقًا في أمر دينه، فقيهًا في كل ما يقربه إلى الله سبحانه وتعالى، وذلك من علامات صدقه في الطريق، فيتحايل على تحصيل الفوائد، كما يتحايل محب الدنيا على تحصيلها بل أشد؛ لأن الأعمال الأخروية أشرف من الدنيوية بالأعمال.

فإذا علم أن لين الفراش يورث كثرة النوم نام على الحصيرة أو على الأرض من ذات نفسه، ولا يحوج شيخه إلى أن يأمره بذلك، فإذا نام عن ورده إلى آخر الليل توضأ، وقرأ في صلاته بجوامع الكلم التي ورد أنها تعدل ألف آية، أو نصف القرآن، أو ربعه، أو ثلثه كآية الكرسي، و(ألهاكم التكاثر)، و(إذا زلزلت)، والكافرون، وسورة الإخلاص، ونحو ذلك، ولاسيما إن وقع لهم فوق ذلك الورد أواخر أعمارهم، فإنه يتأكد القراءة، والقراءة بجوامع التسبيح والتكبير والتهليل اغتنامًا للأجرين، ضاق الوقت أو العمر، ويطيل القراءة بالمعلومات على ما إذا اتسع الوقت، كما صرّح الفقهاء في كتب الفقه، ثم الذي ينبغي لمن نام عن أول الموكب الإلهي مثلاً أن يوبخ نفسه كل التوبيخ، ولا يرى أنه جبر ما فاته من تطويل القراءة مثلاً بجوامع الكلم التي قرأها؛ لأن ذلك جعله الله رخصة لمن تعاطى أسباب كثرة النوم من الشبع والشرب وكثرة الأذى ونحو ذلك.

فاعرض يا أخي ذلك على غالب المريدين في عصرك تعرف مقامهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة محبتهم للفقهاء ولو بالغوا في الإنكار عليهم وعلى طريقهم؛ لأن الفقيه ما ينكر إلا ما لا يصل إليه فهمه، فهو معذورٌ في إنكاره من حيث أن الشرع أمره أن ينكر كل ما رآه من المنكر بحسب فهمه، وإن لم يكن الأمر منكرًا في نفس الأمر.

كما يشهد به واقعة موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام، وأن موسى عليه السلام ما أنكر إلا لما علم أن الله سبحانه وتعالى أباح له ذلك؛ لأنه معصومٌ من الله، معذورٌ فيما لم يعلم أن الله تعالى أباح له ذلك.

فكل مريدٍ نفرت نفسه من الفقيه المنكر عليه فهو جاهلٌ، لا يجئ منه شيء في الطريق لمعاداته لحملة الشريعة، الذين هم هداة الناس، لاسيما إن كان لم يتبحر في العلم، كغالب مريدين هذا الزمان الذين يتلمذون للأشياخ من غير علمٍ بالشريعة، فإن كراهته لأهل العلم من علامة مقت الله تعالى له، كما عليه طائفة فقراء المطاوعة وبعض فقراء العجم.

فيقولون: الفقهاء محجوبون عن الله، والحال أنهم هم المحجوبون ولكن لا يشعرون.

فاعلم ذلك يا أخي وفتش نفسك، فربما كنت أنت الآخر تكره الفقهاء المنكرين عليك، ثم تصير تداهنهم وتمدحهم رياءً ونفاقًا، واعلم يا أخي أن الفقيه ما أنكر عليك إلا ما خالفت فيه ظاهر الشريعة بحسب مقامه، فاعلم ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يترك أحدهم درجة في جنة الأعمال إلا وله فيها نصيبٌ، وذلك بألا يدع شيئًا من فعل المأمورات الشرعية إلا فعله، ويفعل ولو مرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور:١٦]، وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢]، فمن لا عمل له لا يدخل جنة الأعمال، كمن خُلق مجنونًا أو مهلولاً، وإنما يدخل جنة الاختصاص والمنن.

فإياك يا أخي أن تكتفي بنوعٍ واحدٍ من العبادات، أو أنواع وتترك كثيرًا من الأعمال، فتحرم كثيرًا من الدرجات، فاجتهد أن تكون قارئًا ذاكرًا مهللاً، مشتغلاً بالعلم، كناسًا للمساجد، قاضيًا لحوائج الناس، حافرًا للقبور والآبار، وقادًا في المسجد، إمامًا، طباخًا، طحانًا، عجانًا، زراعًا، حراثًا، وهكذا، فلا يعوقك عن فعل شيء من ذلك إلا عدم قسمه لك والكسل والتكبر.

ومن هنا قالوا: إن شرط المريد ألا يوجد إلا في عمل خير، فتكون أوقاته كلها معمورةً به.

فاعرض يا أخي ذلك على مدَّعي الصدق من مريدي عمرك تعرف حاله، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

الأخذ بالفال الحسن، وترك التطير تأسيًا برسول الله ﷺ؛ فإنه كان يحب الفال الحسن؛ لأنه كالبشرى من الله ﷻ؛ إذ لا يعلم أحد ما في علمه تعالى حقيقةً، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

وهذا الخلق قليل من يراعيه، لاسيما من غلب عليه شهود السوابق من المريدين، فلا يثبوا أي فائدةٍ في سماع الفال، ولا يعلم أحد ما في علم الحق، فيُقال له: إنما يفرح العبد بالفال الحسن طلبًا لحصول ما يحب من حضرة الإطلاق التي يفعل الحق منها ما يشاء، ومن وقف مع السوابق فعل الأمر بالدعاء، وكثيرًا من الأحكام، وهو مثل من علم أن السماء فوقه والأرض تحته فوقف عند ذلك، ولم يتعدَّ إلى عجائب ما فيها. انتهى.

وقد بلغنا أن رجلاً قرع باب الشيخ أبي مدين ﷺ[1]، فرج إليه ولم يكن في نية الشيخ

---

(١) هو سيدنا الغوث، منصِّب الأولياء، من أعيان مشايخ المغرب وصدور المقرَّبين، وشهرته تغني عن تعريفه. مات بتلمسان ودُفن بها، وقد ناهز الثمانين وقبره ثم ظاهر يُزار، وكان سبب دخوله تلمسان أنّ السُّلطان لما أبلغه خبره أمر بإحضاره من بجاية؛ ليتبرَّك به، فلما وصل إلى تلمسان قال: ما لنا وللسُّلطان الليلة نزور الأخوان، ثم نزل واستقبل القبلة وتشهَّد، وقال: ها قد جئت، ها قد جئت، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه:٨٤]، ثم قال: الله الحيُّ وفاضت روحه.
قال الشيخ أبو الحجَّاج الأقصري: سمعت شيخنا عبد الرزاق يقول: لقيت أبا العباس الخضر ﷺ فسألته عن شيخنا أبي مدين فقال: إمام الصديقين في هذا الوقت، وكان ﷺ جميلاً ظريفًا متواضعًا زاهدًا ورعًا، محقِّقًا مشتملاً على كرم الأخلاق، واجتمعت المشايخ على تعظيمه وإجلاله، وتأدَّبوا بين يديه.
ومن كلامه: ليس للقلب إلاّ وجهة واحدة متى توجَّه إليها حُجب عن غيرها.
وكان يقول: الخالي من الأُنس والشُّوق فاقد المحبَّة.
وكان يقول: إذا ظهر الحق لم يبقَ معه غيره.
وكان يقول: الفقر نورٌ ما دمت تستره، فإذا أظهرته ذهب نوره.
وكان يقول: الحضور مع الله جنّة، والغيبة عنه نار، والقرب منه لذَّة، والبعد منه حسرة، والأنس به حياة، والاستيحاش منه موت.
وكان يقول: الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق تعالى.
وكان يقول: من نظر إلى المكونات نظرة إرادة وشهرة حُجب عن العبرة فيها والانتفاع بها.
وكان يقول: من عرف أحدًا لم يعرف الأحد، والحق تعالى ما بان عنه أحد: أي من حيث العلم والقدرة، ولا اتصل به أحد أي: من حيث الذات والصفات.
وكان يقول: من لم يصلح لمعرفته شغله برؤية أعماله، ومن سمع منه بلَّغ عنه.
وكان يقول: من خرج إلى الخلق قبل وجود حقيقة تدعوه إلى ذلك فهو مفتونٌ، وكل من رأيته
=

أن يدخله بيته في ذلك الوقت، فقال له: ما اسمك؟ فقال: أحمد.

الفائدة: من سادات القوم، ثم إن أكثر من يقع في مثل ذلك من يكثر من مطالعة كلام القوم من غير شيخ، ويحفظ حكاياهم، ويزعم أنه صار صوفيًا، فبمجرد ما يقف على باب التوحيد يقول: أنا وصلت، ولو أنه كان له شيخ لأخذ بيده، ورقاه إلى مقامات الرجال.

فاعرض يا أخي ما قررناه لك على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون أحدهم كثير النظر في أخلاق شيخه؛ ليتأسّى بما فيها من زهدٍ وورعٍ وخشوعٍ وقناعةٍ وتفويضٍ وتسليمٍ وصبرٍ وغير ذلك، ولا يهمل أخلاق شيخه، فلا يتخلق منها إذا مات شيخه يصير حكويًّا، يقول: كان شيخنا كذا، وكان يفعل كذا، ويقول كذا، فيُقال له: ماذا اكتسبت من شيخك؟ ولا يجد نفسه اكتسب شيئًا، وهذا الحال قد فشى في غالب أصحاب مشايخ هذا الزمان، ثم إنه مع عدم انتفاعه بشيخه الذي يزعم أن الزمان ما بقي يخلف مثله، يغش نفسه، ولا تصير نفسه تطاوعه أن يتلمذ لأحدٍ ممن لقيه أن يشممه شيئًا من روائح الطريق، فيا خسارة مثل هذا يوم يقوم الأشهاد، وتكشف أحوال أهل الدعاوى، فالعاقل من تدارك ما فاته من شيخه على يد شيخ آخر، ولم يغش نفسه.

فاعرض يا أخي ما قررته لك على من يدّعي الصدق من مريدي عصرك، ولا تنسَ نفسك، ولعلك وإخوانك لا تنكبس لكم نفس أن تأخذوا على أحدٍ بعد شيخكم الذي لم ينتفع أحد منكم به، فاعلم ذلك، والحمد لله رب العالمين.

مع الله يدّعي حالاً لا يكون على ظاهره منه شيء فاحذروه.

وكان يقول: من قطع موصولاً بربه قُطع به، ومن أشغل مشغولاً بربه أدركه المقت.

ومكث سنة في بيته لا يخرج إلاّ للجمعة، فاجتمع الناس على باب داره، وطلبوا منه أن يتكلّم عليهم، فلمّا ألزموه خرج فرأى عصافير على سدرةٍ في الدّار، فلما رأوه فرُّوا فرجع، وقال: لو صلحت للحديث عليكم لم تفر مني، ثم رجع وجلس سنة أخرى، ثم جاءوا إليه فخرج فلم تفر منه الطيور، فتكلّم على الناس، ونزلت الطيور تضرب بأجنحتها وتصفق حتى مات منها طائفة؛ ومات رجلٌ من الحاضرين ﷺ. انظر في ترجمته: طبقات الشعراني (١٣٣/١)، والانتصار للأولياء الأخيار للموصلي (ص٤٥١) بتحقيقنا.

ومن أخلاقهم:

أن يزيد في محبة كل من رآه يحب شيخه، وذلك ليرقوا إلى محبة كل من يرونه يحب ربه ويعظمه، فإن كل حزبٍ لا يعظم إلا من أحب محبوبه، وبذلك تعرف مقامات الرجال عند الله تعالى، فحيث قام التعظيم لله تعالى في قلب عبد من عبيده، كائنًا من كان، وجب تعظيمه وتبجيله وإكرامه.

ومن هنا عظم بعض الصالحين بعض العوام أكثر من تعظيمه طلبة العلم، لما قام عند ذلك العاصي من التعظيم لله سبحانه وتعالى، وقد كان شخص من جبلية الوالي اسمه الحاج أحمد ينام عندنا في الزاوية سنين عديدة، ثم بعد ذلك تحول وصار ينام في مخزن اكتراه، وكان عازبًا، فقلت له: يا حاج أحمد، ما حملك على الخروج من الزاوية؟ فقال: سمعت شخصًا من المجاورين يخرج منه ريح وهو نائمٌ، فخفت أن يخرج مني ريحٌ كذلك في بيت الله وأنا نائمٌ، فأسيء الأدب، ثم لم يزل ينام في ذلك إلى أن مات رحمه الله.

فانظر يا أخي تعظيم هذا لبيت ربه، مع أنه من جبلية الوالي، وأحد المجاورين يخرج الريح ليلاً ونهارًا لا يقطعه فضلاً عن النوم، ولا يرى ذلك سوء أدب مع الله سبحانه وتعالى، فالعاقل من أخذ الأدب والحكمة من أي من جاء بها.

كذلك وقع لي لأنني كنت أسبح وردي بالسبحة الكبيرة، فوضعتها بعد ذلك على البساط، فرآها الحاج علي المشرقي أحد أصحابنا، فأمرني أن أعلقها في مسمارٍ في الحائط، وقال لي: عظم ما تذكر اسم الله عليه، فإن وضع السبحة في الأرض يعرضها لمس بعض أقدام الماشين، وذلك سوء أدب مع الله سبحانه وتعالى، فكذلك علقتها في المسمار، وازددت محبة في الحاج علي المذكور من ذلك اليوم، فإنه قد مرَّ على هذه السبحة خلائق من طلبة العلم وهي على الأرض، فما قال لي قط واحد منهم: ارفع هذه السبحة من الأرض، كما أني أنا لم أهتدِ لذلك إلا حين نبهني الحاج علي المذكور، فجزاه الله عني خيرًا.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا ضاق الوقت من قراءة كامل وردهم الذي فيه صلاة على الرسول ﷺ، أو استغفار للمؤمنين والمؤمنات، وذلك لأن العبد ولو علمت رتبته يحتاج إلى ما يغذي مقامه، ولا هكذا مقام الحق جلَّ علا؛ فإنه غنيٌّ عن عباده وعن ذكرهم، وعن تحميدهم له.

فبهذه النية يا أخي قدم قراءة الصلاة على رسول الله ﷺ على ذكر الله الخاص به، وإيضاح ذلك أن الله غيورٌ لا يحب يرى في قلب عبده المؤمن محبة لغيره، إلا أن يكون تسلك المحبة لأجله تعالى، كمحبتنا الأنبياء والأولياء مثلاً إنما هي لكثرة محبة الله تعالى لهم، فإن اطلع الحق جلّ وعلا أن محبتنا للأنبياء والأولياء مثلاً إنما هي لأجله، زادنا قربة ومحبة.

فلاحظ يا أخي هذه الحكم في محبة كل شيءٍ يميل قلبك إليه، فلا تحب شيئًا إلا إن رأيت فيه مرضاة ربك، وهذا خلقٌ غريبٌ قلّ من يتخلق به، فاعرضه على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يحذر أحدهم من مباسطة شيخه له، وإطعامه الطعام معه، وتكليمه الكلام الحلو دون غيره، فربما كان ذلك من الشيخ امتحانًا أو اختبارًا، فإن قلوب الفقراء كقلوب الملوك لا تملك، فيسامحون بأكثر الكثير، ويؤاخذون بأقل القليل، وكذلك ينبغي لأحدهم الحذر من نثر الشيخ الدراهم التي تأتيه من الزكاة مثلاً في صحن الزاوية بين الفقراء، فإنه إنما يفعل ذلك ليظهر للمريدين هوان الدنيا عند الفقراء حتى لا يزاحموا عليها، وليعرف بذلك حال من يبادر إلى التقاط تلك الدراهم كالأسد، ومن يأتي إليها على هينته، ومن يتركها ولا يقوم لها تعففًا، ومن يتركها ولا يقوم لها تكبرًا، وفي قلبه المحبة لها، بحيث أنه يود أن أحدًا أعطاها له من غير قيامٍ لها، فيكن المريد على حذرٍ من مثل ذلك، فقد مقت خلق كثير باعتراضهم على شيخهم في نثره الدراهم على الأرض، وقولهم لو أنه أعطى لكل إنسانٍ نصيبه في يده كان أولى، فإن رسول الله ﷺ قد نهى عن النهب، ونحو ذلك من الكلام الذي طعن على الشيخ، وغاب عن هذا الممقوت أن النهي إنما هو في حق من يؤذي بعضهم بعضًا حين الالتقاط، وهذا الأمر مفقود في حق غالب الفقراء، فيؤذي بعضهم بعضًا.

فقال الشيخ: إنما هو ليؤدب من يؤذي رفيقه؛ ليظهر ما في مكنون سره من دعوى الزهد في الدنيا، وعدم الاكتراث لها أن الشيخ امتحن أصحابه بما شاء ليخرج أضغانهم، ويطهرهم من خبائث الأخلاق.

فاعلم يا أخي ذلك، واحذر منه أنت وأقرانك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كراهية تقبيل الناس لأيديهم إذا خرجوا إلى السوق وغيره، وكراهة نزول الناس لهم عن دوابهم إذا رأوهم، ونحو ذلك لغلبة ذلهم وحقارتهم عند الله سبحانه وتعالى، فضلاً عن

خلقه، ولكراهتهم مزاحمة الحق تعالى في مشاركته الخلق له في مسمى التعظيم، فهم يحبون أن يكون التعظيم كله لله تعالى لا لعباده، وربما مقتوا من قبل أيديهم، أو نزل عن دابته لأجلهم غيرةً لله سبحانه وتعالى، وانتصارًا لجنابه، فلا تعتقد يا أخي أن أحدًا من الفقراء الصادقين ينشرح لتعظيمه أبدًا، ثم أن هذا دأب الفقراء ما لم يتمكنوا في مقام العبودية، فإذا تمكنوا فيه صاروا يمنعون الناس من التعظيم لهم بقلوبهم من غير لفظٍ ولا إشارةٍ، فيخرج أحدهم إلى السوق وغيره، ولا أحد يسأله الدعاء، ولا تقبل يده، ولا ينـــزل له إن كان ممن فني اختيارهم في اختيارهم، فلم يصير له ميل، ولا دفع لشيءٍ.

كان الشيخ أبو يزيد إذا خرج إلى السوق يزاحم الناس على الشيخ بمرقعته، فلامه بعض أصحابه في ذلك، فقال: إنهم لا يتبركون بأبي يزيد، وإنما يتبركون بخلعة الله عليَّ. انتهى.

فمثل هؤلاء لا اعتراض عليهم؛ لعدم القصد لجلب شيء أو دفعه، فليفتش الفقير نفسه، فإن لم يجد عنده داعية فليحمد الله تعالى وإلا فليستغفره.

فاعرض يا أخي ذلك على من يدَّعي الصدق في محبة الطريق تعرف حاله، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألاَّ ينشرح أحدهم بالرؤيا الحسنة التي يراها أو تُرى له، إلا إذا كان على وفق طريق الاستقامة، فإن كان مرتكبًا ذنبًا من الذنوب فإنما يكون ذلك استدراجًا.

وقد قالوا: أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس.

وقالوا: كرامات أمثالنا إلى الإثم أقرب، ثم إن هي خلت من الاستدراج، فلا ثقة بيقائها عليه، ثم إن وثق بدوامها فهي خلق الله وحده لا تعمد له فيها.

وأيضا فإن الرؤيا الصالحة إنما تأتي تأييدًا لضعيف اليقين لتزيده في البقاء على دينه، وكذلك الترغيب والترهيب لا يكون إلا لأعمى القلب، وأما من كشف الله عن بصيرته فلا يحتاج إلى شيءٍ يبعثه على الطاعة، ولا إلى شيءٍ يقوي إيمانه، فعلم أن كل من كثرت له المرائي الحسنة فليحذر منها؛ لأنها مؤدية لضعف إيمانه، وكذلك قلة كرامات الصحابة بالنسبة لمن بعدهم لقوة إيمانهم.

فافهم ذلك، واعرض يا أخي ما ذكرته لك على مريدي الصدق من المريدين تعرف حاله، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا تلقن أحدهم ذكرًا على الشيخ أن يدوام على ذلك الذِّكر ليلاً ونهارًا حتى يقع له الفتح، ويشعل قلبه بنار التوحيد والمعرفة.

وهذا الأمر قلَّ أن يقع لأحدٍ من مريدي هذا الزمان، فربما تلقن أحدهم فخمدت نار شوقه بعد ثلاثة أيام، ولذلك صار الشيخ يلقن المريد كذا كذا مرة.

وقد لقنت مرة فقيرًا من البررة من جامع الأزهر، وكان مجازًا بالتدريس في مذهب الإمام مالك، فوهب كتبه كلها للناس، وانقطع عندي بذكر الله سبحانه وتعالى على باب داري في خص ستة أشهر لا يمل ليلاً ولا نهارًا، ثم وقع له الفتح، ثم مات بعد ذلك بثلاثة أيام، فهذا من أغرب ما رأيته من صدق مريدي هذا الزمان، فالله يرزقنا وإخواننا الصدق لله تعالى آمين، فإن هذا صفة الصادقين، وأما من يلتفت إلى شيءٍ آخر غير ما هو مقبل عليه فهو كاذبٌ.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يرى أحدهم كل ما أمره به شيخه من الذِّكر أو المراقبة، أفضل من سائر الفضائل التي لا يأمره بالاشتغال بها، وذلك ليجد في السير من غير التفاتٍ إلى أمرٍ آخر، ولو كان أفضل مما هو فيه عند قوم آخرين، وليجزم في نفسه أن الشيخ ما حوله عن الاشتغال بذلك الأفضل إلا لما رآه فيه من الآفات التي تطرق الخلق، ولو أنه رآه سالمًا من الآفات في ذلك لأمره به، وحرم عليه العدول إلى المفضول من حيث أنه غشٌّ وتطويلٌ على المريد في الطريق، ثم أكثر من يقع في مخالفة الشيخ في هذا الأمر طلبة العلم، فيصحب أحدهم الشيخ العشرين سنة وأكثر فلا ينتفع، وذلك لأنه على الضد مما يقول له شيخه، ويزعم أن كل ما يأمره به شيخه مفضول، وما يشتغل هو فيه بنفسه أفضل.

فاعرض يا أخي ذلك على من يدّعي الصدق من المريدين تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يتخلق أحدهم بالرحمة على العالم كله، حتى يسود أنه لم يكن في العالم شقي أبدًا، وهذا وإن كان محمودًا في البداية فهو جهلٌ بأحكام الله تعالى، والله سبحانه وتعالى أرحم بخلقه من والديهم، وهو الذي أخذ بناصيتهم إلى أفعال أهل الشقاء، فالرحمة للخلق حدٌّ

لا تعداه، ولكن الكامل من يرجح مراد ربه على مراد نفسه، ولا يطلب أن يكون العالم كله سعيدًا بهوى نفسه، فإن الناس إنما يدخلون الجنة برحمة الله لا بأعمالهم؛ لأن أعمالهم كلها خلق الله تعالى، وليس لهم فيها مدخل إلا من حيث كونهم محلاً لظهورها على جوارحهم، فسواء عند الكامل زادت المعاصي على الطاعات أم انعكس الحال، وإنما يأمر الناس ويحثهم على الخير امتثالاً لأمر الله له بذلك فافهم.

واعرض يا أخي ذلك على من يدَّعي الصدق من مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون أحدهم حاذقًا يعرف نفاسة كلام شيخه، ولا يحوجه إلى تزكية نفسه أو كلامه، كما يقع في ذلك أعمى القلب من المريدين الكذابين، وربما زكى الشيخ نفسه بحضرة من لا خلطة له بأهل الطريق، فينكر على الشيخ، فيخرج ممقوتًا لا يفلح في الدنيا ولا في الآخرة.

وقيل: إن المريد إذا كان حاذقًا لا يحوج شيخه إلى تزكية، وأن الشيخ إذا كرر مسألة على مريد، أو قال له: احفظ مني هذه المسألة التي لا تجدها عند غيري، فإنما ذلك لكونه رآه متساهلاً بها، لا يعرف نفاستها، فأراد الشيخ بتلك التزكية باب الاعتناء بها.

فاعلم ذلك، واعرضه على من يدَّعي الصدق من المريدين، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يدخل أحدهم على شيخه إلا لأجل شيئين:

إما الخدمة له، وإما طلب إرشاده إلى ما فيه صلاحه، فمن لا خدمة عنده وطلب إرشاده، فدخوله على الشيخ سوء أدب، لاسيما إن سحب سبحته وسبح عليها بغير إذنه، فإنه ربما مقت. كما وقع ذلك لمريد يوسف العجمي ﷺ.

وقد أجمعوا على أن أقل ما يفعل الفقير مع الشيخ من الأدب أن يُعظم ويُحترم، كما يُحترم السلطان، لا يدخل عليه أحدٌ بغير إذنه، ولا يمسك أحد سبحته بغير إذنه. فاحترم يا أخي شيخك؛ فإنه عوان حالك مع ربك، ولا تجنح لمن رخص في ذلك، فإنه غشٌ لك.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدَّعي الصدق من مريدي عصرك، فإن رأيته يتكدر من شيخه إذا زجره ومقته حتى يدخل عليه بغير حاجة فاعلم أنه كذابٌ في دعوى

محبة الطريق، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا واظب أحدهم على مجلس الذكر ألا يرى له بذلك مقامًا على من لم يحضر ذلك المجلس إلا من حيث ذكر الله تعالى لا غير، بل الواجب على كل عبدٍ أن يرى الفضل لله تعالى الذي أهَّله لأن يجلس بين يديه، ويجالس المجالسين لله تعالى من المشايخ والملائكة، الذين يحضرون مجالس الذكر.

وهذا الخلق يقع في مخالفته غالب من لا قدم له في الطريق، ويقول في نفسه: لولا حضوري لبطل هذا المجلس، فليحذر الفقير من مثل ذلك، ولا يحضر مجلس الذكر إلا خائفًا من الله تعالى، كالمجرم إذا أتوا به إلى الوالي ليعاقبه، فهو يخاف من العقوبة، ولا يرجوه أو يخلع عليه.

فافهم واعرض هذا الخلق على من يدَّعي الصدق من مريدي زمانك، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عرض أحدهم صحيفته على شيخه كل يومٍ، ولا يكتم عليه شيئًا، وذلك لأنه أمينٌ عليه من جهة الله ﷻ.

ومتى كتم عنه شيئًا من أحواله حياءً منه فقد غشَّ نفسه، فإن الأشياخ لا يزدرون أحدًا بجريان أقدار الله تعالى فيه، فإن العبد عاجزٌ عن رد أقدار الحق تعالى التي قدَّرها عليه.

وكان بعضهم يقول إذا أحس بوقوعه في مخالفةٍ: اللهم إنك تعلم عجزي عن رد أقدارك النافذة فِيَّ، فاغفر لي وسامحني. انتهى.

ومن فوائد عرض المريد صحيفته على الشيخ تخفيف وقوعه للحساب يوم القيامة، فإن الشيخ نائبٌ عن الله تعالى في مناقشة المريد، ومحاسبته في دار الدنيا، فإن رأى العقوبة أصلح له عاقبه، وإن رأى الشفاعة خير له شفع فيه ربه ﷻ، واستغفر الله له، وكل من كتم عن شيخه زلة فيا طول حسابه وقت يتجاوز الحق عنه!

فعلم أن الصادق هو من لا يكتم عن شيخه شيئًا من نقائصه وعيوبه بالعكس.

فاعرض يا أخي ذلك على من يدَّعي الصدق من مريدي زمانك تعرف حاله، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يرجع أحدهم باللوم على نفسه إذا خرج للفقير عن شيء من ثيابه مثلاً، ثم رجع إليه ثانيًا، فيقول لنفسه: لولا علاقة محبتك لما خرجت عنه أولاً، ولم يرجع إليك ثانيًا، ولو كنتِ صادقة لم يرجع إليكِ بوجهٍ من الوجوه.

وقد أرسلت مرة صوفي وفروتي إلى السوق، فعرفهما شخصٌ من المحبين، فأعطى النقيب ثمنهما ووهبهما إليّ، فرددت الثمن عليه فلم يرضَ، ثم بعد ذلك أرسلتهما أيضًا إلى السوق لاشتري للعميان بهما شيئًا من الجبب، فصادفهما محب أيضًا فردهما أيضًا، وأعطى الثمن للفقراء، حتى وقع لي ذلك خمس مرات، ففتشت نفسي فاتهمتها أن عندها علاقة في محبة الشهوة بالإيثار، فحلفت أني ما عدت أقبلهما بوجهٍ من الوجوه.

فاعرض ذلك على من يدَّعي الصدق يا أخي من المريدين تعرف حاله، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

لا يقرضون أحد بنية طلب القرض، إنما يعطون المحتاج ما طلبه، ولا يحدثون أنفسهم بأنهم يأخذون منه عوضًا في الدنيا والآخرة؛ إذ الحال الذي عند كل عبدٍ إنما هو لله حقيقةً، والعبد كالوكيل لصاحب المال، فيعطي كل محتاجٍ بقدر ما أشار به السيد، فلو أتاهم المقترض بعد ذلك بالعوض لا يأخذونها منه لأنفسهم من مال لعبيد الله أبدًا، ثم قدمنا قريبًا أن رجوع العوض للفقير من علامة وجود علاقة في قلبه، لذلك الأمر الذي أعطاه، وأنه لو صدق لم يرجع إليه عوض أبدًا.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدَّعي الصدق من مريدي عصرك تعرف حاله، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ترك الالتفات إلى وراء إذا مشوا في طريق الظاهر والباطن، وإذا التفتوا لحاجةٍ التفتوا جميعًا؛ إظهارًا لمقام أخيهم، ووفاء حقه، وإظهارًا للفاقة والحاجة إلى ما التفتوا لأجله من حوائج الدين.

نادى رجلٌ أبا بكر الشبلي ﷺ من خلفه فلم يجبه، وقال: أما علمت أن الفقراء لا يلتفتون إلى وراء لغير ضرورةٍ، ولا يجيبون من ناداهم من خلف القفا، كل ذلك لتعلق همتهم بما أمامهم من دوام السير إلى حضرة الله تعالى، شوقًا إلى أهلها، كما يجد المسافر في السير إذا قرب من معالم بلاده شوقًا إلى وطنه وأولاده وزوجاته.

فاعلم ذلك واعرض هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

التصدق عقدًا بقلوبهم على جميع عباد الله تعالى بأعراضهم وذمامهم وأموالهم، ولا يظلمون أحدًا بشيءٍ في الدنيا والآخرة بالأشياخ وأصول الشرع فعضد هذا الفعل، فإنه من باب العفو ومكارم الأخلاق، وقد ورد النص في ذلك، وهم الذين يكون أجرهم على الله سبحانه وتعالى.

وفي الحديث أيضًا مرفوعًا: ((**لا يستطيع أحدكم أن يكون كأبي ضمضم، كان إذا أصبح يقول: اللهم إني تصدقت بعرضي على عبادك**[1])) انتهى.

لكن لا يخفى أن التصدق بما ذكر لا يصح إلا من جانب حق العبد، أما من جانب حق الله تعالى فلا يصح عمله، فإن على كل من استغاب الناس إثمًا زائدًا على الإثم الحاصل بالضرر للمغتاب، من حيث أن المستغيب تعدَّى حدود الله بعد نهيه عنها.

فعلم أن كل من تكدر من كلام الناس فهو لا يشم رائحة لأهل الطريق، فضلاً عن كونه يقع في أعراض من اغتابوه.

وقد كان سيدي إبراهيم المتبولي رحمه الله يقول إذا مات له عدو يحزن عليه، ويدعو له بالمغفرة والرحمة ويقول: لا إله إلا الله، مات من كان يحصل لنا على يديه الخير من حيث حملنا الأذى منه، وإن لم يقصد هو ذلك.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم الازدراء لأحدٍ من خلق الله ﷻ؛ لأنه من شعائر الله، فالذرة الصغيرة كالعرش العظيم من حيث أن خالقهما واحد وهو الله ﷻ.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول: لا يزدري أحدكم شيئًا من المخلوقات إلا تبعًا للحق تعالى، فإن الله تعالى لم يزدره حين خلقه.

ومن شأن الكامل أن يعظم ما عظم الله، ويحقر ما حقر الله، فيقدم الخير على الشر، والآدمي على الكلب، والعدل على الفاسق، وما أشبه ذلك، مع علمه بما الأمر عليه في

---

(١) رواه الضياء المقدسي في المختارة (٥/١٤٩)، والديلمي في الفردوس (١/٣٩٥).

الباطن.

وكان الشيخ محيي الدين بن العربي ﷺ يقول: لا يكمل الفقير في مقام العرفان حتى يحسن إلى كل برٍّ وفاجرٍ وناطقٍ وصامتٍ وطاهرٍ ونجسٍ، تخلقًا بأخلاق الله تعالى.

ولقد حدثني الوجيه المقدسي بمدينة ملطية أنه كان بمدينة بخارى والٍ ظالم، فركب يومًا فرأى كلبًا أجرب يرعد من البرد.

فقال لبعض غلمانه: ارفعوا هذا الكلب، وأحسن له ودفأه من البرد ودهنه، فلما كان الليل نودي في منامه: يا فلان كنت كلبًا فوهبنك لكلب.

فانظر يا أخي كيف آثر ربي هذه الرحمة بهذا الكلب، فكيف برحمة الفقراء والمساكين؟

وفي الحديث: ((**في كل كبد حراء أجر**[1])).

واعلم أن المريد الصادق لا يزدري أحدًا من الظلمة، ولا يستبعد وقوع الرحمة لأحدٍ منهم، فربما يكون لكل فعلٍ لهم مذموم كفارة، أو يكون الله تعالى يغفر لهم كلما أذنبوا أولاً فأول.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: من شرط الفقير الصادق أن يستعظم ذنبه، ويستغفر ذنوب الناس. انتهى.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدَّعي الصدق من مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يفتح أحدهم باب التصدر لقضاء حوائج الناس إلا بعد فراغهم من تهذيب نفوسهم، وكمال رياضتها، ومعرفتهم بطريق السياسة، وكل من تصدر لذلك قبل كمال رياضة نفسه فهو طالب رئاسة في غير محلها، وفي ذلك من التعب والرياء والنفاق ما لا يخفى.

وكان سيدي إبراهيم المتبولي رحمه الله يقول: ربما تصدر العبد لقضاء حوائج الناس قاصدًا بذلك نشر الصيت والثناء الجميل، لاسيما إن عكف أصحاب الحوائج على بابه وخدموه، وأهدوا إليه الهدايا وقبلها، فإنه يهلك ويزداد غرورًا، وتقول له نفسه: لولا أنك مخلصٌ في ذلك ما عكف الناس على بابك، ولا خدموك هذه الخدمة، وربما لامه أحد من

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٢٢٢).

إخوانه على ذلك، فيقول: أنا لا اختيار لي مع الله تعالى.

وقد أجمع القوم على وجوب تقديم تخليص نفسه من الشوائب على تخليص غيره، وإن كان كل منهما واجبًا.

إذ الغريق لا يُطالب بإنقاذ غيره من الغرق إلا إذا خلص من الغرق.

وكان الشيخ محيي الدين ﷺ يقول: من تصدَّر لقضاء حوائج الناس قبل تخليص نفسه من أسر هواها، وسخرية الشيطان بها فهو مفتونٌ؛ لأن كل عملٍ لا يراد به وجه الله تعالى فهو كالهباء المنثور، وقال ﷺ: ((**من أخذ يكلم في سبيل الله، والله أعلم بمن تكلم في سبيله**[١]))، فأعلمنا ﷺ أنه ليس كل من قتل صف القتال يكون مقتولاً في سبيل الله عند الله.

فاعلم ذلك، واعرض ما قلناه لك على من يدَّعي الصدق على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

القناعة باليسير من الدنيا سواء كان دراهم أو أكلاً أو شربًا أو ملبسًا أو نومًا أو لغوًا أو جماعًا، ونحو ذلك، بخلاف أحوال الآخرة فلا يقتعون منها باليسير لحديث: ((**لا يشبع مؤمن من خيرٍ**[٢]))، وقد عدَّ القوم القناعة من الدنيا بوقوف النفس، كلما رُزقت من غير تشوقٍ إلى زيادة.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول: لا يكمل المؤمن في مقام العبودية حتى يشهد أعماله كالهباء، وإن كانت كالجبال من حيث الكثرة.

وهذا الخلق قد صار نادرًا في مريدي هذا العصر، فاعرضه عليهم تجد غالبهم لا يشبع، ولا يقتنع من الدنيا، ولا تنسَ فاعرضه على نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

الشكر على الضراء كما يشكرون الله على السراء، ولا يتجرد أحدهم من ثوبٍ يعطيه لأحدٍ إلا على طهارةٍ.

وكذلك من أخلاقهم: ألا يحلقوا شعرًا ولا يقصوه، ولا يقصوا أظفارًا إلا على طهارةٍ؛ عملاً بحديث الملائكة الكرام الكاتبين في قولهم: (أتيناهم وهم يصلون وتركناهم

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (١٨٥/٣)، والديلمي في الفردوس (١٦٣/٥).

وهم يصلونهم).

ومعلوم أن صلاة كل شيءٍ بحسب ذلك الشيء، ولا تصح الصلاة من شيءٍ إلا على طهارةٍ، كما أوضحنا الكلام على ذلك في كتاب ((المنن الكبرى)).

وكذلك من أخلاقهم: غض البصر عن فضول النظر، والإسراع في المشي.

وفي الحديث: ((**مَنْ أراد ألا يلحقه تعبٌ في مشيه فليشد وسطه ويقارب خطاه**[1]))، أو كما قال: وذلك أبعد عن الزهو والعجب.

وعن أنس بن مالك ﷺ أنه كان لا يفارق البرنس صيفًا ولا شتاءً ويقول: إنه يكف البصر عن فضول النظر انتهى.

ومن لم يجد البرنس فليرخي الطيلسان عن عينيه، بحيث لا يرى إلا موضع قدميه، ولا يكلم أحدًا حتى يرفعه.

وكان على ذلك شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه الله[2]، كانت طيات عمامته بيده حتى يكلمه ثم يرخيها.

فاعرض يا أخي هذا الخلق وما قبله على مريدي عصرك تعرف حالهم.

ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

العمل على تنظيف قلوبهم من كل شيءٍ يحجب عن الله تعالى حياءً منه تعالى.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول: لا يبلغ أحدٌ مقام الاستحياء من الله تعالى حق الحياة حتى يطلع الحق في سريرته وحركاته وسكناته، فلا يرى شيئًا يكرهه.

وفي رواية أخرى: حتى يطلع الحق جلَّ وعلا في قلبه، فلا يرى فيه رئاسة لغيره، ولا شوقًا إلا إليه، ولا حبًا إلا لله، وفيه ومنه.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) هو شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري السنيكي الشافعي، الفقيه المعمر صاحب التصانيف النافعة في علوم متعددة، أحد أركان الطريقين الفقه والتصوف، قال الشيخ المصنف: وقد خدمته عشرين سنة فما رأيته قط في غفلةٍ ولا اشتغالٍ بما لا يعني لا ليلاً ولا نهارًا، له: أسنى المطالب في شرح روض الطالب، أقصى الأماني في البيان والبديع والمعاني، أحكام الدلالة على تحرير الرسالة القشيرية، وتحفة الباري شرح البخاري، والمنهج وتحفة الطلاب، والتحفة العلية في الخطب المنبرية، وتلخيص الأزهية في أحكام الأدعية للزركشي، ورسالة في بيان الألفاظ الصوفية والزبدة الفائقة في شرح البردة الفائقة، والكواكب الدرية في مدح خير البرية، خمستهم بتحقيقنا. وانظر: الطبقات الكبرى الشيخ المصنف (٢/١١١).

وفي روايةٍ: حتى يطلع على سريرته فلا يرى فيها التفاتًا لغيره انتهى.

فاعرض يا أخي ذلك على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

غلبة الرجاء عندما يريد سلطان القنوط أن يتحكم فيهم، وفي غير هذه الحالة فالخوف لهم أكمل وأجمل.

وكذلك من أخلاقهم: الانقباض، إذا رأوا منكرًا في الشرع إيثارًا لجناب الشرع.

كما أن من أخلاقهم: التعامي عن عيوب الناس حتى لا يصيروا يعتقدون في المسلمين إلا خيرًا.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: لا يكمل الفقير في مقام الإرادة حتى يعمى عن مساوئ الناس كلها، فلا يشهد فيهم إلا خيرًا، وذلك عنوانٌ على أنه يصلح في الطريق، وكل مريدٍ شهد نقائص الناس فهو شر الناس؛ لأنه لا يشهد في الناس إلا صورة نفسه، ولو أنه كان تنظف من الرذائل كلها، لم يشهد في الناس إلا خيرًا.

وسمعته يقول: يحتاج المريد أن يكون له عينان: عينٌ ينظر بها في كمال الناس، وعينٌ ينظر بها إلى ما وقع منهم من البدع والمعاصي، ينكرها عليهم.

فقد أجمعوا على أنه يجب على كل مسلمٍ نشر محاسن الخلق، وستر مساوئهم إلا المبتدعة، فإنه يجب على كل مسلمٍ أن يعرف الناس أحوالهم؛ ليأخذوا منهم حذرهم من باب الرحمة بهم وبالمسلمين، فإن على المبتدع وزر كل من تبعه زيادة على إثمه هو، وهذا معدودٌ من جملة إماطة الأذى عن الطريق؛ إذ لا فرق في الأذى بين إماطته في الطريق الظاهر أو الباطن، ثم إن أكثر من يقع في خيانة العمل بهذا الخلق من لا شيخ له من المريدين من أوائل دخوله الطريق.

فاعرض يا أخي ذلك على من يدَّعي الصدق من أهل عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

طرح الميل إلى الكونين بقلوبهم إلا بقدر الضرورة، بحيث لا يحجبهم ذلك عن شهود الحق جلَّ وعلا في ساعة من ليلٍ أو نهارٍ.

وكذلك من أخلاقهم: إعطاء المحتاجين كل ما بأيديهم، فلا يتركون منه إلا ما دعت ضرورتهم إليه، وكل مريدٍ منع المحتاج بغير ضرورةٍ فهو من أبناء الدنيا، لم يشم من طريق

القوم رائحة.

ثم إذا بلغ مقام الكمال فله ميزان آخر خلاف هذا، وهو أن يقدم حاجة نفسه على حاجة غيره؛ لحديث: ((**الأقربون أولى بالمعروف**[١]))، ولا أقرب للإنسان من نفسه، بل هي حقيقة ذاته، وما مدح الله المؤثرون على أنفسهم إلا تقويةً لقلوبهم؛ ليخرجوا عن ورطة الشح، الذين فتحوا عيونهم في الدنيا عليه، فإنه من أقبح الصفات في المؤمن، فإذا خرج عن ذلك صار لا يرى أنه آثر أحدًا بشيءٍ من رزقه هو، وأنه ما أعطى الناس إلا ما قسمه الله لهم، وإن لم يكن قسمه له لا يمكن أن يعطي غيره منه ذرة، وهناك يؤمر بالبداية بنفسه؛ عملاً بحديث: ((**ابدأ بنفسك ثم بمن تعول**[٢])).

فأما من قال الإيثار مطلقًا أفضل، والبداية بالنفس مطلقًا، فهو يبلغ مقام الكمال.

فاعرض يا أخي ما قررته لك على مريدي عصرك تعرف مقامهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

التباعد عن كل ما للنفس فيه غرض طبيعي لا شرعي، كأن يتناول شهوة بغير شهود الحق جلَّ وعلا، على جهة التمني والتعني والطلب لها؛ ليخرج من سبقت له تلك الشهوة بغير تعبٍ ولا سؤالٍ.

فإن مثل هذا له أكلها وتناولها، إلا أن يكون في مقام المجاهدة، أو في مقام توفير اللذة في مواطنها الحقيقية، وكان على هذا القدم الإمام عمر بن الخطاب، وعثمان ابن عفان، وأبو ذر وأضرابهم.

وورثهم في ذلك: عمر بن عبد العزيز، وعتبة الغلام، وبشر الحافي، وجماعة كسيدي عبد العزيز الديريني[٣]. وسيدي عبد الله المنوفي[٤] والشيخ عبد الحليم بن مصلح ونحوهم،

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفا (١/١٨٣).

(٢) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (١/٢٤٦).

(٣) هو الشيخ العارف الولي عبد العزيز بن أحمد بن سعيد بن عبد الله الدميري الشافعي المعروف بالديريني (عز الدين، ضياء الدين، أبو محمد) مفسر، فقيه، متكلم، مؤرخ، واعظ، أديب.
من تصانيفه المصباح المنير في علم التفسير في مجلدين، وطهارة القلوب، والمقصد الأسنى.
وانظر: معجم المؤلفين (٢/١٥٧).

(٤) قال المصنف في الكبرى (٢/٢): هو سيدي الصالح العابد الزاهد الأوحد صاحب الكرامات الكثيرة والتلامذة الأئمة، توفي سنة ٧٤٨ هـ، ودفن تجاه قبر قايتباي بالقاهرة، وقد أفرده تلميذه خليل بالترجمة (أتم الله لنا تحقيقها).

فليس لمن هو في مقامهم أن يتناول شيئًا من طيبات الشهوات.

وكان إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه[1] يقول: الدنيا حرامٌ على أهل الآخرة، والآخرة حرامٌ على أهل الله عز وجل انتهى.

فاعرض يا أخي ذلك على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يعملوا على تحصيل الحضور مع الله تعالى في جميع عباداتهم، ولا يغترون بشيءٍ لم يحصل لهم فيه حضور؛ لأن ما لا حضور فيه عادة لا عبادة، والأمور العادية لا ثواب فيها، ولا تقرب إلى حضرة الله، فإن الله تعالى يقول للملائكة الكرام الكاتبين: اكتبوا عمل عبدي فلان، واكتبوا أين كان قلبه حال العمل لأجازيه بمثله انتهى.

ربما كان عمل العبد في عينه كالجبال الرواسي، ولا يتحصل منه قيراط واحد من أربعة وعشرين قيراط، وما كان كذلك فهو إلى الإثم أقرب.

وقول بعضهم: إذا حضر العبد في جزءٍ من صلاته يشفع ذلك الجزء في بقية الأجزاء، فيقبل الله شفاعته فضلاً منه ورحمةً من باب الترخيص، لا ترقي بها بإجماع القوم، ولا دليل على ما قاله هذا البعض من كتابٍ ولا سنةٍ، وأين مقام الحاضر مع الله من مقام الغافل عن الله!

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: لو فتش الفقير من نفسه لوجد عبادته طول عمره لا تساوي عبادة العارف بالله تعالى يومًا واحدًا.

وقد قال أبو عبد الله الحصري للشبلي وهو مريدٌ: يا أبا بكر إن خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة غير الله فلا تأتني؛ فإنه لا يجيء منك شيء في الطريق.

فانظر تكليف الحصري لمريده بالحضور من الجمعة إلى الجمعة في صلاةٍ أو غيرها، فكيف بمن لا يحصل له ذلك في صلاة من الخمس فضلاً عن النوافل، فعلم بما قررناه أن عبادة أكثر مريدي هذا الزمان لا ترقي فيها؛ لاشتغال قلوبهم بغير الله تعالى.

فاعرض ذلك على من يدَّعي الصدق من مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تنسَ

---

(١) هو سيدي إبراهيم بن أدهم البلخي الحازم الأحزم العارف الأعزم، كان عم المقطوع المرذول ذاهلاً، والمرفوع الموصول متشاغلاً، لقِّب بأمير الزهاد. وانظر في ترجمته: حلية الأولياء (٣٦٧/٧)، والطبقات الشعرانية (٨١/١)، والرسالة القشيرية (ص٩)، صفة الصفوة (١٢٧/٤)؛ وطبقات السلمي (٢٧)، وطبقات الأولياء (ص٥)، والكواكب الدرية (١٤٢/١).

نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

زيادة الاحترام لإخوانهم الذين لا لسان لهم ولا يد يقابلون به من يؤذيهم، فإن الله تعالى يكون خصمًا لكل من آذى مثل هؤلاء، فإنهم كالأيتام في حجر تربية الحق جلَّ وعلا، فيأخذ لهم حقهم من خصمهم ولو لم يسأل الله تعالى ذلك، ومن كان من المريدين يؤذي إخوانه بغير حقٍّ فهو عدو الله تعالى، وعدو الله كيف يدَّعي أنه يحب طريقه!

فاحذر يا أخي من أن تؤذي من كان من إخوانك بهذه الصفة، فإن المقت أسرع إليك من السل إلى منتهاه، ولذلك عدم فقراء الزاوية المشاحنون لإخوانهم النفع، وصحبوا أهواء أشياخهم حتى ماتوا، فلم يفتح على أحدٍ منهم، ولو أنهم كانوا صادقين في طلب الطريق لعظموا كل من انتسب إلى الله تعالى، واكتفى بعلمه فيه.

فاعرض يا أخي ذلك على فقراء عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

لبس المرقع من الثياب بالنسبة الصالحة لا بقصد التميز عن الإخوان، ففي الحديث الشريف: «**شرُّ النّاس مَنْ أشارَ النّاسُ إليه بالأصابع**[1]»، اللهم إلا أن يكون مع جماعةٍ كلهم لابسين المرقعات، كجماعة سيدي عبد العزيز الديريني، وسيدي عبد الله المنوفي وأضرابهم.

فمثل هؤلاء لا بأس بموافقتهم في لبس المرقع، ولهم في مثل ذلك مشاهد صالحة منها: إعلام الناس أن دينهم ممزقٌ مرقعٌ كل في سائر أقوالهم وأفعالهم، فليس لهم عمل صحيح كله أبدًا.

ومنها: تخفيف المؤونة على إخوانهم إن لم يكن لهم كسب يسترهم بين الناس، وقد كانت المرقعات صدفًا تحته در، فصارت مدرًا تحت فواحش وقبائح، لو اطّلع عليها الناس ما سلموا على أصحابها.

ولقد أنشد في ذلك الشيخ العارف بالله تعالى الخطيب ابن أحمد الفيومي، فقال من جملة أبيات:

وآهـــا لغفلـــة إنـــسانٍ يـــنام ... وقـــد صَاح المشيبُ به يا صاح لو سمعًا

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٨/٢١٠)، وفي الأوسط (٧/٧٢).

حتى إذا زادت الآثام واجتمعت عليه فَرَّقَت الأيام ما جَمَعَا

يا من يُكاثر بالدنيا ويلك هل رأيت مالا غدا للميت متبعًا

كم من فني شيد الدنيا ورفعها تراه في النار يوم الحشر قد وضعا

له احتيال على جمع الحطام ولو من الربا وتراه يدعي الورعا

ويلبس الثوب قد خيطت به وقع وليس ممن لباب الله قد قرعا

فلو نظرت إلى مكنون باطنه رأيت أحشاءه مملوءة بدعا

لو كان يعرف ما لبس المراقع لم يكن بتلبيسه قد دنس الرقعا

إن المراقع في أربابها صدف للدر من كدر الأغيار قد منعا

فإن أردت طريق الحق تسلكه فكن عن الميل للأهواء منخلعًا

والبض على السُّنة الغرَّاء بيديك تكن ومن لآثار خير الرسل تبعا

إلى آخر ما قال.

ثم اعلم يا أخي أن السلف الصالح ما خاطوا المرقعات اختياراً، وإنما ذلك لضيق أيديهم عن الحلال، فلا تظن أنهم كانوا كفقراء هذا الزمان من الأحمدية والبرهامية والسهروردية، ونحوهم ممن يقطع القماش الملون اختيارًا، ويخيطه بعد ذلك، فإن ذلك كله حظ نفس لا يزداد به صاحبه عن حضرة الله إلا إدبارًا، وقد رأيت من صرف على مرقعة نحو أربعمائة ونصف، ولو أنه لبس بهذا الثمن جوخةً أو صوفًا لكان أفضل له وأحسن.

وقد عدَّ أشياخ الطريق لبس المرقعات من الموت الأخضر على النفس، فخرج من يفرح بلبس المرقعات، وقالوا: لا بدَّ لكل مريدٍ أن يموت أربع موتات: الموت الأحمر وهو مخالفة الهوى، والموت الأبيض وهو الجوع، والموت الأسود وهو تحمل الأذى من الناس، والموت الأخضر وهو طرح الرقاع، فما عدوا ذلك موتًا إلا لمخالفته لهوى نفوسهم، وأما إذا وافق هواها فذلك من جملة حظوظها انتهى.

وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب ((المنن الكبرى)) فراجعه.

واعرض يا أخي ما ذكرته هنا على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا وسع الله عليهم الدنيا ألا يأكلوا الطعام الدسم اللذيذ أو الحلو مثلاً، ولا يلبسوا الثياب الفاخرة، ولا يطعموا الطعام المكلف لضيفٍ، كذلك إن علموا من نفوسهم أن من ضيفهم القيام بالشكر العادي، فإن علموا من نفوسهم العجز عن ذلك وجب عليهم في طريق المجاهدة أن ينعموا نفوسهم من ذلك.

وقد كان إبراهيم بن أدهم ﷺ يخلط دقيقه بالرماد نحو الثلث، ويقول: نحن لا نقوم بشكر.

وهذا الذي قررناه من شأن المريد ما لم يطلعه الله تعالى على ما قسمه له أو لضيفه، فهو مثابٌ على تركه الأكل واللبس له أو لضيفه، أما إذا أطلعه الله تعالى على ما قسمه له أو لضيفه فهو أدب آخر سيأتي بيانه في هذا الأخلاق إن شاء الله تعالى.

ووالله إن الله تعالى قدرني على أن أعمل عندي الطعام الدسم اللذيذ كل يومٍ لي ولضيفي، ومع ذلك أتركه رحمةً بي والضيف، ومحبة فيه، ويعجزنا عن القيام بشكره عادةً، فإن من الواجب على من غرق في النعم لا ينام الليل لا شتاءً ولا صيفًا، ولا يغفل عن ربه ساعة.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: من طلب من الله الكثير من الرزق طالبه بالكثير من العمل وبالعكس انتهى.

فكن يا أخي حاذقًا، ولا تضيع دراهمك في شيءٍ آخره بيت الخلاء، وما أنفق العقلاء في كل عصرٍ إلا فيما يقربهم إلى الله تعالى، أو يقرب إخوانهم إليه، أما ما يعجزوا عن أداء شكره فلا.

وقد كان الحسن البصري ﷺ يقول: وددت أن آكل أكلة فتصير في بطني كالآجرة حتى أموت، فإنه بلغنا أنها تمكث في الماء نحو ثلاثمائة عام انتهى.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف هذا تقوم به أم لا، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يبذل أحدهم وسعه في حضور القلب في الورد الذي جعله شيخه له من قراءة، أو ذكر وصلاة على رسول الله ﷺ.

فإن فتوحه في ذلك، ومن علامة بذل وسعه في الحضور مع الله سبحانه وتعالى في ذكر الورد أن يجد عنده داعية للاشتغال بحفظ بوجد، أو قراءة ورد آخر، فإنه لو بذل وسعه

ما وجد عنده داعية في ذلك الوقت، وذلك أن شيخه حكيم لا يحمله إلا قدر طاقته.

وبالجملة فقد عدم أكثر المريدين مع أشياخهم، وصار أحدهم شيخ نفسه، وأكثر ما يقع في ذلك فقهاء أطفال الزاوية، فيقول الشيخ لهم: دعوا الأطفال يحضروا مجلس ذكر الله؛ ليحصل لهم جلاء باطنهم، فيغمز أحدهم الأطفال أن اقرأوا في ألواحكم دون حضور الذكر، ويرجح رأيه على رأي شيخه، فكل ذلك معدود من جملة الخيانة للشيخ، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يحسنوا إلى الضعيف باطنًا وظاهرًا، وذلك بأن يطعموه الطعام الحلال القليل، لكن من لونٍ واحدٍ، وهيهات أن يجد أحدنا لونًا واحدًا من الحلال، وهذا الخلق يخل به أكثر المريدين، فيلون أحدهم الطعام لضيفه من الشبهات، أو الحرام عند أهل الورع[1]، فيحسن إليه ظاهرًا ويسيء إليه باطنًا، ولو أنه كان أطعمه لونًا واحدًا قليلاً من الحلال لأحسن إليه باطنًا وظاهرًا، فليتنبه الفقير لمثل ذلك، ويراعي الإحسان إلى ضيفه باطنًا وظاهرًا دون أحدهما، وليعلم أن الإحسان إليه باطنًا مع غضب الضيف عليه أفضل من إساءته على الضيف باطنًا مع محبته له، فإنه إذا أساء إليه ظاهرًا أحسن إليه باطنًا وبالعكس.

ومن هذا الباب أيضًا: إخراج الطعام الكثير للضيف إذا غلب على ظنه أنه لا يقدر على رد نفسه عن الشبع المفرط، فهو كذلك إحسان للضيف ظاهرًا إساءة إليه باطنًا، وكذلك تدفئة الضيف بالغطاء أيام الشتاء هو إحسانٌ له في الظاهر إساءة إليه في الباطن، إن كسل بذلك عن قيام الليل، ثم أنه لا يقدر على العمل بهذه الأخلاق إلا من خرج عن حكم الطبع، وكان أشفق على دين إخوانه من المسلمين من أنفسهم، وقليل من يخرج عن ذلك من المريدين.

فاعرض يا أخي هذه الأخلاق على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يحسنوا إلى كل من صحبهم من ناطقٍ وصامتٍ، ويقومون بحق صحبته، فلا يهبوا

---

(١) قال الشيخ المصنف: واعلم يا أخي أن عمارة الدين الورع عن كل ما نهى الله تعالى عنه، ولو نهْي تنـزيه، ولا خير في عبد يكون قليل الزهد والورع؛ لحديث البخاري وغيره مرفوعًا، وصح: «وخَيْرُ دِينِكُمْ الوَرَعُ» وانظر: الدرر واللمع للمصنف (ص٣٢)، بتحقيقنا.

عبدهم مثلاً إلا لمن يحسن إليه أكثر منهم أو مثلهم، ولا لمن هو دونهم من الإحسان إليه، ولو كان من أكبر المخالفين لأغراضهم الآبقين عن طاعتهم، ولا يهبوا شيئًا من ثيابهم إلا لمن يكون أكثر طاعة لله تعالى فيها منهم، ومن وهب ثوبه إلى من يكون أقل طاعة لله تعالى منه فقد أساء في حق ذلك الثوب وذلك اللابس، فإن الثياب تتشرف بلابسها إذا كان أكثر طاعة لله تعالى.

وهبت مرة صوفي الأبيض لبعض إخواني التجار، فجاءني في المنام وقال: أعطيتني لشخص ينام جنبًا، ولا يقوم من الليل شيئًا، ولا يذكر الله تعالى والدار الآخرة إلا قليلاً، بعدما كنت أتشرف معك بالوقوف بين يدي الله تعالى في ظلام الليل، والله ما كان هذا جزائي بعد صحبتك عشرين شهرًا، فاستيقظت متأسفًا على كوني لم أفتش على من أعطيته ذلك الصوف قبل أن أعطيه له، هل يقوم الليل أم ينام؟ وهل يطيع الله فيه أم يعصيه؟

ووهبت مرة أخرى جبتي لفقيه أكثر عبادةً مني، فجاءتني الجبة وقالت لي: جزاك الله عني خيرًا في إعطائك لي هذا الرجل الصالح الذي لا ينام من الليل إلا قليلاً، فشكرت الله تعالى على ذلك.

وقد ذكرنا في كتاب ((المنن الكبرى)) أن من الأدب مع من لبس شيئًا من ثياب الفقراء ألا يعصي الله تعالى فيه، ولا يحضر به في مواضع المعاصي، ولا يمتهنه برميه على الأرض، ولا يعطيه لأحدٍ ببيعٍ ولا هبةٍ ولو بذل فيه أضعاف ثمنه.

وأن الجنيد أعطى الشبلي رحمهما الله سواكًا، فبذلوا له فيه ألف دينار، فهمَّ أن يعطيه لهم فقال: قد يكون الجنيد ﷺ طوى لي فيه شيئًا من أسرار الله ﷻ، وقد منَّ الله على أصحابي بهذا الأدب، فلم يعطه أحدًا منهم لأحدٍ شيئًا مما وهبته له، ولو بذل له فيه ما عسى أن يبذل.

منهم: سيدي شرف الدين بن الأمير.

ومنهم: سيدي محمد بن الموفق.

ومنهم: سيدي أبو الفضل الحريري.

ومنهم: سيدي الشيخ شرف الدين الديصطي، والشيخ تقي الدين بن المقبول، وسيدي محمد الحنفي، رضي الله عنهم.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يسألوا الله تعالى الحفظ من الخطايا إلا مع سؤال الحفظ من الوقوع في العجب، ورؤية نفوسهم أنهم خير من أحد من إخوانهم إلا على وجه الشكر.

وأما قوله ﷺ: ((**اللهم نقني من الخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس**[1]))، فإنما قال ذلك لأنه معصومٌ، لا يخاف العجب عن نفسه، وليس له ذنوب حقيقية، وإنما هي ذنوب أمته التي وقعوا فيه، فأضافها ﷺ إلى نفسه من حيث أنه هو المشرع والمبين لأمته تحريمها، ولو بيانه لها ما كانت ذنوبًا بل كانت بحكم المباحة، كما أوضحنا الكلام على ذلك في كتاب ((**الصدق والتحقيق في تفليس غالب المدعين للطريق**)) عن الأجوبة عن أكابر الحضرة الإلهية.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: قلَّ أحد من الأمة يحفظه الله من الذنوب إلا ويقع في العجب بحاله، والإدلال على ربه، ويسير يستنكر من ربه تعذيبه لو شاء الله تعالى، ويقول في نفسه: كيف يدخلني النار وأنا لا ذنب لي انتهى.

وكان أخي أفضل الدين يقول: من نعمة الله على المريد تعرفه إليه بالرخاء تارة وبالشدة أخرى، وبتقدير الطاعات له مرة، وتقدير المعاصي عليه مرة أخرى، وذلك ليشكر ربه تارة، ويرضى بقضائه تارة، ويعرف فضل الله عليه من جهة حلمه عليه، وعدم معاجلته بالعقوبة، ولأن يلقى العبد المؤمن ربه ذليلاً خاضعًا من كثرة الذنوب خيرًا له من أن يلقى ربه معجبًا بنفسه من حيث كثرة الطاعات، لا يرى لربه تعالى حجة انتهى.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم اعتراضهم على شيخهم وغيره من الفقراء إذا رأوه يعطي ماله أو ثيابه أو يطعم طعامه للأغنياء، ويترك الفقراء والمساكين في العري والجوع وضيق المعيشة، ويقول: لو أنه أعطى ذلك أو أطعمه الفقراء والمساكين لكان أفضل، فإن ذلك اعتراض بالجهل.

فإن الله تعالى كثيرًا ما يعطي الغني الذي يملك الألف دينار المائة دينار زيادة على الألف، ويدع الفقير والمسكين إلى جنابه لا يعطيه الدرهم الفرد، فإن الفقراء في ذلك قد نشأوا على الأخلاق الإلهية بحسب القسمة، وليس منعهم للفقير عن بخلٍ، وإنما ذلك

---

(١) رواه البخاري (١/٢٥٩)، ومسلم (١/٤١٩).

لحكمة رأوها، ولاسيما إن سألهم الغني ذلك، فإن للسائل حقًا ولو جاء على فرس كما ورد، وقد يكون منع الفقير إنما هو لما أعطاه كشف من قسمة ذلك للغني دون الفقير، فيكون المؤدي أمانة لشخص معين، فليس له دفعها لغيره، ثم لا فرق بين السؤال لهم بالحال أو القال.

فإياك يا أخي والاعتراض على شيخك إذا أعطى الغني وحرم الفقير، واحمله على المحامل السنية، وقد كان ﷺ يعطي الرجل العطاء إذا سأله، ويقول: ((**اذهب بعطية يتأبطها نارًا، فقال له عمر بن الخطاب ﷺ: يا رسول الله، فلِمَ تعطهم نارًا؟ فقال له: ماذا أصنع؟ يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل**[1])) انتهى.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف هل سلم أحدهم من الاعتراض على شيخه إذا أعطى الغني وحرم الفقير، أم وقع في الاعتراض بلسانه وبقلبه وخان عهد شيخه، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا كان أحدهم منشدًا في مجلس شيخه أن يكون نيته بالإنشاد امتثال أمر شيخه فقط، لا ليشكره الناس على ذلك، ويشهدوا له بالدخول، وليحذر كل الحذر من أن يكون عنده هجوم على الشيخ، أو مرآة عليه في الكلام، أو المزح حال مد السماط في الولائم ونحوها؛ فإن الأشياخ كالملوك لا يؤمن مكرهم ولو ضحكوا في وجه من أساء عليهم الأدب، وقد مقت خلائق من المنشدين في مجلس سيدي مدين، وسيدي أبي الحمايل، وسيدي محمد الشناوي، وسيدي إبراهيم المتبولي، وماتوا على أسوأ حال، وكذلك مقت من المنشدين في مجلسي جماعة منهم الآن في أسوأ حال.

فإياك يا أخي من مثل ذلك ثم إياك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

خفض الجناح لطلبة العلم الذين علمهم موضوع في نفوسهم دون أرواحهم، فإنهم أكثر وأكبر نفسًا من أمراء الجبابرة، وليس عندهم هضم نفس، ولا تواضع من خفض الجنح الممشي إلى عيادتهم، والسلام عليهم إذا قدموا من سفر، ولا ينتظر الفقير أن يجيء أحدهم فيسلم عليه لكونه شيخ زاوية مثلاً، فإن ذلك من خفة العقل، فإن أحدهم يرى

---

(١) رواه أحمد (١٦/٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٠٣/٨)، والحاكم في المستدرك (١٠٩/١)؛ والبيهقي في الشعب (٥١٩/٦).

نفسه أفضل منهم فكيف يطلب منهم أن يمشي إليه، وقد حج مرة شخص من طلبة العلم ولم أشعر به؛ لأنه لم يعلمني بسفره على عادة إخواننا معنا، فلم أبادر بالسلام عليه، فلا تسأل يا أخي ما وقع فيه من مرضٍ، مع أن حمزة أمير الحاج لما رجع من السفر بلغه أنني عازمٌ على السلام عليه، فركب وترك الصناجق والجاويشية في بيته وجاءني فسلم عليَّ، وقال لي: أنا أحق بالسعي؛ لأني عبدكم، فانظر كم بين مقام تواضع طالب العلم المذكور تعرف صدقي في قولي أنه أكبر نفسًا من الأمراء.

فإياك يا أخي أن تخل بحق أحد من أصحاب الأنفس، وتقول: ليس عليَّ منه، فإنك تأثم بتسببك في وقوعه في عرضك وعرض أهل الطريق، واحذر إذا ذهبت إليه أن ترى نفسك عليه في التواضع له، فإنك تصير بذلك أكبر نفسًا منه.

فاعرض ما قلناه لك في هذا الخلق على نفسك، ولا تنسَ إخوانك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يظهر أحدهم شيئًا من الأخلاق الشرعية التي اندرست باندراس العاملين بها، لا لغرضٍ صحيحٍ، كقصد الاقتداء بهم فيها، أو إظهار نعمة الله بها عليهم، ونحو ذلك من الأغراض الشرعية، كل ذلك خوفًا من فتنة الشهوة بالخير دون الأقران، فإن فتنتها شديدة؛ إذ الغالب على من يتميز على أقرانه بالأخلاق المحمدية كثرة حسد الناس له، ومن لازم تحقر إخوانه إذا لزم من ذلك التحقير المذكور تحرك عندهم الوقيعة فيه، وعمل المكائد، حتى ربما رموا بينه وبين حكام بلده، فتعاديه الولاة، وإذا عادوه اتبعوا سره، وأشغلوه عن ربه، وكفى بذلك فتنة.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: يجب على من يتميز على أقرانه بخلقٍ غريبٍ محمودٍ أن يسأل الله تعالى أن يعمي عنه أبصار الحسدة وغيرهم؛ حتى يصير يعمل غالبًا الأخلاق المحمدية، ولا يتفطن له أحد مدة حياته، وذلك كالكرم والزهد والورع.

فيقول كلما أراد أن يظهر خلقًا غريبًا: اللهم استرني بين عبادك، وقد وقع لي أيام الشتاء في سنة ثلاث وستين وتسعمائة، فرقت ثيابي كلها من أصوافٍ وجوخٍ وجببٍ وقمصانٍ على من له رزق فيها من الفقراء، وبعت بعضها واشتريت به جببًا للعميان وغيرهم، واستعرت ثيابًا فلبستها، فجاءني سائلٌ فلم أجد له سوى عمامتي، فقطعت له منها نحو الربع فاشتهرت بذلك في مصر، وقدمني أصحابي بذلك على سائر أقراني، ولو أني كنت سألت الله تعالى أن يسترني في ذلك لربما فعل تعالى بي ذلك ولم يشعر بي أحدٌ.

وقد كان الواحد من السلف يأتي إلى بيت أخيه في غيبته، فيخرج ما فيه من ثياب وطعامٍ ويفرقه على المارين على باب الدار، فيأتي أخوه فيفرح بذلك، ثم يبكي من شدة الفرح ويقول: ذكرتني يا أخي مما كان عليه السلف الصالح الذين مضوا، انتهى.

وهذا الأمر لو فعله أحدٌ الآن من أصحابه لما قدر على الانشراح به، ولو أنه انشرح به لعظمه الناس كل التعظيم لغرابته في هذا الزمان، فعلم أن من تخلق بأخلاق السلف في هذا الزمان فشكره الناس على ذلك وأثنوا عليه، فهو علامة على ميل نفسه إلى الحمد والشكر، ولو أنه صدق مع الله سبحانه وتعالى لدفع بهمته عنه جميع الناس الذين يمدحونه، وخرج من الدنيا بأعماله كاملة لم ينقص من أجرها شيء، ولم يقدمني أحد على أقراني.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدّعي الصدق من مريدي عصرك تعرف حاله، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة الحلم على الظالم الذين يشفعون عنده في الناس، ولا يعجلون في الدعاء عليه بالهلاك؛ تخلقًا بأخلاق الله تعالى في حلمه على من عصاه، حتى يستوفي جميع ما قدره عليه وعلى رعيته، ومن رعيته هذا الفقير الذي يأكل حلالاً ولا يقع في معصية، أما من يأكل الحرام والشبهات ويقع في المعاصي فدعاؤه على الظالم مردودٌ، فضلاً عن كونه يبطئ.

فليحذر شيخ النصف الثاني من القرن العاشر صاحب العجائب والغرائب أن يطلب إجابة دعائه على ظلمه وهو يأكل الحرام والشبهات، لاسيما إن كان أكل له طعامًا أو لبس منه ثيابًا، فإن دعاءه مردودٌ من وجوهٍ عديدةٍ، وليس له قوة في التوجه إلى الله تعالى، وقد بلغنا أن السلطان سليمان بن عثمان رحمه الله ونصر عساكره وذريته، لما سافر لقتال الصوفي اجتمع به شخص من مشايخ بعلبك، فقال له: أعطني ألف دينار وأنا أتوجه إلى الصوفي أقتله، وأريحك من التعب في التجاريد، وبذل الأموال، فأعطاه ذلك ووعده أربعين يومًا، فمضت الأربعون يومًا ولم يمت الصوفي، فأرسل وراءه وقال: أين ما وعدتنا به؟ فقال: توجهت إلى الله سبحانه وتعالى في قتله مدة أربعين يومًا ليلاً ونهارًا، وكان السلطان قد رتب له طعامًا كل يومٍ فقال: انظروا هل كان يأكل من طعامنا، أو كان يطعمه لجماعة، فقالوا: كان يأكل منه، فقال السلطان: الذي يأكل من مال الولاة ليس له قوة توجه إلى الله، ولا يمكن من دخول حضرته، ثم سامحه في الألف دينار وقال له: لا تعد توعد أحدًا بموعدٍ إلا أن علمت من نفسك القدرة على الوفاء، انتهى.

فعلم أن من كان يأكل الحرام والشبهات بعيد عليه أن يُجاب إلى أحدٍ في سؤاله في أحدٍ من الظلمة أن الله يهلكه.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: لا ينبغي لفقيرٍ أن يطلب ممن تشفع عنده من الظلمة أن يحبه أو يعظمه، فإن ذلك محال، فإن الظالم كالتمساح الهايج على السمك، والفقير يقول له: لا تمسك هذه السمكة ولا هذه السمكة، فلا يقدر التمساح يطيعه في ترك كل السمك ويموت جوعًا، وكذلك الظالم لا يقدر على منع نفسه من أكل أموال الناس بالباطل، ولو أنه طلب الحلال لما احتاج الناس إلى شفاعة الفقير. انتهى.

وسمعته أيضًا يقول: من آداب الفقير أن يدعو للظالم بالهداية والتوفيق؛ ليكون رحمةً عليه ولا يكون عذابًا، ثم إذا استوفى الظالم جميع المظالم التي قدرها الله تعالى عليه فللفقراء الدعاء عليه بالهلاك، لكن مع التوبة أو العقوبة التي تكفر ذنوبه، وإن أراد سرعة هلاك ذلك الظالم فليلبس له ثيابًا دنسة، ويمشي إلى دار الظالم حافيًا، مكشوف الرأس، ويغلظ عليه القول، فإنه بالضرورة يزدري الفقير فينفذ فيه سهم الله تعالى، فيستريح منه العباد والبلاد. انتهى.

وقد فعلت أنا ذلك مع الأمير محمد الزوردكان أيام تولية الوزير علي باشا بمصر، فأخرب الله دياره، ومات على أسوأ حال، ولم أذهب إليه، وإنما أرسلت إليه النقيب، وقلت له: ارجع إلى الله، وإلا توجهنا فيك إلى الله تعالى أن يخرب ديارك، فصاح: أين الغلمان يضربون هذا، فلم يجدوا أحدًا منهم، فقبض الله له في تلك الليلة ولده لصلبه، فأنهى فيه للباشا على أنه يعمل الزغل، وقال: أرسل الوالي معي؛ أطلعكم على الآلات المتعلقة بالزغل، فأرسلوا معه الوالي، فرأى الأمير كما أنهاه ولده فوضعه في جنـــزير، وأسلموه للوالي، وأخذوا منه نحو سبعة أكياس ذهبًا، وهدوا داره بنواحي مصر العتيق، كما أشار إلى ذلك الفقراء، فلم يدعوا فيها قاعة ولا منظرة، وقطعوا أشجار جنينته، ونقضوا الجدران، فهي خرابٌ إلى الآن، وسلبوا جميع خدمه وأمتعته، وما كانوا إلا شنقوه.

فليحذر الظالم من توجه الفقير فيه، ولو كان من أكبر ملوك الدنيا، كما وقع للسلطان قايتباي مع سيدي علي النبتيتي الضرير، فإن السلطان أراد أن يهدم طاحون الشيخ لأجل عمارته في عمارة (الخانقاه السرياقوسية[١]) ويعطيه بدلها، فأرسل سيدي علي يقول له: يا

(١) ويقال أيضًا: خانكاه، والخانقاه لفظ فارسي، معناه البيت أو المعبد أو الدير، ثم أطلق اللفظ على المكان الذي يقيم فيه الصوفية للعبادة. وانظر: الخطط للمقريزي (٤/٢٧١)، والسلوك له (١/ ١٨٢)، والمعجم في اللغة الفارسية لهنداوي (ص١٢٩).

قايتباي ما لك قدرة على توجه الفقراء فيك إلى الله تعالى. فخاف السلطان ورجع عن هدم الطاحون.

فينبغي للفقير إذا أراد صحبة أحد من الظلمة أن يسأل الله أن يقربه منه إن كان فيه خيرًا، وإلا فيبعده عنه، ثم بعد ذلك إن قرب كان الخير في صحبته، وإن بعد كان الخير في بعده.

فاعلم واعرض ما قررناه لك على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يسألوا ربهم ألا يصلي عليهم بعد الموت إلا من خالطهم، واطّلع على زلاتهم من طريق الكشف أو غير ذلك ولو بسوء الظن، وذلك ليسأل الله سبحانه وتعالى للميت أن الله يغفر له ذنوبه على التعيين، بخلاف سؤال المغفرة على الإجمال وإن كان الحق ﷻ يعلمها، فإن دعاء المصلي يكون خداجًا[1] كدعاء الشبعان أن الله يرزقه رغيفًا، فإن أعضاءه لا تستجيب له في السؤال على وجه الاضطرار كالجيعان، فافهم.

وكذلك القول في دعاء المعتقد في الميت الخير والصلاح، فإن دعاءه يكون خداجًا، ولو ردَّ العلم فيه إلى الله سبحانه وتعالى، وإيضاح ذلك أن المصلي على الجنازة شافع لها، فكلما عرف ذنبه اشتدَّ كربه عليه.

كما قالوا في أدب المريد: إنه ينبغي له أن يعرض صحيفته كلها على شيخه في هذه الدار؛ ليشفع له في ذنوبه عند ربه حتى لا يحوجه لطول الوقوف في الحساب بين يدي المولى سبحانه وتعالى.

وإنما قلنا أن من يسيء الظن بالميت أولى مما يحسن به على سبيل الفرض والتقدير، أو بحكم الفراسة والقرائن الدالة على سوء ظنه بالناس، فإنه يدعو للميت مع تخيل ذنوبه التي قاساها على نفسه.

وقد قدموا أخي أفضل الدين مرة للجنازة فتأخر، وقال: قدموا غيري ممن هو يعرف زلاته ليشفع له فيها عند ربه على التعيين، فإني محتاجٌ إلى من يشفع فيَّ.

فإن قيل: إن العلماء قالوا أن دعاء الصالح أقرب للإجابة، ومعلوم أن الصالح ممنوح الحال، فالجواب إنما قدرناه لا ينافي ذلك، فقد يطلع الصالح على ذنوب الميت من باب

---

(١) الخداج: هو كل نقصان في شيء.

الكشف[١] كما قدمناه، أو من طريق المخالطة، أو من طريق الإلهام، فيكون أولى من جهتين: من جهة صلاحه، ومن جهة اطلاعه على ذنوبه، وقد بسطنا الكلام على ذلك في رسالة الأنوار القدسية.

فاعرض يا أخي ما قررناه لك على من يدّعي الصدق تعرف حاله، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يرون لهم فضلاً على من أعطوه شيئًا من الذهب أو الفضة، بل يرون التبعة عليهم في ذلك؛ لأن الغالب على من يطلب صدقات الناس محبته الدينار والدرهم، ولا يكاد تجد أحدًا ممن يسأل الناس بالحال أو القال زاهدًا في الدنيا، ومعلوم أن الدنيا ابنة إبليس، وكل من أدخل حبها قلبه دخل له إبليس ليزور بنته وصهره، فيفسد عليه قلبه، وفي سد خلقه بركة العطاء، بما حصل له من فساد قلبه بدخول إبليس فيه، ربما أتلف قلبه وولد نفسه المعاصي والغفلة والإعراض عن الله، والإقبال على زينة الدنيا فأهلكه.

واعلم أنه ينبغي لمن أعطى فقيرًا ذهبًا أو فضة أن يسأل الله تعالى له الحفظ من ميل القلب إليه، حتى لا يدخل إبليس باطنه، وذلك بالزهد في الدنيا حتى يصير الذهب كالتراب على حدٍّ سواء، ومن نظر بعين التحقيق رأى ضرر العطاء للفقير أشد من ضرر الشحيح والبخيل عليه.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: ينبغي للمصدق أن يرى الفضل لمن يقبل صدقته، فإنه لولا قبوله الصدقة ما حصل للمتصدق أجر، ولا زال منه دون، فحكم الفقير إذا قبل صدقتك حكم من غسل ثوبك إذا اتسخ بلا أجرة، فله الفضل عليك، وليس لك الفضل عليه. انتهى.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على غالب مريدي عصرك تجدهم لا علم لهم بما قررناه، بل ولا خطر ببالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) قال الحجّة الغزالي قُدّس سرُّه: علم المكاشفة عبارةٌ عن نورٍ يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته، تنكشف به أمورٌ كان يسمع أسماءها ويتوهم بها معاني غير متَّضحة فتتضح.
وقال: من لم يكن له نصيبٌ من علم الباطن أخشى عليه سوء الخاتم، وأدنى النصيب منه التصديق وتسليمه لأهله، ومن كان فيه خصلتان لم يفتح له من هذا العلم بشيء: بدعة، وكبر.
وقال: من عرف الله بالرجال حار في متاهات الضلال، فاعرف الحق تعرف أهله.

ومن أخلاقهم:

طلبهم الدعاء من الأمراء والأكابر من حيث أن الله تعالى أعطاهم التصريف في هذه الدار دوننا، وجعلهم أبوابًا لقضاء حوائج الخلق، فربما تعطف الحق تعالى عليهم بإجابة الدعاء في حق كل من دعوا له لئلا يخجلهم بين الناس، ولو لم يعدلوا كما وقع لفرعون لما سأل الله سبحانه وتعالى في طلوع نيل مصر بعد توقفه، ولم يرد دعاءه، وهذا سرٌّ خفيٌّ له، لا يطلع عليه كل أحد.

وقد كان سفيان الثوري رحمه الله[1] يطلب الدعاء من أعوان الوالي، ويقول: ربما كان قلب أحدهم أخلص لله من قلبي، وربما كان غفر لأحدهم ذنوبه دوني. انتهى.

وقد سمعت سيدي عليّ الخواص رحمه الله يقول: إذا توقفت عليكم حاجة عند الله فاسألوا فيها نائب مصر؛ فإنه أعظم النواب درجةً؛ لكون غالب رعيته في مصر حملة العلم والقرآن، ومن ولاه الله تعالى على مثل هؤلاء فهو أعظم ولاة الله على الجند والعوام، والمبتدعة من سائر أقطار الأرض، وقد أجمع الناس على أنه ليس في بلاد الإسلام أكثر حفظًا للقرآن والعلم من أهل مصر.

فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

سد باب الإنكار على شيخهم جملةً، وذلك بالعمل على تنظيف باطنهم من سائر الأدناس والخواطر الرديئة، فإن المريد ما دام في قلبه شيء من الأدناس فهو يحمل على ذلك شيخه ظنًّا أو حضورًا، ولا ينفك عن مثل ذلك إلا إن أشرف على مقام الكمال، ودخل أوان الفطام، ومن هنا طالت الطريق على غالب المريدين في كل زمان، فظنوا بأشياخهم الشر، فعدموا النفع بهم، وكل شيخ حق له قدم المشيخة، فهو يعلم من ذلك ولو تبرأ منه المريد.

فاعمل يا أخي على تطهير نفسك من الأدناس لتنتفع بشيخك، ويرقيك في مراتب القرب من حضرة الله تعالى، فإنه ما دام في باطنك شهوة لحرامٍ أو مكروهٍ فلا يقدر شيخك على إدخالك حضرة الله تعالى أبدًا، ولو كنت على عبادة الثقلين.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدّعي الصدق من مريدي عصرك تعرف هل وفى

(١) قال المصنف: كانوا يسمونه أمير المؤمنين في الحديث.. وكان عالم الأمة وعابدها وزاهدها، وكتب الحديث والتراجم مشحونة بأخباره المباركة، وانظر: الطبقات الكبرى (١/٤٢).

به، أو وقع في شيخه إذا رآه في محل ريبة كخلوته بأجنبية، ونحو ذلك.

ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يزكوا أصحابهم في غيبتهم، في كل مجلسٍ ذكرهم الناس فيه بسوءٍ، ثم لا تطلب نفوسهم منهم أن يعلموا بذلك إخوانهم لا بنفسه ولا بغيرهم، وهذا خلقٌ لا يقدر على التخلق به إلا من يعامل الله تعالى خالصًا لوجهه الكريم.

فليمتحن الذي يزكي إخوانه، ويذكرهم بخير في غيبتهم نفسه، فإن رآها تميل إلى إعلام من زكاه ويحصل عندها بعض قبض، إذا لم يصل إليه علم ذلك، فليعلم إن ذكره أخاه من وراءه بخير إنما هو رياءٌ وسمعةٌ، فإنه لو كان يعامل الله تعالى لاكتفى بعلمه تعالى، ولم تتشوف نفسه إلى إعلام أحد من الخلق بذلك.

فاعرض يا أخي ذلك على نفسك وعلى مريدي عصرك تعرف حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يحذر أحدهم كل الحذر من الوقوع في شيءٍ من المعاصي سرًّا، لاسيما ما يوجب الحد أو التعزير أو النفي أو إسقاط المحبة من قلوب المؤمنين، ولا يتساهل في الوقوع في ذلك اعتمادًا على ما عهده من حلم الله وستره عليه.

فإن الحق تعالى ربما ستر على العاصي ثم أخذه من بلاده، وسلّط عليه من يضربه الحد وأكثر، أو يعزره بين الناس بالتجريح والصفع والتقريع غيرة على شرع نبيه، أن ينتهكه أحد سرًّا، فإنه بمرأى من الله وسمع.

وإنما قلنا غيرةً على شرع نبيه تلويحًا؛ لأن الله تعالى لا يؤاخذ الخلق إلا لإخلالهم بحقوق الخلق؛ إذ الألوهية لا تنتقم لنفسها؛ لأنها خالقة لأفعال العباد، وإنما تنتقم للخلق بعضهم من بعضٍ من حيث كسبهم.

ومن هنا يعلم أن جميع ما يؤاخذ به الخلق إنما هو بذنوبهم التي أحصاها الله تعالى عليهم، وإن نسوه فلا ينبغي المبادرة إلى الترجع لمن نُفي من بلاده سنين أو جُلد، بل ينبغي التربص، فربما زنا وهو بكرٌ، ولم يعلم به إلا الله تعالى، فالصادق من سد باب العقوبات عنه بعدم وقوعه في الذنوب سرًّا أو جهرًا.

فاعرض ذلك على من يدّعي الصدق من المريدين تعرف حاله، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كتمان الفقر والغنى، فإن إظهار الفقر فيه شكوى الباري جلَّ وعلا، ودعوى التجرد من الدنيا وكذلك القول في إظهار الغنى فيه دعوى الكبر من كان فيه وصف الغنى أو العزة للنفس، كما أنها مباحة لمن كان فيه وصف الفقر والذل، فيدخل حضرة الله ﷻ، في أي وقتٍ شاء، لا يمنع في وقتٍ من الأوقات، فعلم أنه ينبغي لكل من سُئل غني أم فقير أن يقول: أنا بخير، ولا يتعرض لفقر ولا غنى، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

مزاحمة الأبطال في التقوى، والإكثار من عمل الآخرة، فقد قالوا: ليس البطل من يقطع البراري والقفار، إنما البطل من يتقِ الله ويخالف هواه، وقالوا: عليكم بالتقوى، فإنها ما جاوزت قلب عبد إلا وصل إلى حضرة الله ﷻ.

وقالوا: لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يصبر على شدة الجوع والعري والآلام، كما يصبر القابض على الجمر في كفه ليلاً ونهارًا مدة حياته. انتهى.

وهذا أمرٌ لا يصلح إلا ممن أيده الله تعالى بقوة من قوة أهل حضرته.

فاعرض يا أخي ذلك على نفسك ومريدي عصركم تعرف حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم الخوض في أعراض أحدٍ ممن مات، فضلاً عن أهل الزمان، وذلك لأنه قلَّ من يكون في نعمة إلا ويكون له أعداء وأضداد، ينقلون عنه البهتان والزور، فالعاقل من حفظ لسانه عن الأحياء والأموات، وأطلق لسانه بالحمد والشكر والثناء بطريقه الشرعي.

وقد قالوا: من أراد العز عند الله وعند الناس فليسكت عن ذكر عيوب الناس ما أمكن.

قالوا: ويتأكد ذلك على كل من اعتزل في رؤوس الجبال والقفار ليشاكل بعضه بعضًا، فإن صورة المعتزل صورة من انقطع إلى الله سبحانه وتعالى وترك الناس، وذكره لعيوب الناس الذي بلغته عن ألسنة الفسقة محا صورة حاله، وذلك بأكل الحسنات التي عملها حال عزلته فيذهب إلى الآخرة صفر اليدين.

وهذا الأمر قلَّ أن يسلم منه معتزل؛ لكون إبليس له بالمرصاد، لا يكاد يفارقه، ويقول له: اذكر أقرانك الذين لم يعتزلوا الناس بسوءٍ لتنفرد أنت بالصمت، ويكمل لك اعتقاد الأمراء، فلا يلتفتون إلى غيرك، فتصير تشفع في الناس عندهم، ولا يردون لك

شافعة، ويزين له ذلك كل التزين حتى يهلكه.

فاعرض ذلك على من يدَّعي الصدق من مريدي عصرك تعرف حاله، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

العمل على جلاء قلوبهم من الشهوات والأدناس؛ حتى لا تصير خواطر العقول في الفحشاء تخطر على قلوبهم؛ وذلك ليصح لهم دخول حضرة الله سبحانه وتعالى في الصلاة والمكث فيها.

وقد كنت مرة في حضرة الله تعالى وعندي من الخشوع ما الله به عليمٌ، فخطر في بالي سوء ظن بشخص ممن يكرهني، فطرد قلبي من الحضرة، وضرب الحجاب بيني وبينها، فاستجليت ذلك بالاستغفار حتى عجزت، فلم أقدر على دخول الحضرة عدة أيام، هذا في خاطر لم يستقر فكيف بالخواطر التي استقرت وصارت عزمًا، وهذا الخلق قد صار غريبًا في أكثر المريدين.

فاعرضه على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يتخذ أحدهم نقيبًا حدث السن، وإنما يتخذون من جرب الأمور من الكهول؛ لأنهم أقرب إلى معرفة مرادهم من الأحداث في صغر السن، والأحداث في الطريق، فإنهم ليسوا بمحل لأسرار الرجال، وربما لاث الناس بالفقير إذا كان نقيبه حدثًا، وظنوا فيه السوء.

وقد قالوا: من سلك مسالك التهم، وطلب حسن الظن به، فهو كمن يريد أن يحجب نور الشمس عن الأرض بلا حجاب سحاب، فكما أن الشمس تحكم بحرارتها الأرض، فكذلك سوء الظن بمن سلك مسالك التهم يحكم على الناس به.

وقد أقمت مرة نقيبًا أمردًا، فكشف لي فرأيت معه شيطانين: واحدًا أمامه، وواحدًا خلفه، كلما يدخل عليَّ، فعزلته.

ومن ذلك اليوم ما وليت نقيبًا إلا إن كان طعن في السن، وذريت لحيته، ثم من خاصته اتخاذ النقيب من الأحداث، سقوط جاه الفقير من قلوب الناس، فلا يصير له جاهٌ في قلوبهم، وذلك أن الميل إلى كل مستحسنٍ في الوجود دون الله تعالى يورث المقت والإهانة عند الله تعالى، فضلاً عن الخلق، ومن يهن الله فما له من مكرمٍ.

وقد قال أشياخ الطريق كلهم: إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف.

ويعني بذلك صحبه الأحداث.

وقالوا: ما ابتلي عبد بذلك إلا أهانه الله وخذله، ولو يألف ألف كرامته أهله؛ لأن الحق تعالى غيور، ولا يحب أن يرى قلب عبده المخصوص بغيره، وربما رأى تعالى محبة أحد في قلب وليه فمقت ذلك الولي أو ذلك المحبوب، وربما غار الحق على قلب وليه أن يدخل محبته غيره، فقضى حوائج كل من توجَّه إلى ذلك الفقير من غير علمه؛ خوفًا أن يشغل قلب وليه بأحدٍ سواه، ولو حصل بذلك الثواب؛ لأنه ثم مقام رفيع أرفع.

ومن هنا يعرف المحقق سر أمره ﷺ بالاستغفار في سورة النصر، مع أنه ﷺ كان تحت أمر الله تعالى في كل شيءٍ فعله أو قاله.

فإياك يا أخي وظن السوء في الفقراء الذين اتخذوا أحدًا من الأحداث نقيبًا، فربما قصد بذلك حفظه من الفواحش، وقد مقت خلق كثير باعتراضهم على الأشياخ، كسيدي يوسف العجمي، وسيدي إبراهيم المتبولي، ومات المعترضون عليهم على أسوأ حال.

ثم لا يخفى أن كل فقيرٍ جعل لظاهره الشرع عليه اعتراضًا فهو ناقص رتبة الرجال، إلا أن يحمي نفسه من المعترضين، فيأخذ بأفواههم عن الكلام في حقه، وبقلوبهم عن سوء الظن به، كان أوضحنا الكلام على ذلك في كتاب ((**المنن الكبرى**)).

فاعرض يا أخي ما ذكرته لك على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

استجلابهم لصحبة الولاة إذا رأوا فيها مصلحة ترجح على التباعد منهم، وطردهم كذلك من صحبتهم إذا رأوا أن ذلك الطرد أرجح في حقهم، وذلك لأنهم لا يفعلون شيئًا إلا أن رأوا رضى الله فيه، فليحذر الأمير إذا تودد إليهم أن يرى له فضلاً عليهم بتردده، بل الواجب عليه أن يرى فضل الفقراء عليه، وتقريبهم له من حضرتهم؛ لأنها حضرة الله ﷻ، ومن أدخل مطرودًا حضرة الله ﷻ فلا يصح له مكافأة من أدخله بشيءٍ من الكونين.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله إذا طلب أحد الأمراء أن يصحبه يتوضأ ويصلِّي ركعتين، ثم يقول في سجوده: اللهم إن فلانًا قد عزم على صحبتنا، فإن كان في صحبته خير لي وله فسهِّل علينا ذلك، وإلا فاصرفه عني صدقة من صدقاتك عليَّ، فيصبح ذلك الأمير عنده بنفسه من غير استجلابٍ، فيعرف بذلك أن صحبته خير، وإن لم يصبح عنده يعرف أن صحبته شر.

وقال سيدي علي الخواص رحمه الله: لا يصفو الوقت للفقير في صحبة الأمير إلا بعد صدمة تحصل له من عزلٍ أو مصيبةٍ في بدنه، ويجد الخلاص منها على يد الفقير، وما لم تحصل له الصدمة فلا تصفو محبته معه.

وكان أيضًا يقول: لا ينبغي لفقيرٍ صحب أميرًا بعد الاستخارة وظهور أن صحبته خير، أن يأكل من هديته أبدًا.

وقد وقع لي أن الأمير عبد الله بن بغداد أرسل للزاوية عشرة أرادب بسلة، فأكلت منها يومًا ناسيًا فتقيأته، وكل من لم يعطه الله التصريف في الظلمة فاستجلابه لصحبتهم من سخافة العقل، فإن من حق الظالم على الفقير إذا صحبه أن يتحمل عنه جميع مظالم العباد يوم القيامة، أو يشفع له عند الله تعالى، فيرضى عنه أصحاب التبعات كلهم حتى يخرج من قبره نقيًا من الذنوب، ليس لأحدٍ من الخلق عليه حق، فمن قدره الله تعالى على ذلك فليصحب الظلمة، وإلا فليكن عن صحبتهم بمعزل.

وقد وقع أن عبد الله بن بغداد خرج عن طاعتي فيما آمره به من الخير، فتوضأت وصليت ركعتين، وقلت: اللهم إن كان في صحبة هذا الولد خيرًا فاجعله منقاد القلب لما آمره به من الخير، فأصبح عندي من بكرة النهار، فعلمت أن صحبته لي خير من مقاطعتي.

وكان أخي أفضل الدين رحمه الله يقول: كل فقيرٍ توجَّه إلى الله في ولاية أحد من الولاة فهو وشريكه في جميع الإثم الذي يحصل له، فليوطن الفقير الذي توجه في ولاية ظالم نفسه على تحمل مظالمه يوم القيامة.

فاعلم ذلك، واعرضه على فقراء عصرك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

تفويض أمرهم إلى الله تعالى في إصلاح أولادهم إذا كانوا على غير قدم الاستقامة النسبية لأمثالهم، ولا تعبوا أنفسهم في تربيتهم من غير تفويض أمرهم إلى الله تعالى، فإن ذلك لا يفيد لاسيما إن ضرب أحدهم ولده وجوَّعه وأعراه، فإنه لا يزداد إلا جوعًا.

وقد كان الإمام عمر بن الخطاب ﷺ من أشد الناس في دين الله تعالى، ومع ذلك ابتلاه الله تعالى في ولده أبي مشحمة، وكان مغرمًا بشرب الخمر، وعجز أبوه وهو يجده وهو لا يرجع، ففوض أمره إلى الله تعالى فتاب من يومه، وصلح حاله، وكذلك وقع الكثير من أولاد العلماء والصالحين.

وأخبرني شيخنا أن بعض أولاد مشايخ الإسلام كان مغرمًا بالشراب، والشيخ يقول: تكذبون عليه، فلما أكثروا عليه قال: لا آخذه إلا بطريقٍ شرعيٍّ من إقراره، أو بينة أنه شرب غير مكرهٍ، فأتوه به مرة في دست طباخ وحملوه بغير عقلٍ، وقالوا له: انظر ولدك، فكشفوا الدست بين يديه، فوجد ولده لا يعرف السماء من الأرض، فأثر في والده ذلك، فلما كان الليل كشف الشيخ رأسه وسأل الله تعالى أن يتوب على ولده، فأصبح الولد تائبًا، وما شيء أبغض إليه من الشراب.

فاعلم ذلك، وفوِّض أمر ولدك إلى الله تعالى، وأمر إخوانك بذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

العمل على تحصيل محبة الله تعالى لهم، حتى أن الحق تعالى يحميهم من الوقوع في شيءٍ يحجبهم عن حضرته، فإنه هكذا يفعل مع من يحبهم عكس من يكرههم.

ومن فائدة محبة الله تعالى أيضًا للعبد أنه يرسل على كل جارحةٍ من جوارحه الظاهرة والباطنة ملكًا يحرسها، ويحفظها من أن تتصرف في شيءٍ يكرهه الله سبحانه وتعالى، وقد رأيت ذلك الموكل في ليلةٍ من الليالي حين كشف الله عن بصري، فشهدت الملك الموكل بعيني، والموكل بلساني، والموكل بفرجي، والموكل بقلبي، ففرحت بذلك غاية الفرح، ثم حزنت بذلك أشد الحزن، خوفًا من خيانتي لرسل الله تعالى، إلا في حالة ذهولهم عن حفظي بما تجلى لهم من عظمة الله سبحانه وتعالى مثلاً.

فإن قلت: كيف الوصول إلى مقام محبة الله؟

فالجواب: إن ذلك بمتابعة رسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وزهده وورعه، وغير ذلك من أحواله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وإن قلت: كيف الوصول إلى متابعة رسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله والموانع ودونها قائمة؟

فالجواب: يصل العبد إلى ذلك بالسلوك على يد شيخ صالح، يزيل منه الموانع شيئًا بعد شيءٍ، حتى لا يبقى بينه وبين مقام الاتباع مانع إلا عدم القسمة الإلهية.

ومن ثمرة محبة الله سبحانه وتعالى للعبد أيضًا حمايته من أكل الحرام والشبهات، ومن ألا يُرد له دعاء؛ فإن أكل الحرام والشبهات مانع من قبول الدعاء، ما دام في البدن شيء من قوى تلك اللقمة.

وقد قالوا: إن اللقمة يمكث قواها في ثلاثين يومًا، وقلب العبد أقوى من الحجارة، لا يكاد يظن أن الله سبحانه وتعالى يجيب له دعاء، فيجني ثمرة سوء ظنه بربه، عكس من يأكل الحلال، فإنه لا يرد له دعاء لحسن ظنه بربه، ثم إنه يتعين ترك أكل الشبهات على كل من صار معروفًا بقضاء حوائج الناس عند الله تعالى.

فاعرض ذلك على مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يحكموا بين الفقراء بالعدل، ولا يميلوا مع ولدهم أو صاحبهم ولو بالقلب، بل البعيد والقريب عندهم في الحق سواء، وقد أجمعوا على أن كل شيخ حكم بين الفقراء بالهوى، ذهبت حرمته من القلوب، وهيبته لزوال تعظيمه عند الله سبحانه وتعالى، وكل من حكم بالحق عظمه الله تعالى في قلوب عباده، وأعطاه الهيبة في قلوبهم.

فاحكم يا أخي بالحق، وإلا ذهبت حرمتك وهيبتك من القلوب، وعدمت انتفاع الفقراء بك، ولاه ثوابك بألسنتهم وقلوبهم، واعلم أنه يجب على شيخ الزاوية أن يقوم كل القيام على ولده وأخيه وابن عمه إذا تخاصم مع أحدٍ من الفقراء، ليرضى الله والناس وإلا ذهبت رئاسته على الفقراء، وخرجوا من تحت طاعته قهرًا عليه.

فاعرض يا أخي على نفسك وأقرانك حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

تنقيتهم لأعمالهم من الشوائب القادحة في الإخلاص، فإنها تعبٌ من غير فائدة، فيحملها صاحبها على ظهره، إلى أن يضعها عند الميزان، فتأتي بها الملائكة فتميز ما كان منها لله تعالى، ويضمحل ما لم يرد به وجهه، فحكم هذا من فتح مطلبًا في دار الدنيا، وملأ منه جرابه، فلما جاء به إلى داره وجد بعرًا أو خنفسًا، فإنه يندم حيث لا ينفعه الندم.

ولعل هذا الحال هو حالنا اليوم في أعمالنا، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فاعرض ذلك على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون لهم حال المعصية عينان أو عين؛ فعينٌ ينظرون بها كسبهم للمعاصي بعد نهي الشارع لهم عنها فيستغفرون منها، وعينٌ ينظرون بها حكمة التقدير الإلهي، فيرضون بذلك عن الله، وهذا معنى قول الأئمة رضي الله عنهم يجب الرِّضا بالقضاء لا بالمقضي.

وقولهم: نؤمن بالقدر ولا نحتج على الله به، ومن هنا كان بعضهم يقول في دعائه: اللهم احفظني من الوقوع فيما يكره أنبياؤك ورسلك وعبادك الصالحون، ولا يقول: احفظني مما تكره، فإن الله تعالى هو خالق لأعمال العباد ومختار لها، وما كان من فعله واختياره لا تتخلص لكراهته من كل وجه، كيف يتصور حقيقة كراهيته لما خلقه واختاره؟ انتهى.

واعلم أن معنى عدم محبة الحق تعالى لشيءٍ من الأعمال وبغضه له أنه لا يحبه لعبده شفقة على عبده، مثل قول الله تعالى: ﴿**وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**﴾ [الزمر:٧].

وقوله في الحديث القدسي في عبده المؤمن من يكره الموت مع أنه تعالى هو الذي قدره عليهم، فافهم.

فما تفاضلت الأعمال إلا بالنظر إلا الخلق واكتسابهم، وإلا فمن جعلها إلى الله تعالى كلها من حيث كونه خالقًا لها، ومن هنا قالوا: الربوبية لا تنتقم لنفسها، إنما تنتقم لكونِ بعضه من بعضٍ، وكذلك القول في إبليس يجب عليهم عداوة أفعاله من حيث كونها حاجبة لهم عن حضرة ربهم، لا يجوز لأحدٍ أن يتبعه فيها، كما يجب على كل عارفٍ أن يطلب من الله تعالى الحكمة في لغة إبليس، مع أنه لا يتحرك بحركةٍ إلا إن حركه الله تعالى بقدرته، وهنا أسرار في الكلام على حقيقة مرتبة إبليس لا تُسطر في كتاب.

فاعرض يا أخي ما ذكرناه على نفسك ومريدي عصرك تعرف حالك وحالهم في هذه المشاهدة، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يستحي أحدهم أن يذكر لشيخه أمراضه التي ابتلي بها في الباطن؛ لأن المريد مريض والشيخ هو الطبيب، وإذا كتم المريض داءه عن الطبيب طال زمن مرضه، وليس من شرط الشيخ الاطلاع على ذنوب المريد، إنما الواجب على المريد إنما هو الذي يذكر عيوبه لشيخه؛ لأن حضرته منـــزهة عن شهود النقائص والقبائح؛ إذ هي بعينها حضرة الأنبياء والملائكة والأولياء، وليس في حضرة أحد من هؤلاء شيء من النقائص التي تسخط الله تعالى، وإنما هي حضرة رضا الله تقريب ومنح وعطايا، عكس حضرات الشياطين؛ فإنها حضرة سخط وبعد عن الله ومقت وحرمان.

وقد قدَّمنا في هذا الكتاب أنه يجب على المريد أن يعرض صحيفته كل يومٍ أو ليلةٍ على أستاذه؛ ليشفع له في ذنوبه عند الله تعالى، أو يدله على طريق مغفرتها، وأنه ليس بين المريد وبين شيخه عورة؛ لأنه نائبٌ للحق تعالى في محاسبة المريد في دار الدنيا ليخف حسابه في الآخرة.

وقد حكى القشيري في باب رؤيا النوم من رسالته بأن بعض الأولياء رُئي بعد موته، فقيل له: ما فعل الله تعالى بك؟ فقال: غفر لي كل ذنبٍ أقررت له به، إلا ذنبًا واحدًا استحييت أن أتلفظ به، فأوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي، فقيل له: وما ذلك الذنب؟ فقال: نظرت يومًا إلى أمرد بشهوة حال بدايتي، فلو أن هذا الشخص كان ذكر ذلك لشيخه في دار الدنيا لكان شفيع له فيه عند الله تعالى، أو علمه الدواء المكفر لذلك.

فعلم أن كل مريدٍ كتم عن شيخه ذنبًا من الذنوب فقد غشَّ نفسه، وخان شيخه.

فاعرض يا أخي صحيفتك كل يومٍ أو ليلةٍ على شيخك، ولا تخف من ازدراء شيخك لك؛ فإن الأشياخ لا تزدري أحدًا من العصاة بذلك، بل ينظرون إلى كل عاصٍ بعين الرحمة، وإقامة العذر في الباطن وإن زجروه في الظاهر.

وأكثر من يعمل بهذه الخلق طائفة الدنيا، فيخبرون أشياخهم بكل ما خطر ببالهم أو فعلوه، رضي الله عنهم أجمعين.

فاعمل على ذلك، لكن يكون ذلك سرًا بينك وبين الشيخ، هذا شأن المريد ما لم يتحد بالشيخ، فإن وقع له اتحاد فهناك يكفيه التوجه إليه بقلبه، ولو كان بينه وبينه بُعْد المشرقين، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا وقع أخوهم في ذنبٍ يستقبح ذكره عادةً كتقبيل امرأة أجنبية، وأراد تأديبه أن يراعيه بذنبٍ لا يُستقبح عرفًا، كالبول قائمًا بلا عذرٍ، وتركه قيام ليلة ونحو ذلك؛ كي لا يخجلونه بين الناس، لاسيما إن كان في مجلس المناقشة من لبس خرقة الفقراء.

وقد كان سيدي أبو السعود الجارحي[1] إذا وقع له مناقشة فقير على ذنبٍ عظيمٍ بين العامة يقلب ذكر الذنب إلى شيءٍ لا يراه العامة ذنبًا، كجمعه للدينار، وتبييته للدينار والدرهم في داره مع علمه بحاجة أحد من المسلمين إليه، فتقول العامة للشيخ: شيء لله المدد، ويتعجبون من مثل ذلك.

وكان يخرج في الليل فيضع يده على فروج المريدين وهم نائمون، فكل من رأى فرجه منتشرًا عاتبه بكرة النهار، وأمره بالجوع والأعمال الشاقة؛ خوفًا عليه من الفواحش، ويقول: إذا كان فرجك منتشرًا وأنت نائمٌ وروحك بين يدي الله ﷻ، فكيف بك إذا

---

(١) كانت له الكرامات الخارقة والتلامذة الكثيرة والقبول التام عند الخاص والعام والملوك والوزراء.. وكان كثير المجاهدات، لم يبلغنا عن غيره ما بلغنا عنه في عصره من مجاهداته. توفي نيف وثلاثين وتسعمائة، وانظر: الطبقات الكبرى (١١٧/٢).

كنت مستيقظًا ونفسك في حضرة الشياطين والفساق. انتهى.

يتوهم منه محبة الفاحشة فيه، فلو كان ذلك الشخص يسحب الشاب لفاحشةٍ لنفر منه.

وقد كان الشيخ عبد الحليم بن مصطلح يقول: إذا رأيتم الشاب يحب الملتحي فظنوا بالشباب خيرًا، وإذا رأيتم الملتحي يحب الأمرد وهو غير محفوظ الظاهر فهو محل الريبة. انتهى.

وكلامنا في غير أرباب الأحوال، أما من كان له حال مع الله تعالى فهو محفوظ غالبًا من الوقوع في فاحشة.

وقد كان سيدي إبراهيم المتبولي رحمه الله تعالى ينام من الأمرد في الخلوة ويقول: احفظه من أهل الفساد، فأنكر عليه فقيه في ذلك، فقال له: إنما أفعل ذلك لأحفظه منك ومن أمثالك، فاستفتى على الشيخ فمسكوه ثاني يوم بأمرد من مماليك الأكابر، فدخلوا به بيت الوالي وضربوه ضربًا مبرحًا، وحبسوه سنة كاملة، فأرسل يقول للشيخ: تبت إلى الله، فقال: غدًا يطلق، فأطلق.

وكذلك كان سيدي إبراهيم يجمع بين المرد والرجال الغرب في مكانٍ واحدٍ، ويقول: كل من تعدّى على أخيه لحقته الباردة والسخونة تهزه، وأسنانه تضرب عليه سبع شهور، فما كان إلا هلك. انتهى.

فإن كنت يا أخي تعلم من نفسك حماية نفسك وحماية الشباب فلك أن تتبع سيدي إبراهيم، وإلا فابعد عن ذلك؛ لئلا تهلك وتهلك الناس بسببك.

فاعلم ذلك، واعرضه على نفسك وأقرانك تعلم حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا شاورهم أحد من الولاة في صحبة أحد من إخوانهم نفروه عنه جهدهم، ويجرحوا فيه عندهم، إلا أن وثقوا برسوخه في الطريق، وقبول شفاعته عند ذلك الأمير، فيحنئذٍ يرغبونه في صحبته، ويذكرون له محاسنه وكراماته.

وكان أخي أفضل الدين يقول: مذهبي وجوب التنفير من صحبة أمثالنا؛ لغلبة الميل إلى الألوهية يقينًا، وكان يشكر الله تعالى، ويحمد كل من ينفر منه أحد من الولاة، ويقول: جزى الله أخانا فلانًا خيرًا على ما فعل معنا. انتهى.

وقد وقع أن الشيخ أحمد القلتي رغب الأمير عبد الله بن بغداد في صحبتي، فشركته

من حيث ظنه في الخير، ثم أرسلت أقول له: لا تعد ترغب في صحبتي أحدًا من الولاة؛ فإن السلامة مقدمة على الغنيمة، ومن حق الأخ أن يحتاط لأخيه كل الاحتياط وفاءً بحقه، وقد بسطنا الكلام عن ذلك في ((المنن الكبرى)).

فاعرض يا أخي ما ذكرته لك على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا حج أحدهم ورجع إلى بلاده أن يبدأ بإخوانه بالسلام، ويذهب هو إلى بيوتهم ويسلم عليهم، ولا يحوجهم إلى الذهاب إليه، ولو كانوا دونه في المقام عادةً، وفي ذلك من التواضع ورياضة النفس وتهذيب أخلاق الإخوان.

وقد دخل أبو حفص النيسابوري بغداد فبدأ بمنـــزل أبي القاسم الجنيد، فسلم عليه؛ لئلا يحوجه بالمشي إلى المشي له، فتعانقا وتحادثا مليًا، ثم خرج أبو حفص إلى مكانه، فما استقر إلا والجنيد عنده، فسلم عليه ثانيًا، ثم قال: ذلك فضلك وهذا حقك. انتهى.

فليحذر الفقير إذا حج أن يحوج أحدًا من أكابر العلماء والصالحين أو الأمراء أن يأتوا إليه، بل يبدأهم هو بذلك، إلا أن يترتب على ذهابه إليهم لوث بعرضه يرجح ضرره على ضرر عدم الذهاب، فهناك يعمل بالأرجح، ولا يذهب إلى أحدٍ منهم.

وقد سمعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: إياك أن تلتفت إلى مجيء أحد يسلم عليك إذا رجعت من سفر الحج، لاسيما أكابر الناس، فإن ثواب حجك لا يجيء من حق طريق واحد منهم، فيجب عليك رد النفس عن طلب زيارتها ما أمكن، فإن كل من لم يأته فقد عتقها من منته عليها، ولكن إن جاءه أحد مع غير قصدٍ فأشكر الله تعالى، وكافئه على ذلك بقضاء حاجة له، أو تودد لزيارته، أو هدية ترسلها إليه ونحو ذلك، وهذا الخلق يخل به كثير من أصحاب الرعونات المتمشيخين بأنفسهم، حتى أن شخصًا من تلامذة سيدي علي المرصفي[1] حج فلم يأتِ إليه سيدي علي، فانقطع عن زيارته إلى أن مات، وهذا الأمر واقع في غالب فقراء هذا الزمان، فيعادي أحدهم من لم يسلم عليه ويهجره إلى أن يموت، وربما كان أحدهم أكبر نفسًا من الأمراء، أو هو يظن بنفسانيته أنه من الصالحين، وقد وقع أن الأمير حمزة كاشف الغربية، والأمير خضر كاشف الشرقية

---

(١) هو من الأئمة الراسخين في العلم، وله المؤلفات النافعة في الطريق، واختصر الرسالة القشيرية، واجتمعت عليه الفقراء في مصر، وصار هو المشار إليه فيها لانقراض جميع أقرانه.. توفي سنة نيف وعشرين وتسعمائة، وانظر: الطبقات الكبرى (١١٦/٢).

والقليوبية لما حجا سنة اثنين وستين وتسعمائة أتيا إلى زيارتي، قبل أن آتي إليهما، فعلماني بذلك التواضع من كونهما من الولاة، ولم يروضوا أنفسهم، ولم يدعيا الصلاح، فإذن هما أحسن من كثيرٍ من مشايخ الزمان، الذين تأنف نفوسهم أن يبدءوا بزيارة أحد من الولاة والفقراء إذا رجعوا من الحج، وربما ظن أحدهم بنفسه الصلاح، وأنه غفر للحاج تلك السنة بسببه، وربما سمع من يقول بذلك في حقه فيسكت ولا ينكره، فيرجع من مكة ممقوتًا، ولذلك قالوا: إذا حج جارك فحول باب دارك: أي لأنه لا يرجع من الحج يرى نفسه عليَّ، ويقول: ذنوبي قد غفرت كلها بالحج بخلاف جاري، فيُقال لمثل هذا: فإذا غفرت ذنوبك قدم على احتقار نفسك، ورؤية عيوبك، خوفًا أن تموت في تلك السنة، فلا يقع لك بعدها حج، فتذهب إلى الآخرة بكل ذنبٍ يعادل ذنوبك السابقة.

وقد أوضحنا الكلام على آفات رؤية النفس في كتاب ((**المنن والأخلاق الكبرى**))، فراجعها إن شئت، واعرض ما قلناه على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يفتش أحدهم في هدية الحاج قبل أن يأكلها، ولا يبادر إلى الأكل منها تبركًا بها؛ لكونها جاءت من مدينة رسول الله ﷺ مثلاً، كما يقع فيه كثير من المسامحين.

وقد وقع لي أن حمزة أمير الحاج، أرسل لي جراب تمر فرقته على المجاورين، فأكلت ثلاث تمرات، فأحسست بأنه نزل في بطني حجر معصره، ثم لعبت نفسي وتقيأت كل ما في بطني من تلك التمرات، حتى خرج طعام اليوم الذي قبله، وهاتان العلامتان تقعان لي كثيرًا في الحرام والشبهات، فما أحس بثقل في بطني فأشرب عليه ماء وأتقيأه، وأما نفسي فيطلع بنفسه، وهذا من أكبر نعم الله تعالى عليَّ، فإن فيه قطع مادة المعاصي، فإنها لا تنشأ إلا من أكل الحرام، وهذا الأمر يقع فيه كثير ممن لم يستبرأ لدينه، فيبادر إلى الأكل من الهدايا التي تأتي من الحجار، والتطيب بطيبها، والتسوك بمساويكها، ولا يلتفت إلى المادة الأولى التي اشتريت تلك الهدايا بها، هل هي حلالٌ أم حرامٌ.

وقد سُئل الإمام أحمد ﷺ مرة عن نبيذ الجرة، فقال: اسألوا عن الثمن الذي اشترى منه الزبيب قبل أن ينتبذ. انتهى.

وقد أعدت تلك الصلاة التي صليتها والتمرات في بطني، وأمرت الإخوان الذين أكلوا من ذلك التمر أن يعيدوا تلك الصلاة.

لما ورد: ((**إن الله تعالى لا يقبل صلاة عبد وفي جوفه شيء من الحرام**[1])).

فاعلم ذلك واعرضه على نفسك وإخوانك تعرف الحال، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يعمل أحدهم الأعمال الصالحة غير طامعٍ في الثواب، فإن طلب الثواب على العمل من سقاطة النفس، وهو محظورٌ عند شريف الأصل، فإن الأكابر إنما تخدعهم غلمانهم قيامًا بواجب حقهم، لا لأجل أن يعطوهم أجرة على ذلك.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول:

من طمع في فضل الله فقد حجر على الحق ألا يحرمه مما طمع فيه، وذلك معدودٌ من سوء الأدب، كما قالوا في الرجاء: إنه من أنواع التحجير على الحق جلَّ وعلا.

وأيضًا فإن العمل الذي يطلب للأجرة نسبته هو خلق لله وحده لا خلق له عبد، فكيف يسوغ له أن يطلب أجرة على فعلٍ هو لغيره، فكان من رجا في الله خيرًا يحجر عليه بقلب ألا يفعل معه ضده، والحق تعالى مطلق، لا يدخل تحت تحجير عبده، وطريق العبد أن يسأل الله سبحانه وتعالى إظهار للفاقة والحاجة، ويظهر الطمع والرجاء في فضله من غير ترجيحٍ للعطاء على المنع. انتهى.

وسمعته يقول أيضًا: إذا تصدقت بمال وهبه الناس لك، فأجره لمن اكتسبه بتجارةٍ أو صنعة، ولك أجر نية الخير لا غيره.

وقد رأيت زبيدة في المنام بعد موتها، فقيل لها: ما فعل الله بك بعد تلك الصدقات العظيمة التي كنت تتصدقين بها؟ فقالت: أجرها لأربابها، وحصل ثواب النية في تفرقها للفقراء والمساكين. انتهى.

ولو أن زبيدة حققت النظر لوجدت نفسها لا تستحق ثوابًا على نيتها؛ لأن النية هي من خلق الله أيضًا.

فاعرض ذلك على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم الواجبة عليهم:

إغاثة الملهوف، فمن ادَّعى الولاية وقلبه فارغ من تحمل هموم الناس فهو كاذبٌ في دعواه، حتى أن القطب الغوث لم يُلقب بالغوث عندهم إلا لإغاثة الملهوفين من جميع العالم، وهذه الحقيقة سارية منه في جميع الأولياء.

---

(١) لم أقف عليه.

وكذلك من أخلاقهم: عدم الاحتجاب عن الناس إلا لضرورةٍ، ولا يخلون قط على أبوابهم حجابًا إلا إن كان في البيت عيال لا مكان لهم يتوارون فيه، وذلك حتى يكون كل من طلبهم في حاجته وجدهم، وكل من أرادهم وصل إليهم، إلا أن يكثر الواشون الذين يدخلون عليهم لغير غرضٍ شرعيٍّ، فيشغلوا الوقت بغير فائدةٍ.

وكان سيدي عبد القادر الدشطوطي رحمه الله يقول:

من شرط الفقراء أن لا يتواروا عن أحدٍ إلا لعذرٍ، ولا يقولون لمن قصدهم لحاجةٍ: ارجع بعد ساعة، ولا يمنعون قط سائلاً إلا بحكمةٍ لا لبخلٍ، رضي الله عنهم أجمعين.

فاعلم ذلك، واعرضه على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يطلبوا من الخادم أن يجري على أغراضهم، وإذا أتاهم بما لا يوافق أغراضهم لا يعتبونه على ذلك، إلا أن يكون الخادم تلميذاً للشيخ، فله أن يؤدبه من حيث مخالفته أمر شيخه لا لغير ذلك، وإنما تركوا العتاب لمن خالفهم من الخدام وخالف أغراضهم؛ تهذيبًا لأخلاقهم، ورياضة لنفوسهم، كما أنهم يحتملون الأذى من الخلق، ولا يقابلونهم بنظير ذلك، ويحملون مؤنتهم عن الناس، ولا يلقون كلهم على أحدٍ، ومن شأنهم أن ينبهوا الغافل، ويرشدوا الضال.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: من القوم من صارت إرادته متعلقة بكل ما يجريه الله تعالى عليه من الكون من غير تخصيصٍ ما عدا محارم الله ﷻ، فإنه لا يرضاها كما أن الحق يريدها ولا يرضاها، ومن تحقق بهذا المقام صار يرضى بكل ما يفعله الخادم أو الخلق معه، ويراه غير خارجٍ عن غرضه؛ لرضاه بكل شيءٍ أجراه الله تعالى على أيدي عباده، وهو فانٍ عن حظ نفسه؛ لمفارقته عالم نفسه، ومن لا نفس له لا غرض له، ومن زال غرضه زال مرضه، فإن سبب الأمراض عدم موافقة الأغراض.

فاعلم ذلك، واعرضه على نفسك وأبناء جنسك تعرف حالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم اختبار الشيوخ إذا دخلوا عليهم، كأن يقول: إن أطعمني الشيخ الفلاني كذا اعتقدته، وإن لم يطعني ذلك لم أعتقده، وذلك لأن كل من دخل على شيخ يختبره فهو جاهلٌ ممقوتٌ عند الله، فإن الشيوخ لا يُختبرون البتة لكمالهم، وإنما الحق تعالى هو الذي

يختبرهم، وأما الخلق فهم دونهم في المقام، فكيف يختبرونهم في مقاماتٍ لا يذوقونها.

وكان سيدي علي المرصفي رحمه الله تعالى يقول:

لا يُطلب من الشيوخ الكلام على هواجس النفوس، وإنما يُطلب منهم معرفة الأمراض والأدواء، ونحو ذلك مما هو من شروط المشايخ، فإن المكاشفات إنما هي من أخلاق المريدين، لا من أخلاق الكُمَّل العارفين.

وقد كان سيدي إبراهيم المتبولي رحمه الله إذا سأله عن عبده الآبق مثلاً: أين هو؟ يقول للسائل: اصبر حتى يأتي مريدنا فلانًا يكشف لك عنه.

فقالوا له يومًا: وكيف يحتاج مثلكم إلى من يكشف له؟ فقال: يا ولدي العارف إذا بلغ مقام العرفان يصير يهرب من مشاركة الحق تعالى في الاطلاع على الغيوب، فلا يكون له التفات إلى شيءٍ من المكاشفات، لاسيما اطلاعه على عورات الناس. انتهى.

وفي الفتوحات المكية للشيخ محيي الدين: أن من عباد الله من كشف له عن ملكوت السموات والأرض على التفصيل، ومع ذلك لا يعلم ما في جبينه؛ لأنه مع الله تعالى بحسب ما يطلبه لا مع ما تشتهيه نفسه.

فاعلم ذلك، واعرضه على نفسك تعرف حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا صحبوا أحدًا من الولاة يعلموه الأدب، مع مراسلاتٍ إذا وردت عليهم في أمرهم بمعروفٍ مثلاً، وأن يقبلوها ويضعوها على أعينهم؛ لأن بذلك تدوم ولايتهم.

وقد بلغنا أن كتاب يعقوب عليه السلام لما ورد على يوسف عليه السلام بمصر فقبله يوسف ووضعه على عينيه.

وقال: أتدرون لما فعلت ذلك؟ فقالوا: لا، قال: لأنه من سنة الملوك، وبذلك يدوم ملكهم. انتهى.

وذكر صاحب الدلالة على الله أن في أولياء الله من إذا أرسل السلام لظالمٍ واحدٍ من العصاة تاب الله عليه، وسامحه في جميع التبعات التي عليه، وذلك لأن الله تعالى ينتصر لأوليائه، ولا يخذلهم في الدنيا ولا في الآخرة، ويستحي أن يؤمن أحد من أوليائه بإرساله لأحدٍ ويخذله في أمانة؛ فينبغي للفقير إذا صحب أحد من الولاة أن يخبره بهذا السر العظيم، ولا يرد على فقيرٍ مراسلاته له بالسلام.

وقد وقع لي مع بعض بني بغداد أنه صار يرد مراسلاتي ولا يقرأها، وتارة يعطيها للنصارى، ويستنكف عن قراءتها، فصرت أكاتبه، وأسقط البسملة والصلاة على رسول

الله ﷺ والسلام عليه؛ خوفًا أن يمقته الله تعالى بإعطائه النصارى اسم الله تعالى فينتهكون ذلك، فمكث بعد ذلك مدة يسيرة، وعُزل وأُدخل البرج وعُوقب، هذا أمرٌ شهدته فيهم.

وبالجملة فمن لم يكن له حال مع الله تعالى يحمي به نفسه من الظلمة، وتصريفًا فيهم بالولاة والعزل، فليس له التصدر في الشفاعات عندهم، فإن ذلك لا يتم له، لاسيما ظلمة النصف الثاني من القرن العاشر أبي العجائب والغرائب، فإنه لا يكاد تجد أحدًا من الولاة يعتقد في فقيرٍ، ولو أظهر له كرامة قال: هذا ساحرٌ.

فإن أعطاك الله يا أخي التصريف في الظلمة فافتح باب الشفاعة عندهم وإلا فكف عن ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم المبادرة إلى تصريف المنكرين على أهل الطريق، وعدم الخوض في أعراض الفقراء بمجرد إشاعة النقائص عنهم، فإذا قام على أحدٍ من إخوانهم منكر فلا يصغون إلى شيءٍ من كلامه في حق أخيهم، بل يتربصون وينظرون في أعمال أخيهم الصالحة وأعمال المنكر عليه، فكل من رأوه أكثر أعمالاً وورعًا وزهدًا واحتمالاً للأذى قدَّموه في المحبَّة والتعظيم.

ولا شك أن أعمال القوم ولو نزلوا إلى أدنى المراتب أظهروا أكثر وأحسن من أعمال المنكر عليهم.

ومن هنا قالوا: لم تزل الأشراف تُبتلى بالأطراف. انتهى.

وما رأينا أحدًا قط تظاهر بأنه من أهل الطريق يترك الصلاة أو يشرب الخمر، ولا يزني، ولا يتعاون في الناس عند الظالمين، ولا يزاحم على الدنيا، وإنما هم على الدين والخير حتى لو أراد أحد أن يثبت فسقهم، لما قدر على ذلك.

وغاية أمر المنكرين على الفقراء أن يرموهم بالأمور الباطلة، كالرياء والكبر والحسد والغل ونحو ذلك، وهذا أمرٌ لا يطَّلع عليه غالبًا إلا الله سبحانه وتعالى.

وقد وكَّل ﷺ سرائر الخلق إلى الله تعالى بقوله في حديث: ((**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: (لا إله إلا الله) وحسابهم على الله**[1])). انتهى.

فباب سده رسول الله ﷺ، فلا يجوز لأحدٍ أن يفتحه.

فاعرض يا أخي هذا الخلق وما قبله على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم،

---

(١) رواه البخاري (١/١٥٣)، ومسلم (١/٥١).

والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

الاعتناء بالذب عن أهل الطريق، ورد المنكرين عليهم بالأدلة الواردة في الكتاب والسُّنة، وإن كان المنكر معدودًا من الجهال المأمور بالإعراض عنهم، ولو أنه كان عالمًا لم يقع منه إنكار، بل كان يستدل بأفعالهم وأقوالهم بالكتاب والسُّنة، كما أوضحنا ذلك في كتاب ((**المنن والأخلاق**)).

والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة التعفف عن أموال الناس وأطعمتهم ظاهرًا وباطنًا، لاسيما الولاة فإنهم إذا علموا من الفقير سقاطة النفس ازدروه، ولو كان له سبحة وعمامة صوف جعلوه من جملة النصابين، فلا يقع له نفع لأحدٍ من المسلمين على أيديهم، فيحتاج الفقير الذي يشفع عند الولاة أن يكون أعف الناس أن طلب؛ ليكون أكثر الناس شفاعة.

واعلم يا أخي أن من علامة النصب المكشوف أن يهدي الفقير لذلك الأمير حلاوة ماء ورد أو سكر ونحو ذلك؛ لأن الأمير في غنية عن مثل ذلك، وأول ما ينظر الأمير معه هدية يفهم منه أنه شحاذ.

وقولهم: (أجبروا بخاطر الفقراء) جهلٌ ونفاقٌ؛ لأن الفقير الصادق لا يطلب جبر الخاطر من الولاة؛ لأن مرتبته فوق ذلك، بل الولاة هم الذين يطلبون منه جبر الخاطر بإطعامهم من طعامه؛ لأن كل لقمةٍ من الفقير تعادل في هذه الأيام ألف دينار لبلة الحلال المناسب للفقراء الآن، فما كل طعامٍ يليق بهم الأكل منه، وما كل لباسٍ يليق لهم اللبس منه، فإذا سمح لذلك الأمير بأن يأكل من طعام الفقراء، فذلك غاية التبجيل والتعظيم، ومَن رأيتهم يرون الفقراء أعظم منهم درجة، ويتبركون بالأكل من طعامهم أولاد بغداد، فكل يومٍ يأكلون فيه عند فقير يعدونه يوم عيد عندهم، ويقدمون طعام الفقراء على أبناء الدنيا ولو ملحًا وعدسًا وبسلةً.

فأسأل الله تعالى من فضله أن يسبغ النعمة عليهم في الدارين، وأن يديم عليهم عمارة بيتهم بتولية خيارهم، ويعطفهم على شرارهم آمين. انتهى.

وهذا آخر الكتاب المُسمّى بـ((**الكوكب الشاهق في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق**))، تأليف سيدنا وقدوتنا إلى الله سبحانه وتعالى سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراوي، صاحب الكرامات والعلوم والمعاني، رحمه الله آمين ورضي عنه. وصلّى الله

على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

ووافق الفراغ من هذه الكلمات الشريفة المباركة المبجلة المعظمة صبيحة الجمعة خامس من شهر شهور سنة سبعة وثلاثين بعد ألف.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين وصحبه المقربين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

❋ ❋ ❋

الوصايا والنصائح الخلوتية

لسيدي مصطفى البكري الخلوتي،
والشيخ حسن رضوان الخالدي

تحقيق وتخريج وتعليق
أحمد فريد المزيدي
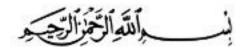
ترجمة مختصرة للشيخ حسن رضوان

هو الشيخ العلاّمة القدوة حسن بن رضوان محمد الحنفي بن عامر المالكي الخالدي العمراني.

صوفي، شاعر، مشارك في بعض العلوم ، من علماء الجامع الأزهر.

ووُلد ببلدة ببا بمديرية بني سويف، بصعيد مصر سنة ١٢٣٩ هـ، ورحل إلى القاهرة، فدرس بالجامع الأزهر.

وتوفي في بردونة الأشراف، سنة ١٣١٠ هـ.

من مصنفاته:

- أرجوزرة روض القلوب المستطاب أو مطهرة النفوس وروض القلوب في التصوف.
- الفتح المبين في أحكام النون الساكنة والتنوين.
- المفاتيح الرضوانية في الصلاة على خير البرية.
- مورد النفحات الإلهية على شرح ابن تركي على العشماوية.
- الجوهر الملتقط في المخمس.
- مراسة النصائح والوصايا والوعظ.

انظـر في ترجمته: اليواقيت الثمينة (١/ ١٢٧، ١٣٠)، الأعلام الشرقية (٣/ ٩٧، ٩٨)، معجم المطبوعات (٧٦٠، ٧٦١) ومعجم المؤلفين (٢/ ٥٥٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة مختصرة للشيخ البكري

هو الشيخ العلاَّمة الفقيه الحجة الربَّاني سيدي: قطب الدين مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن عبد القادر محيي الدين الصديقي أبو المعارف البكري الدمشقي الصوفي الحنفي الشهير بالقطب البكري، وُلد سنة ١٠٩٩، وتُوفي بدمشق سنة ١١٦٢ اثنتين وستين ومائة وألف.

من مصنفاته:

- الابتهالات السامية والدعوات النامية.
- الأربعون المورثة للانتباه فيما يُقال عند اللزوم والانتباه.
- الاستغاثة الأتية بالنصرة والإغاثة.
- الاستغفار (بتحقيقنا) مع شرحه للشيخ المرصفي.
- بلغة المريد ومنتهى السعيد.
- والموائد الإشراقة.
- اقتحام اللآلي في شرح منفرجة الغزالي.
- ألفية الوفية للسادة الصوفية في التصوف.
- انتظار فتح الفرج واستمطار منح الفرج.
- بديع موشحات بالبديع مرشحات.
- برؤ الأسقام في الزمزم والمقام.
- البسط التام في نظم رسالة السيوطي المقدام.
- سر الساعون في دفع الطاعون.
- بلوغ المرام في خلوتية الشام.
- بهجة الأذكياء في التوسل بالمشهور من الأنبياء.
- تبريد قيد الجمر في ترجمة الشيخ مصطفى بن عمرو.
- تذكرة عرب نسائم أنس الطريقة في الحرب القائم بين النفس والحقيقة.
- تسلية الأحزان وتصلية الأشجان.

- تشييد المكانة لمن حفظ الأمانة.
- تفريق الهموم وتفريق الغموم في الرحلة إلى بلاد الروم.
- تـــناول أقداح الحق الصراح وشرب عذب زلاله في معنى قوله المصلى على النبي وآله.
- التواصي بالصبر والحق امتثالا لأمر الحق.
- التوجه الوافي والمنهل الصافي في الورد.
- التوجه الرافع لتالية لواء منشورا فيما يبتهل به المبتهل يوم عاشورا.
- التوسل الأسنى بالأسماء الحسنى.
- التوسلات المعظمة بالحروف المعجمة.
- الثانية الإنسية في الرحلة القدسية.
- الثغر الباسم في ترجمة الشيخ قاسم.
- الثغر البسام فيمن يجهل من نفسه المقام.
- جريدة المآرب وخريدة كل سارب شارب.
- جمع الموارد من كل شارد.
- الجواب الشافي واللباب الكافي.
- حرز الحماية والاعتصام الذي هو لسرب الغواية قصام.
- حزب الحفظ والحراسة من الهموم.
- الدافع الرافع خرسجف الغموم.
- حزب الفرج الطيب الأرج.
- حلة الأردان في الرحلة إلى جبل لبنان.
- الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية.
- الحملة الرضوانية الدانية في الرحلة الحجازية الثانية.
- الحمامة الورقاء القصرية في المقامة العنقاء المصرية.
- الحواشي السنية على الوصية الحلبية.
- الخطرة الثانية الإنسية للروضة الدانية النابلسية.
- الخمرة المحسية في الرحلة القدسية.
- الدر الثمين شرح مقاصد منهاج العابدين.
- الدر الفائق في الصلاة على خير الخلائق.

- الدرر المنتشرات في الحضرات العندية في الغرر المبشرات بالذات العبدية المحمدية.
- الدعامة الإنسية في المقامة النابلسية.
- دلائل القرب ورسائل إطفاء الغضب.
- الدمغة النضرية المحمدية في صبغة النظرية الأحمدية.
- ديوان الجلا والاستجلا في حمد الباري جلّ وعلا.
- ديوان الدوح والأدواح وعنوان الروح والأرواح.
- الذخيرة الماحية للآثام في الصلاة على خير الأنام.
- الرحلة العلية الدانية.
- رد الإحسان في الرحلة إلى جبل لبنان.
- رسالة الصحبة التي أنتجتها الخدمة والمحبّة.
- رشحات صدح من مسبي العذار ونفحات مدح في نبي المختار.
- رشحات الوعد الإنجازي في الكلام على صلوات الرازي.
- رشحة الصفا في امتداح المصطفى.
- رفع الستر والردا عن قول العارف أروم وقد طال المدا.
- الروضات العرشية على الصلوات المشيشية (تحت قيد الطبع بتحقيقنا).
- روضة الوجود.
- سبيل النجا والالتجا في التوسل بحروف الهجا.
- سر الساعون في دفع الطاعون.
- السيوف الحداد في الرد على أهل الزندقة والإلحاد (بتحقيقنا).
- شوارق البارق المشام في التوسل بالأنبياء من المبدأ إلى الختام.
- صادحة الأزل (بتحقيقنا).
- الصراط القويم في ترجمة الشيخ عبد الكريم.
- الصلاة البرية في الصلاة على خير البرية.
- الصلوات النبوية الشافعة ذات النفحات الإلهية النافعة.
- الضياء الشمسي على الفتح القدسي في مجلدين (تحت قيد التحقيق).
- طلبة الفقير المحتاج فيما يتوجه المتوجه ليلة المعراج.
- العدة العمدة المخلصة من الشدة.
- العرائس القدسية في الدسائس النفسية (بتحقيقنا).

- العقد الفريد في ترجمة الشيخ محمد سعيد.
- العقد المتلألئ على ورد العسالي.
- الموارد البهية الحكم في الحكم الإلهية (طبع بتحقيقنا).
- كروم عرش التهاني في شرح صلاة ابن مشيش الداني. (بتحقيقنا).
- المدد البكري شرح صلاة سيدي محمد البكري. (بتحقيقنا).
- ورد الضحى.
- ورد الإشراق.
- الهبات الأنوارية على الصلوات الأكبرية.
- شرح دعاء الصباح.
- شرح حزب النووي.
- شرح ورد الشعراني.
- الصمصامة الهندية في المقامة الهندية.
- الوصية الجلية للسالكين طريقة الخلوتية.

وانظر في ترجمته:

هدية العارفين للبغدادي (٦٨٤/١)، وعجائب الآثار للجبرتي (١٦٥/١، ١٦٦)، والأعلام للزركلي (١٤١/٨).

نماذج من صور المخطوط

٢٧١

هذه مراسلة مشتملة على نصائح ووصايا ومواعظ
من مؤلفها استاذي ووالدي الكامل وإمام ماهر
الفاضل الشيخ حسن رضوان إلى بعض مريديه
بالجامع الأزهر نفع
الله بها وبمؤلفها
العباد آمين
٢

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي
أما بعد حمد ولي الحمد بذاته لذاته والصلاة
والسلام على علي المجد جلي الجد المدرك مع الجد أجل
مدرك بمذاق معالي معاني القرب ولذاته فهذه
مراسلة أمدادها من فيوضات البر مترا سلسلة
ولإدراك القلوب غاسلة بما فيها من الوداد والموصلة
إلى نقيب نفال الفقرا ورقيبه اللذين دارت أحوالهما
بين الحسن والمجد وفاز كل منهما بنصيبه وحاز
بلوغ جميع الآمال وحسن المآل بانفراده وتعصيبه
حقق الله لهما الثروة الرحمانية والوراثة المحمدية
بالقرابة الروحانية وأذاقهما لذات المعاني الربانية
بجاه خير البرية وليبلغاها من أرادا من الإخوان
نيابة عن عاجزهما حليف الأحزان خادم نعالهما
كثير المخالفة والعصيان حسن الظن في رضوان
الرحمن ذي العيوب والغيوب المانعة من قلبه العيون
عن مطالعة سر الغيوب وإدراك الفنون حسبما

يعقبه

صورة الصفحة الأولى من الوصايا والنصائح الخلوتية

٢٧٢

يقتضيه رايهما اما بالالفاظ او المعاني ولكن لا يكون
الا لمن شاهد افيه اخفوا الى الدنو عسى يكابد
نفسه بالمجاهدة ويعاني فالله في عون العبد
ما دام العبد في عون اخيه فعلى ما ذا دون
التعاون على البر والتقوى يصاحب احدنا الاخر
ويواخيه اخي اشدد به ازري واشركه في امري
كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا
قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا
فلا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون
وان اراد احدهما تجريد لفظها بتخليتها عن الملابس
البالية وتجديد حظها بتحليتها بحلل المعاني الغالية
والباسها من الثياب ما هو ارق من اللاذ ليخطبها
من انتمى الى اهل هذا الفريق وبه عاذ ولاذ فقد
لاح عليها حينئذ فجر الفلاح وصاح على اغصان رباضها
بلبل الافراح بما يغني الارواح عن شراب الراح
ويغني النفوس عن سراب الكون الذي ما له الى
الرواح وها هو العاجز عن مدارك الفحول بلسان
عجزه وانكساره يقول عازما على ان لن يحور عن
موارد بحور فضل الله المطلق ولا يحول عنى
بالتطفل على موائد فوائد عوائد قلوب الاخوان
في ميادين الاحسان يجول وبالله التوفيق
الى اقوم طريق بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
الذي اوضح سبيل الرشاد لكل قاصد واربح تجارة

صورة الصفحة الثانية من الوصايا والنصائح الخلوتية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

هذه مراسلة مشتملة على نصائح، ووصايا، ومواعظ من مؤلفها أستاذي، ووالدي الكامل، والإمام الفاضل الشيخ حسن رضوان إلى بعض مريديه بالجامع الأزهر نفع الله بها وبمؤلفها العباد، آمين فيقول:

أما بعد حمد ولي الحمد بذاته لذاته.

والصلاة والسلام على علي المجد، جليِّ الجد المدرك مع الجد أجل مدركٍ به، من ذاق معالي معاني القرب ولذاته.

فهذه مراسلة إمدادها من فيوضات البرِّ متراسلة، ولأدران القلوب غاسلة بما فيها من الوداد والمواصلة إلى نقيبي نعال الفقراء ورقيبيه اللذين دارت أحوالهما بين الحُسن والحمَد، وفاز كلٌ منهما بنصيبه، وحاز بلوغ جميع الآمال، وحسن المآل بانفراده وتعصيبه.

حقق الله لهما الثروة الرحمانيَّة، والوراثة المحمديَّة بالقرابة الروحانية.

وأذاقهما لذات المعاني الربانية بجاه خير البرية، وليبلغاها من أرادا من الإخوان نيابة عن عاجزهما حليف الأحزان، خادم نعالهما، كثير المخالفة والعصيان، حسن الظن في رضوان الرحمن، ذي العيوب والغيوب المانعة من قلبه عن مطالعة سر الغيوب، وإدراك الفنون، حسبما يقتضيه رأيهما إما بالألفاظ أو المعاني ولكن لا يكون إلا لمن شاهد فيه الحنو إلى الدنو عسى يكابد نفسه بالمجاهدة ويعان: «**فالله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه**[1]».

فعلى ماذا دون التعاون على البر والتقوى، يصاحب أحدنا الآخر ويؤاخيه.

﴿**أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * نَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً**﴾ [طه: ٣٠، ٣٥].

قال: ﴿**سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ**﴾ [القصص: ٣٥].

---

(١) نص الحديث رواه مسلم (٢٠٧٤/٤).

وإن أراد أحدهما تجريد لفظها بتخليتها عن الملابس البالية وتجديد حظها بتحليتها بحلل المعاني الغالية، وإلباسها من الثياب ما هو أرقُّ من اللاّذ؛ ليخطبها من انتمى إلى أهل هذا الفريق وبه عاذ ولاذ، فقد لاح عليها حينئذ فجر الفلاح.

وصاح على أغصان رياضها بلبل الأفراح بما يغني الأرواح عن شراب الرَّاح، ويغني النفوس عن سراب الكون الذي مآله إلى الرواح.

وها هو العاجز عن مدارك الفحول بلسان عجزه وانكساره يقول عازمًا على أن لن يحور عن موارد بحور فضل الله المطلق ولا يحول، عسى بالتطفل على موائد فوائد عوائد قلوب الإخوان في ميادين الإحسان يجول وبالله التوفيق إلى أقوم طريق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي أوضح سبيل الرشاد لكل قاصد، وأربح تجارة من عامله بإرشاد نفسه إلى أحسن الوسائل والمقاصد، وأربح موازين الموازين ذنوبهم اللاتي ملأت ذنوبهم بالتوبة الصادقة، وأشهدهم على المشاهد.

والصلاة والسلام على من فتح بمفاتيح الشريعة ما أُغلق من أبواب كنوز الرموز الحقيقية البديعة المنيفة.

ومنح من سمح بنفسه نفائس معاني مثاني التنـــزلات الإلهية الرفيعة الظريفة.

ودعى من ودع الأكوان إلى تناول تلك الأكواب فبادر المخبتون المجتبون، وأجابوا دعوته، وجابوا ميادين النفوس على مقتضى السنة والكتاب.

وهرعوا إليه وكرعوا ما لديه من كل سِر سُرَّ به السر.

وبرعوا بذلك الشراب فهنالك طلقوا النفوس، وأطلقوا المحبوس في سجن الهوى من دوله الأشباح.

وخاطروا في الهوى بالأرواح لأجل طلب الأرواح بدخول حضرة الكريم الفتاح، التي ليس لكامل عنها براح.

وتمتعوا بالإسرار؛ حيث تمتعوا بالأسرار عن غبار الأغيار.

وشاموا برق تجلي الأسماء والصفات كل ما ساموا قرب الذات؛ في سماء الكون أضاء ولاح فتحيروا وما تخيروا.

وخرجوا عن المراد، واهتدوا لما اقتدوا بمنهاج سيد العباد، وسلم من هاج به بحر الحيرة من غرق الفرق، حيث سلم ما جاء عنه بحسن الاعتقاد.

وعلى آله السادة القادة الأخيار الأخيار، وأصحابه الذين رفعوا عن قلبهم برفع

الوقوف مع الآثار.

وحصنوا من لذع قلبه القلب بحصن شهود[١] المؤثر الواحد الفاعل المختار.

وأحبابه الذين دهشوا برؤية الساقي عن الشراب وحبابه.

وسكروا[٢] بالغيبة فيه عن أن يتعلقوا إلا به، وأن يلوذوا إلا بجنابه فزادهم بالغيبة

---

(١) قال الشيخ ماء العينين: والشهود معناه الحضور، وعند القوم دوام المراقبة والحضور مع الله تعالى، لا يغفل عن الله طرفة عين، ومن وصل إلى هذا المقام وجد اللذة حتى في الآلام والأسقام؛ والشهود والمشهد بمعنى المشاهدة التي تحصل لأهل الله تعالى، بسبب تجليه على قلوبهم؛ فيشهدون ذاته أو صفاته أو أفعاله على حسب استعداد التجلي عليهم، وهذا الشهود إنما هو في القلب فقط دون البصر، فرؤية الباري تعالى بالبصر ممتنعة، وبالروح والقلب جائزة.

ولذلك قال سيدنا عمر ﷺ: «**رأى قلبي ربي**».

وقال الإمام عليٌّ ﷺ: «**لا أعبد ربًا لم أره**»: أي بروحي.

وما يحصل للعين الجسماني من الرؤية في الجنة بعد الصفاء يحصل لبعض أهل الصفاء في الدنيا في اليقظة بالروح؛ إذ الدنيا والآخرة للروح الصافية سيان، والله الواهب.

قال في المطالب الوفية: والمشهور عند علماء الظاهر والباطن كالقشيري والغزالي وغيرهما أن الشهود والرؤيا إنما هما في القلب بدون المقابلة في هذه الدار الفانية؛ لأن البصر فانٍ والحق تعالى باقٍ، ولا يرى الباقي بالفاني، فإذا كان يوم القيامة ركبوا تركيبًا باقيًا، فكانت أبصارهم باقية، فصح أن يرى بالباقي، ونحو هذا منقولٌ عن الإمام مالك،وهو مستحسن.

والمجيزون قالوا: إنما قال تعالى: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، ولم يقل: لا تراه. وانظر: منيل المآرب للبشر شرح الكبريت الأحمر (ص١٣٦) بتحقيقنا.

(٢) قال الشيخ القاشاني رحمه الله: السكر: غيبة بوارد قوي، وهو يتضمن علم الأحوال، وهو يعطي الطرب، والاستلذاذ المفرط وإفراط يعطي هتك الأسرار، والغيبة فيه إنما تكون عن كل ما ينافي الفرح والسرور، والسكر على ثلاثة أقسام: طبيعي، وعقلي، وإلهي:

فالطبيعي: هو ما تجده النفوس في غيبتها، من الالتذاذ، والابتهاج، وتوارد الأماني، حين مشاهدتها في الخيال صورًا قائمة لها الحكم والتصرف، والخواص، فإن النفس لا تزال تراقب ما يتخيل تحصيله من المطالب، حتى يظهر لها في صورة محبوبة، تنظر إليها وتخبر عنها وتتصرف بها.

مثل قوله ﷺ في التجلي العلي: «أوتيت قدحًا من اللبن» وأن الله في قبلة المصلي، في عين التجلي نحو ذلك، وهذه الصورة المخيلة في غيبة السكر قد تنتقل للصاحي إلى مرتبة الحس فيصير محققًا كتحقق جنة خيلها إبليس بتصرفه في جدول الخيال المنفصل المختص بروائع الجن ليفتن بها سليمان عليه السلام في الحس منه، من الله تعالى عليه.

وأما العقلي: فهو رد الأمور إلى ما يقتضه الأمر في نفسه؛ وذلك لمن يرد عليه في سكره: الخطاب الإلهي، بضرب يشعر باتصاف الحق، ببعض نعوت المحدثات، فيأتي قبولها، أو يقبلها بما يقتضيه نظره مع جهله بالحق في نفسه أنه يقبل ذلك في نفسه، وفي موطن ما، أو لا يقبله، فأما تجرده

=

حضوراً، وبالفناء بقاء وحبوراً.

وزانهم بالخلع الجمالية؛ حيث لازموا به له الوقوف على أعتابه.

واجعل اللهم منهم والوارث عنهم كلا من أخوي الروح، وولدي الفتوح، اللذين أولهما نقيب نعال الفقراء من حاء حبه أشارت بالتجويف إلى قبول التحويف في مقام الاستعداد.

وسين سناء برق قربه تسننت عن إمداد استمداد طيه من مشهد خالص الوداد.

ونون نور برق نور أغصان روض أفهامه أظهرته بعد إبهامه بعلو نقطة الإفراد وطهرته من إبهام الأوهام وميزته عن الأفراد، فصار بذلك حسن الأقوال، والأفعال، والأحوال ملقبًا بطويل الباع في نـــزال الأبطال أرباب المحال.

مكنى بأحمد الأوصاف في معرض الاتصاف والإنصاف بين أكابر الرجال المقصود بالبشارة والإشارة، المصمود بالتحريض على رفع الستارة، والتعريض بإعراضه عن موافقة نفسه الأمارة، عسى أن تظهر عليه أمارات الإمارة، رزقه الله الحسنى وزيادة، وأتم عليه نعمه، ورجب له موجبات السعادة، ورحّب به في مقعد صدق القرابه.

وألهمهُ سر العبودية(١) في الطاعة والعبادة.. آمين.

= خالفتد وقع في حد الإيمان، ولم يرد الخطاب الإلهي، واعتقد أنه أعلم بنفسه، وبما نسبه إليه.

وأما الإلهي: فهو فرط السرور والابتهاج بوجود الكمال ومزيده مع الأنفاس ومنه: «رب زدني تحيرًا». وهذا السكر نتيجة الشهود، ومن كان سكره عن شهود فلا يصحو أبدًا.

ولذلك قال ﷺ : «رب زدني تحيرًا». وكل حال لا يورث طربًا، وبسطًا و إدلالاً و أنشأ أسرارًا إلهية، فليس بسكر بل هو غيبة، أو فناء، أو محو، أو نحو ذلك. والغيبة: غيبة القلب عن علم ما يجري من أحكام الخلق لشغل الحس بما ورد عليه من جناب الحق، حتى أنه قد يغيب من إحساسه بنفسه فضلاً عن غيره.

(١) قال الشيخ الشرقاوي رحمه الله: (العبودية): وهي الذلة والافتقار وليست بنعت إلهي، ولهذا لما لم يجد أبو يزيد البسطامي شيئًا يتقرّب به إلى الله تعالى ليس للألوهية فيه مدخل، قال: يا رب بماذا أتقرب إليك؟ فقال الله تعالى له: تقرّب إليّ بما ليس لي: الذلة والافتقار. انتهى.

فالعبد معناه الذليل، يُقال: أرضٌ معبَّدة: أي مذللة. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]: أي ليذلوا لي، ولا يَذِلُّ له من لا يعرفه، ولذا فسّر ذلك ابن عباس بقوله: أي ليعرفوني فهو تفسير باللازم، وإنما خص هذين الجنسين بالذكر؛ لأنه لم يدع أحد الألوهية والتكبر على الله تعالى من سائر المخلوقات غيرهما، ولم يتحقق بمقام العبودية على كماله أحد مثل رسول الله ﷺ، وكان عبدًا مخلصًا في جميع الأحوال التي تخرجه عن مرتبته؛ ولذا شهد =

وثانيهما: رقيبه المحرض له على ما به تقريبه من ركب سوابق نواقب الأفكار، وترك طالبًا للجد والاجتهاد موارك الأكوار، وبكر باقتناص آرام المعاني النقية من شوب الانتقاد والإنكار، وافتض من مسائل الوسائل والمقاصد مخدرات الأبكار، وحازمًا استجاد من التقول بفهمٍ حديد فعضده، ونضده، وكمله، وجمله من معاني المباني بثوبٍ جديد.

وألبسه حلل التحرير بجميل التعبير، وجليل التقييد، ورفيع بديع التجديد، فحاز بذلك جميع المفاخر، وجاز منيع المفاوز غير معاجز ومكابر، وشد بالعزم والحزم منطقة الحزم، وزاحم بالمناكب غير مناكب الأكابر، وركب أفيال الإقبال، وركب لآلئ الأنقال بحسن نظم عقد الأقوال، ففاق في ذلك الأقيال.

وقرَّ بتحرير تغريره عيون القلوب، ومرَّ عبير تعبيره على كل طالب فأساده، وأشاده، وصبره؛ لأجل المطالب مطلوب الإمام الهمام، أحف الروح من لمكارم الأخلاق منسوب، وللمعالي مخطوب.

- الله تعالى له بأنه عبد مضاف إليه بقوله: وإنه لما قام عبد الله ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، ولما أمره تعالى بتعريف مقامه يوم القيامة قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» بالراء: أي ما قصدت الفخر عليكم بالسيادة، بل أردت تعريفكم بشرى لكم؛ إذ أنتم مأمورون باتباعي.
 ورُوي: «ولا فخز» بالزاي: أي ما قلته متبجح؛ إذ الفخز: التبجح بالباطل في صورة الحق، فالعبد مع الحق في حال عبوديته كالظل مع الشخص في مقابلة السراج، كلما قرب من السراج عظم الظل، ولا قرب من الله إلا بما هو لك لا له، وكلما بَعُدَ من السراج صغر الظل، ولا يبعدك عن الحق إلا خروجك عن صفتك التي تستحقها، وطمعك في صفته تعالى.
 قال الشيخ الشعراني في رسالة الأنوار القدسية في معرفة أدب العبودية: واعلم أن سبب تعدي العبد عن حدوده كونه مخلوقًا على الصورة، ولله تعالى العزة والكبرياء والعظمة فسر هذه الأحكام في العبد تحقيقًا للواقع، والكامل من العبيد هو الذي لا يصرفه خلقه على الصورة عن الفقر والذلة والعبودية؛ لما يعرف من نفسه من العجز والضعف والافتقار إلى أدنى الأشياء، والتألم من قرصة برغوث، وهذا يدركه كل إنسان من نفسه ذوقًا، فليحذر العبد من رؤية نفسه على أحد من رعيته، ولو عبده الذي في رقه؛ لأنه ربما يكون عند الله أحسن منه حالاً، كما ورد في الحديث، وليحذر من قوله: تجعل رأسك برأسي أو مثلك بمثلي أو غير ذلك، فإن هذا كله دليل على الجهل والقساوة والكبر، والله لا يحب المتكبرين.
 ولو لم يكن في ذلك إلا أن الله تعالى يكرهه لكان ذلك كافيًا في الزجر؛ لأن العبيد كلهم حرهم ورقيقهم ملك له تعالى، لا فضل لأحدٍ على أحد إلا بما فضّله سيده به، وهو لا يعلم إلا بوحي؛ فالزم الذل وترك الزجر لعبدك وخدمك إن كنتَ عبد الله. انتهى. وانظر: شرح الحكم الكردية للشيخ الشرقاوي (١٣٧) بتحقيقنا.

وفضل علمه وعرفه أشهر من علم على علم، له عرف يفوح، ونور تصحيف فخره في أفق سماء عزه عن شمس فلاحه ينتشر ويلوح، وتضعيف عين أصل اسمه، صيره صاحب عيون، وطيب جل اسم منشأ جسمه أكسبه التمتع بأجل الفنون.

حمد لله الذي منه الأفعال، والأقوال بجاه سيدنا محمد ﷺ الذي بان عنه كل سرٍّ مكنون آمين آمين آمين.

أما بعد...

السلام من السلام، فيا ذوي العود، ما بال ود لم يتصرف بما يفيد تجدد مراسلة مياه المودات، وقد ذوي العود، وبرق قرب الوعود تخلف، ولم تزجر النفس بمزعجات الرعود، عسى بسيب[1] صيب[2] مزن وزن الأفعال بالموازين يلين ما قسي، ونورّق أغصان العود فقد مضى من الأيام بعد الاجتماع ما ينوف عن الستين ولكنها مع عدم وجود ما يجدد الوداد، ويسدد المراد، ويجرد الفؤاد عن موجبات البعاد، ويساعد على الوفاء، ويباعد موجبات الجفاء من مواصلة المراسلة.

صارت لدى عاجزكم أطول من سنين فهل أحسنتم إلى رق، ودماء سور بسطور في رقٍ منشور، يفيده السرور بما أنتم عليه من العمل المبرور، ويعيد له الحبور؛ لأن ينجبر قلبه المكسور والله يحب المحسنين.

وطالما وجه القلب الحزين نحو ناديكم كي بمأموله لديكم من إمداد واردات الأوراد ينثر، ويبشر، فيقف متطفلاً على أبواب قلوبهم يناديكم، طالبًا أياديكم، فما يُجاب بشيء من مقاصده، ولا بما تيسر فيرجع، وهو باكٍ شاكٍ غير ناكل أعاديه ممن بالشماتة يناديه.

يتأوه ويتحسّر فما أدري أصمم قام بأذنيه أم عمي بعينيه فلا يسمع ولا يبصر، أم غفلة منه، أو عنه بما هو متصف به مما ظهر لكم فيه من الصفات التي لا تجدي ولا تثمر، أم انحطاط منكم في الهمة عن النهوض إلى المقاصد المهمة التي نحوها أبطال الرجال تشمر.

فإن كان من حيث أوصافه الأول، فاستغفر الله العظيم، وإن كان من جهة الغفلة عنه فليس من شأن الكرام الوقوف على عيوب الخديم.

وإن كان من القبيل الثالث فلا والله يمكن حصول التسليم، بل لابد من ركوب جواد

---

(١) السيب: بالفتح عطاء، وبالكسر مجرى المياه.

(٢) الصيب: بالتشديد مكسورة: مجرى السماء، والإراقة.

سوابق الهمم، فالحرب سجال، وقتل غلام النفس بسيف مخالفة الهوى، ومزاحمة أرباب الحال فذلك أفضل الأعمال كما قال مظهر الكمال، ومظهر الجمال، فإن لم تكونوا أنتم الأولى بالانقياد إلى منهاجه فمن الأحق باعتياد خلقه، وإيقاد سراجه، والعروج إلى سماء حقوق الربوبية ذات بروج العبودية على معراجه نعم، وإن كانت المنّة في تخلص القلب مما سواه مشهودة، فالهداية بإحراق البداية ومكابدة النفس في الكتاب والسنة معهودة، وأرواح المجاهدين المكابدين بأرواح القرب والرضوان ممدودة.

فلو بذلتم الهمة في رفع المانع من شهود الحضرات الجمالية بماء الامتثال المطلق عن التقييد بقيد يلازم النفس الأبية أو الروح الكمالية.

ونهضتهم إلى الوقوف في محراب محاربة الهوى بشهود المعية الألمعية الجلالية.

وجردتم فعلكم المضارع كما عليه أرباب السمو عن مطلوب الروح الناصب، ومرغوب النفس الجازم، وأعطيتموه عقد من مدلوله الملازم لاندرجتم بذلك مرفوعات الأسماء في المقام الأسمى.

وعولتم على الفعل المتعدي لا اللازم فالقصور غير منصور كلا والله، ولا التقصير عند أرباب الهمم العالية والمقاصد الغالية من كل عازم حازم جازم، فما كان ظني ظنكم ببذل الروح في طلب المعاني فضلاً عن الأشباح، وكيف وإنفاقها على الغوالي هو الإنفاق الذي بالاتفاق ما فيه جناح.

وها هو ليل نيل وصل الملاح، أذن بطلوع فجره، وأذن مناديهم يناديهم حي على الفلاح.

فالسعيد البعيد عن الأكوان القريب من المعيد الذي كل يوم هو في شأن، الغريب عن الأوطان، والأهل، والأصحاب، والإخوان الذي أثار نار المجاهدة بأنفاس شوقه، وأثار آثار الأغيار بعظيم نظيم أحواله وتوقه، وأنار أودية الفؤاد بواردات الأوراد وصحيح ذوقه، وما الفتى إلا من فرح بربه، وما برح، وما فتئ عن بره، وقُربه، وقرُبه، وشاهد الأشياء كالأفياء، وليس قيامها إلا بالوجود الحق، والحق في ذلك يسير به، ولبس ملابس الجود، وجاد بالموجود، وحاد عن كل الوجود، وحان وما خان العهود إلى اليوم الموعود، وتم له الهنا بامتلاء كأس المنى، وشربه.

والإمام من أمَّ أتم المقاصد، وثبتت منه الأقدام، وكل ما رام المقام بمقام نادته هواتف حقيقته المطلقة أمام: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢].

لكـــل شـــيء إذا فارقته عَوض ولَـــيس لله إن فارقـــت من عـــوض

من طلب الله وجده، ومن وجده ما فقد شيئًا.

والضد بالضد، والجد بالجد، والجد أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكوّن؛ فإن شاهدته كانت الأكوان معك.

والفرق أظهر من شمس وسط النهار كلما خرجت عنك زاد اليقين منك.

«كان الله ولا شيء معه؛ والآن على ما عليه كان[١]**»**، الباقي وكل من عليها فان:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل [٢]

فيسمع ذلك النداء سماع قبول، ويوجه وجه قلبه إلى حضرة ربه لم يحط الرحال إلا في محط الرجال، ويدخل حضرة قدسه، ويتمتع بلذة أنسه.

ويدرك من حضرات الأسماء والصفات جميع المرام، فحينئذ يقتدى بأفعاله، ويهتدى بأقواله، ويستمد من أحواله، فهو الهمام ذو الهيام؛ حيث عَلَت على الأكوان منه الهمة، وعاين الخلق بالحق، وسار بالذل والانكسار.

وصار بذلك بين الناس أمة، وحلَّ في نظر مولاه حين حلَّ جنة رضاه، وبالحسنى تولاه.

واستمد منه جميع من أمه من الأمة، وتطيب بطيب الرجال الذي خفي لونه عن العيون، وظهر لدى أرباب الحال سره المكنون، فهو وإن جهل فبين العامة معروف، لدى الخواص بمزيد الاختصاص، ومزيل الغيون، وترك طيب القواعد من النساء اللاتي جهلن

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (٦/٣٦٣)، وابن حبان في الصحيح (١٤/٨) بنحوه، وقال الشيخ الشعراني: معناه أن الذات المتعاليةلم تَتزيَّد عمَّا كانت عليه بوجود شخصية الخلق، بل جميع الوجود مظاهرٌ للذات، ففي حال عدم خَلْقِه يكون التجلي في الاسم الباطن، وفي حال وجودهم يكون التجلي بالاسم الظاهر، وهو تعالى ظاهرٌ لنفسه، باطنٌ في نفسه؛ إذ ليس في الوجود حقيقة إلا إياه، والمدرك من الكثرة مظاهره وشئونه.

واعلم يا أخي أن تجلي الحق تعالى دائمًا إنما هو بالجلال الممزوج بالجمال؛ لأنه لو تجلى بالجلال الصرف لأفنى الوجود المقيد، وهذا التجلي الممزوج هو الذي ينـــزل فيه إلى سماء الدنيا كل ليلة، ثم لا يكون ذلك إلا في صورة الكامل، ومن هنا قال الشبلي: ما في الجـــبة إلا الله؛ إذ كان كاملَ عصره.

ولا إشكال في ذلك؛ لأن المعنى ما في الوجود إلا الله، كما لو قلت: ما في المرآة إلا من تجلَّى فيها لصدقت، مع علمك أنه ما في المرآة شيءٌ أصلاً مما تجلى فيها. وانظر: الميزان الذرية المبينة لعقائد الفرقة العلية (ص٨٨) بتحقيقنا.

(٢) رواه البخاري (٤/١٧٦٨)، ومسلم (٤/١٧٦٨).

جهلهن، وأظهرن سرهن، ولم يفرقن بين الصباح والمساء، وعضل منهن الداء، وتحير في تدائهن الماهرون من الأسي؛ لتمتعهن بما خفي ريحه، وعرف لونه بالظهور، وذلك أدنى حال؛ لأنه كما قيل: يقصم الظهور، ويقوي النفوس على الوقوع في المهالك والظلمات الحوالك، المانعة من دخول حضرة مالك الممالك، ويضعف القلب عن استعمال الطهور.

فيا أهل الوداد الطالبين نيل المراد الأمر لا يتم إلا بخلع تعلي الكونين ومباينة العباد والوقوف على الأصول المؤذن بالوصول، ومداومة الأوراد، أثناء الليل، وأطراف النهار مع مراعات الشروط، والآداب، والغيبة عن جميع الأغيار.

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف:٢٤]، ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح:٧، ٨].

فمدار الأمر عند رجال هذا المجال على واردات الأوراد التي تنتج حسن الأحوال، ولكن لا تكون إلا بالجد والاجتهاد، وأصل تطهير القلوب من ران الذنوب ذكر علاّم الغيوب على الوجه المطلوب فبه يُرفع النقاب، ويُكشف الحجاب، وتُعرف الأحباب مع ملاحظة ما يدل عليه قوله: ((**أنا جليس مَنْ ذكرني**[1])).

ولا شرف أعظم من هذا فشمر، وأرحمكم الله عن ساعدي الجد والاجتهاد، واتركوا ذي اللوم وهذيان من هاذا، ودعوا الوقوف مع فرائد السطور، ورغوا ما يوجب الحتوف من قلائد الظهور، وسارعوا إلى ما يذهب البين، ويزيل نقط الغين عن العين.

فينكشف للقلب ما هو عنه من علوم الغيب مستور فوالله لا علم إلا ما تفجر من ينابيع الحكمة في أرض القلوب عن حضرات الأسماء والصفات بالإخلاص.

وهو الذي أشار إليه ﷺ بقوله: ((**إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا العلماء بالله**[2]))[3].

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/٢١٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (١/١٠٨).

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (١/٢١٠).

(٣) قال الشيخ الكتاني رحمه الله في جلاء القلوب (١/١٥١) بتحقيقنا: قلت: وحديث: إن من العلم، أخرجه الطيبي في «ترغيبه» من طريق عبد السلام بن صالح وهو أبو الصلت الهروي قال: حدثنا سفيان ابن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة فذكره. وذكره المنذري في «الترغيب» في كتاب العلم، مصدرًا له يروي ومن قاعدته أنه لا يصدر بها إلا الحديث الضعيف أو الواهي الذي لا يتطرق إليه احتمال التحسين، وأورده القطب القسطلاني في كتاب له في التصوف وقال: إن له شاهدًا من مرسل سعيد بن المسيب. وقال الشيخ الأكبر في «فتوحاته» في الباب الرابع والخمسين وثلاثمائة بعد أن أورده فيها بلفظ: «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العالمون بالله، فإذا

وقد عَوَّلت عليه الأكابر، وتمتعت به أرواح الخواص الذين تخلصوا بالموت الاختياري من سجن النفوس، وضيق الأقفاص، وخرجوا إلى فضاء التفويض والخروج عن المراد، وشاهدوا قيام الأشياء به حق يقين وسلموا له القياد، وفني مرادهم في مراده، ومشيئتهم في مشيئته فلا يشاءون إلا ما شاء، ولا يريدون إلا ما أراد، وهذا هو المقصود عندهم بالاتحاد[1].

نطقوا به لم ينكره عليهم إلا أهل الغرة بالله». هذا من طريق الكشف عند أهله حديث صحيح مجمع عليه عندهم خاصة، عرفوه وتحققوه. قلت: وهو في شرح المشاهد القدسية لست عجم بنت النفيس (بتحقيقنا).

(١) قال الشيخ الشعراني: ما بقي أحدٌ من الخلق إلا قال بالاتحاد، فما سلم منه أحدٌ، لا سيَّما العلماء بالله الذين علموا الأمر على ما هو عليه من شدة الوصلة والقرب، كما أنشد بعضهم:

عَجِبْتُ مِنْكَ ومِنِّي … أشْغَلْتَنِي بِكَ عَنِّي
أدْنَيْتَنِي مِنْكَ حَتَّى … ظَنَنْتُ أنَّكَ أنِّي

لكن منهم من قال به عن أمرٍ إلهيٍّ.

ومنهم: من قال به بما أعطاه الوقت والحال.

ومنهم: من قال به ولا يعلم أنه قال به، فهم مختلفون في الأحوال.

وقد أحال الاتحاد أصحاب النظر العقلي؛ لأن عندهم تصير الذاتين ذاتًا واحدةً، وذلك محالٌ في العقل.

وأما أصحاب الكشف فإنما قالوا به؛ لأنهم يرون ذاتًا واحدةً لا ذاتين، ويجعلون الاختلاف في النسب والوجوه، والعين واحدةٌ في الوجود، والنسب عدميَّةٌ.

وفيها (يعني النسب) وقع الاختلاف، فإن الذات الواحدة تقبل الضدين من نسبتين مختلفتين، كما قال تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

وقال ﷺ: «إنَّه القائلُ على لسان عبده: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ».

وقال النبيُّ ﷺ في الحديث القدسيِّ: «فإذَا أحببْتُه كُنْتُ سَمْعَهُ وبصرَه ولسانه ويدَه ورجلَه»، وغير ذلك قولاً شافيًا؛ لأنه ذكر أحكامها.

فقال: «سَمعَهُ الذي يسمعُ بِهِ، وبصرَه الذي يُبْصِرُ بِهِ، ويدَه التي يَبطشُ بِهَا، ورجلَه التي يمشي بِهَا».

ومعلومٌ أنه بسمعه يسمع، أو بذاته يسمع، وعلى كل حالٍ فقد جعل الحق هويته عين سمع عبده وبصره، ويده، ورجله، فإما يريد ذات العبد، وإما صفته، وإما نسبته.

فهذا هو قول الحق الذي لا يمترى فيه أصحاب العقول.

فمن اتحاد الملك قوله مع علمه بذلك:

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة:٣٠]، فأضاف فعل التسبيح لنفسه.
والرسول كذلك يقول: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦ﴾ [المائدة:١١٧].
ومن الناس مَنْ يقول: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ [النازعات:١٠].
فأضافوا القول لأنفسهم.
والسموات والأرض والجبال تأبى، وتشفق من حمل الأمانة، وتقول:
﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١١]، وتضيف الإتيان لنفسها.
فما في العالم إلا من نسب الفعل إلى نفسه دون الله مع علم العلماء بالله أن الفعل لله لا لغيره؛ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات:٩٦].
وغرَّ الناس كون الحق تعالى أضاف العمل والقول لهم، وفاتهم أن الإضافة سائغةٌ من نسبتين مختلفتين، فالله تعالى خالق العمل وموجده والعبد مظهره؛ إذ كان العمل لا يظهر إلا في جسم.
فمن إضافته تعالى الأمر حكاية قول الهدهد لسليمان عليه السلام: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل:٢٢]، يعني من العلم.
وقالت نملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل:١٨].
وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ [النور:٢٤].
وقال عن الجلود: ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت:٢١].
وقال: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء:٤٤].
فما ترك شيئًا من المخلوقات إلا وأضاف الفعل إليه.
وهذا المقام لا يُمكِّن لمن دخله أن يرأس عليه أحدٌ من جنسه، ولا أحدٌ من المخلوقين؛ فإن الأمر واحدٌ في نفسه، والواحد لا يرأس على نفسه.
وهو مقامٌ عزيزٌ، العالم كله واقعٌ فيه، ولا يعلمه إلا أهل الشهود، ولكن من الأولياء من ستر الاتحاد بألفاظٍ لا يفهمها إلا الأكابر.
ومنهم: من كشف ذلك لحالٍ غلب عليه.
فمن ستر ذلك سيدي علي وفا رضي الله عنه، فقال مخرجًا ذلك في قالب لسان الحق تعالى:

إنْ كنتَ تنظرُ في المراتبِ صورتي ... فأنا الذي لكَ في المشاهدِ شاهدٌ
وإذا نظرتَ على الحقيقةِ ذاتنا ... فأنا وأنتَ هناكَ شيءٌ واحدٌ

وقال عفا الله عنه:

إذا ما كانَ قصدُكَ عينَ قصدِي ... فذاكَ دليلُ صدقِكَ في الودادِ
وعلمُكَ أنَّ كلَّ الأمرِ أمري ... هو المعنى المسمَّى باتحادِ

وقال رحمه الله:

هو أولٌ وهو آخرٌ   وهو باطنٌ وهو ظاهرٌ
وهو غيرٌ ومغايرٌ   وهو مشهودٌ وشاهدٌ
واحدٌ في كلِّ حالٍ   يتجلّى بمثالٍ
متدانٍ متعالٍ   صَدَرتْ عنهُ مواردٌ

وقال ؓ:

قالَ لي كلُّ التمنّي   أنتَ هو المعبّرُ عنّي
يا عليُّ أنتَ سالي   أنتَ أرضى أنتَ شاني
قلْ وطُلْ لا تتكتّمْ   بُحْ وصرِّحْ لا تُكنّي
أنتَ بيتي أنتَ عرشي   أنتَ فرشي أنتَ أنّي

وقال أيضًا ؓ:

ذواتُنا وجودُهْ   وغيبُنا شهودُهْ
غيبٌ ونحنُ عينُهْ   مرادُه مريدُهْ
فالكلُّ نحنُ يا فتى   لأنّنا جنودُهْ
والكلُّ هو بلا مراء   إن أطلقتَ قيودُهْ
ما ثَمَّ إلا واحدٌ   عددُه معدودُهْ

ومن كشف ذلك سيدي عمر بن الفارض ؓ. فقامت عليه القيامة فقال:

وفي الصحو بعدَ المحوِ لمْ أكُ غيرَها   وذاتي بذاتي إذْ تحلّتْ تجلّتِ
جَلَتْ في تجلّيها الوجودَ لناظري   ففي كلِّ مرئيٍّ أراها برؤيتي
فوصفي إذا لمْ تُدْعَ باثنينِ وصفُها   وهيئتُها إذْ واحدٌ نحنُ هيئتي
فإذا دُعيتْ كنتُ المُجيبَ وإنْ أكنْ   منادًا أجابتْ مَنْ دعاني ولبّتِ
وإنْ نطقتْ كنتُ المناجي كذاكَ إنْ   قصصْتُ حديثًا إنّما هي قصّتِ
وقدْ رُفعتْ تاءُ المخاطبِ بيننا   وفي رفعِها عنْ فرقةِ الفرقِ رفعتي
فإنْ لم يُجوّزْ رؤيةُ اثنينِ واحدًا   حِجاكَ ولم يثبتْ لبُعدٍ تثبُّتِ
سأجلو إشاراتٍ عليكَ خفيّةً   بها كعباراتٍ لديكَ جليّةِ

أولئك الذين هداهم الله، فبهداهم اقتده، وأولئك هم أولوا الألباب.

وفي هذا القدر كفاية لمن أدركته العناية من أرباب الدراية: **﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾**[عبس: ١١، ١٢] **﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ**

وأثبتُّ بالبرهانِ قولي ضاربًا	مثالَ محقٍّ والحقيقةُ عُمْدَتي
بمتبوعةٍ يُنبيكَ في الصَّرْعِ غيرُها	عَلَى فمِهَا في مَسِّهَا حيثُ جُنَّتِ
ومِنْ لغةٍ تُبْدُو بغيرِ لِسانِهَا	عَلَيْهِ براهينُ الأدلةِ صَحَّتِ
وفي العلمِ حقًّا إنَّ مبدًا غريبَ ما	سمعتُ سِواهَا وهي في الحسنِ أبدَتِ
فلو واحدًا أمسيتَ أصبحتَ واجدًا	مُنازلةً ما قلته عَنْ حقيقةِ
ولكنْ عَلَى الشركِ الخفيِّ عكفتُ لو	عرفتَ بنفسي عَنْ هُدَى الحقِّ ضلَّتِ
كَذَا كنتُ حينًا قَبْلَ أن يُكشفَ الغطَاءَ	مِنَ اللبْسِ لا أنفَكُّ عَنْ ثَنَوِيَّةِ
أروحُ بفقدٍ بالشهودِ مؤلِّفي	وأغدو بوجدٍ بالوجودِ مُشَتِّتِي
يفرِّقني لُبِّي التزامًا بمَحضري	ويجمعني سلبي اصطلامًا بغيبتي
أخالُ حضيضَ الصحوِ والسكرِ معرجي	إليها ومحوي منتهى قَابِ سدرتي
فلو جلوتَ الغينَ عنّي اجتَلَيْتَنِي	مفيقًا ومنِّي العينُ بالعينِ قَرَّتِ
فمن بعدما جَاهدتُ شاهدتُ مَشْهَدِي	وهَادِي لي إيَّاي بَلْ بِي قدْوَتي
وبي موقفي لا بَلْ إليَّ توجُّهي	ولكنْ صَلاتِي لي ومنِّي كَعْبَتي
ففارقْ ضَلالَ الفرقِ فالجمعُ منتجٌ	هدى فرقةٍ بالاتحادِ تحدَّتِ

إلى آخر ما ذكر رحمه الله تعالى.

وأما التستري رحمه الله: فله في ذلك النظم الكثير. بل كل أشعاره في الاتحاد فمنه قوله:

إيَّاكَ لا تنظرِ اثنين	لا تتبعِ الغَلَطَ أنتَ هو فقطْ
فَلَيْسَ ثَمَّ سِوَى فردٍ بعينِه	عينُ الكثيرِ فلا تلوي على أحدْ

وعندي أن هؤلاء القائلين بالاتحاد كلهم لم يصحُّ لهم اتحادٌ قطُّ إلا بالوهم.

وانظر كلامهم تجده من أوله إلى آخره لا يبرح من الثنوية؛ فإنه لا بدَّ من مخاطِبٍ ومخاطَب.

وتأمَّل قول التستري: (إيَّاك لا تنظر اثنين) فنفس قوله: (إيَّاك) يقتضي الثنوية، ويحكم عليه بها، ولذلك ذهبنا إلى خلافهم، وغاية أحدهم أن يقول أحدهم: (أنا هو)، فمدلول (أنا) خلاف (هو)؛ فتأمَّل.

الْمَغْفِرَةِ﴾[المدثر:٥٦].

وصلّى الله على سيدنا محمد الذي نور حبه للقلوب مطهرة.

وعلى آله وأصحابه الكرام البررة آمين آمين، سبحان ربك رب المغفرة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

تمت هذه المراسلة بحمد الله وعونه

حاشية الشيخ حسن رضوان

على

الوصية الجليَّة للسالكين طريقة الخلوتية

لسيدي مصطفى البكري الخلوتي

نماذج من صور المخطوط

٢٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الإعانة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فقد كتب جناب
أستاذنا أيده الله تعالى بهامش نسخته الوصية
الجلية للسالكين طريقة الخلوتية على بعض كلمات
حواشي منها قوله عند قوله فيها فإن من سلك
بغير دليل تاه وربما هلك مع الهالكين قال
الشيخ أيده الله تعالى بتوفيقه وعرفه طريق تحقيقه
وتمزيقه بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله
العظيم والصلاة والتسليم على صاحب الخلق العظيم
وعلى آله وأصحابه أهل المجد والتكريم والتابعين
لهم بإحسان إلى يوم الدين في كل وقت وحين
الدليل باب موصل إلى المدلول عليه قال تعالى وأتوا
البيوت من أبوابها فالأبواب هنا الأساتذة فمن
رام سلوك الطريق بنفسه فقد غشها قال بعضهم
لأن تكون تحت حكم هرة خير لك من أن تكون تحت حكم
نفسك فمن لم يخرج عن موافقة نفسه في هواها فأزكاها
ولا يأمن غوائل نفسه إلا جهول ولا يركن إليها إلا من على
الرد مجبول بعد ما سمع قول الحق جل وعلا إن النفس
لأمارة بالسوء وقوله صلى الله عليه وسلم ليس عدوك
الذي يقتلك فيدخلك الله به الجنة وإن قتلته كان
ذلك دورا ولكن أعدا الأعداء نفسك التي بين جنبيك فإذا
رمت الخلاص من دسائسها والنجاة من حبائلها

صورة الصفحة الأولى من حاشية الشيخ حسن رضوان

وبه الإعانة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فقد كتب جناب أستاذنا أيده الله تعالى بهامش نسخته **الوصية الجلية للسالكين طريقة الخلوتية**[1] على بعض كلمات حواشي منها قوله عند قوله فيها:

(فإن مَنْ سلك بغير دليلٍ تاه وربما هلك مع الهالكين)

قال الشيخ أيده الله تعالى بتوفيقه، وعرَّفه طريق سحقه ومزيقه:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله العظيم والصلاة والتسليم على صاحب الخلق العظيم، وعلى آله وأصحابه أهل المجد، والتكريم، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين في كل وقتٍ وحين الدليل باب موصل إلى المدلول عليه.

قال تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة:١٨٩] فالأبواب هنا: الأساتذة فمن رام سلوك الطريق بنفسه فقد غشَّها.

قال بعضهم: لأن تكون تحت حُكم هرة خير لك من أن تكون تحت حكم نفسك، فمن لم يخرج عن موافقة نفسه في هواها فما زكاها، ولا يأمن غوائل نفسه إلا جهول، ولا يركن إليها إلا من على الردى مجبول بعدما سمع قول الحق جلَّ وعلا:

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف:٥٣].

وقوله ﷺ ((**ليس عدوك الذي يقتلك فيدخلك الله به الجنة، وإن قتلته كان ذلك دورًا، ولكن أعد الأعداء نفسك التي بين جنبيك**[2])).

فإذا رمت الخلاص من دسائسها، والنجاة من خبائسها، فاتخذ خلافها سبيلاً[3]،

---

(١) **لسيدنا الشيخ مصطفى البكري الخلوتي قدس الله سره العزيز. وقد وضع الشيخ حسن رضوان حاشيته عليه، وقمنا بالتعليق قدر المستطاع حتى تعم الفائدة إن شاء الله.**

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (٤٠٨/٣)، والبيهقي في الزهد الكبير (١٥٧/٢)، وذكره المناوي في فيض القدير (٣٨٥/٥)، والعجلوني في كشف الخفا (١٤٨/١).

(٣) **فائدة عظيمة:** قال سيدي مصطفى البكري الخلوتي: واعلم أن النفس مشتقة من المنافسة وهي المنازعة؛ لأن التنافس تفاعل، فلابد لها من رؤية وجود ودعوى مع موجدها، فتحتاج إلى علاج

ودواء.

لقد جاء في بعض الأخبار وإن كان ليس بالقوي عند الأخيار أن الله تعالى خلق الدنيا وأوجدها، وقال لها: من أنا؟ قالت له مجيبة: أنت الله الأحد. وخلق النفس فقال لها: من أنا؟ فقالت له: من أنا؟ فنوّع لها العذاب، فلم تذعن حتى ألقاها في بحر الجوع كذا كذا سنة، فأقرت له بالوحدانية، واعترفت بالعبودية، فمن هنا وجب الجهاد فيها ليردها صاحبها إلى الإقرار بظواهرها وخوافيها، قال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج:٧٨].

قال عبد الله بن المبارك: هو مجاهدة النفس والهوى، وذلك حق الجهاد، وهو الجهاد الأكبر على ما روي في الخبر: أن رسول الله ﷺ قال حين رجع من بعض غزواته: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**».

وقال الحسن قدّس الله سرّه في قوله: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد:١١]: هي والله عقبة شديدة مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان.

وعن سهل بن عبد الله رضي الله عنه: يقول الله تعالى: «**ما خلقت خلقًا ينازعني في ملكي غير النفس، فإذا أردت رضائي فخالفها**».

وفي الحديث: «**أعدى أعدائك إليك نفسك التي بين جنبيك**» رواه البيهقي.

وقال أبو عثمان المغربي رحمه الله تعالى: ابتلى الله الخلق بتسعة أمشاج كل واحد يطلب ضد ما يطلب الآخر: ثلاثٌ مفتنات، وثلاثٌ كافراتٌ، وثلاثٌ مؤمناتٌ، فالثلاثة المفتنات: السمع والبصر واللسان، والثلاث الكافرات: النفس والهوى والشيطان، والثلاث المؤمنات: الروح والعقل والملك اهـ.

وإذا ثبت كفرها وجب الجهاد فيها؛ قال الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣].

قال سيدي محيي الدين قدّس الله سرّه في كتابه روح القدس في مناصحة النفس بعدما ذكر الآية: وأقرب عدوٍّ لك وأعداه عليك نفسك التي بين جنبيك، فيها شغل شاغل للعاقل اهـ.

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

قال القشيري قدّس الله سرّه في باب مخالفة النفس: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال: أنبأني أحمد بن عبيد، قال: أخبرنا تمام قال: أخبرنا محمد بن معاوية النيسابوري قال: أخبرنا علي بن عتبة بن أبي لهب عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أخوف ما أخاف على أمتي اتباع الهوى وطول الأمل؛ فأمّا اتباع الهوى فيصدُّ عن الحقّ، وأما طولُ الأمل فيُنسي الآخرة**».

واعلم أن مخالفة النفس رأس العبادة، وقد سُئل المشايخ عن مجاهدة النفس، فقالوا: ذبح النفس بسيوف المخالفة.

واعلم أن من نجمت طوارق نفسه أفلت شوارق أُنسه.

قلت: وفي الحديث عن صاحب القدر المنيف: «**المجاهد من جاهد نفسه في الله**» رواه الترمذي، وقال: حسنٌ صحيحٌ، وابن حبان، والعسكري في الأمثال عن فضالة بن عبيد.

وعن الصديق الأكبر ﷺ: «**مَنْ مقتَ نفسه في ذات الله أمّنه الله من مقته**» رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس عن قولي أبي بكر ذكره في الجامع الكبير.

وقال ذو النون المصري: مفتاح العبادة الفكرة، وعلامة الإصابة مخالفة الهوى والنفس، ومخالفتهما ترك شهواتها.

وقال ابن عطاء: النفس مجبولةٌ على سوء الأدب، والعبد مأمورٌ بملازمة الأدب، فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة، والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة، فمن أطلق عنانها فهو شريكها معها في فسادها.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عمر الأنماطي يقول: سمعت الجنيد رحمه الله تعالى يقول: النفس الأمارة بالسوء هي الداعية إلى المهالك المعينة للأعداء، المتبعة للهوى، المتهمة لأصناف الأسواء.

وقال أبو حفص: من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أيامه كان مغرورًا، ومن نظر إليها باستحسان شيءٍ منها فقد أهلكها، وكيف يصحّ لعاقلٍ الرضا عن نفسه، والكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يقول: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾ [يوسف:٥٣].

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت إبراهيم بن مقسم ببغداد يقول: سمعت بن عطاء يقول: إن الجنيد رحمه الله يقول: أرقت ذات ليلة، فقمت إلى وردي، فلم أجد ما كنت أجده من الحلاوة، فأردت أن أنام، فلم أقدر عليه، فقعدت فلم أطقْ القعود، ففتحت الباب، وخرجت، فإذا رجلٌ ملتفٌ بعباءةٍ مطروحٌ على الطريق، فلما أحسّ بي رفع رأسه، وقال: يا أبا القاسم إليَّ الساعة، فقلت: يا سيدي من غير وعدٍ؟ فقال: بلى، إني سألت محرك القلوب أن يحرك قلبك، فقلت: قد فعل، فما حاجتك؟ فقال: متى يصير داء النفس دواءها، فقلت: إذا خالفت النفس هواها صار داءها دواءها، فأقبل على نفسه وقال: اسمعي قد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات، فأبيت ألا تسمعه من الجنيد، فقد سمعت، وانصرف عني، ولم أعرفه، ولم أقف عليه بعد.

وقال أبو بكر الطمستاني رحمه الله: النعمة العظمى الخروج عن النفس؛ لأن النفس أعظم حجابٌ بينك وبين الله تعالى.

وقال سهل بن عبد الله ﷺ: ما عُبِد الله بشيءٍ مثل مخالفة النفس والهوى.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا عمر الأنماطي يقول: سمعت ابن عطاء وقد سُئل عن أقرب شيءٍ إلى مقت الله؟ فقال: أقرب شيءٍ إلى مقت الله رؤية النفس وأحوالها، وأشد من ذلك مطالعة الأغراض على أفعالها.

وسمعته يقول: سمعت الحسين بن يحيى يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت إبراهيم الخواص يقول: كنت في جبل اللكام فرأيت رمانًا، فاشتهيته، فدنوت فأخذت منه واحدةً،

فشققتها فوجدتها حامضةً، فمضيتُ وتركت الرمان، فوجدت رجلاً مطروحًا قد اجتمعت عليه الزنابير، فقلت: السلام عليك. فقال: وعليك السلام يا إبراهيم. فقلت: كيف عرفتني؟ فقال: من عــرف الله لا يخفى عليه شيءٌ. فقلت: أرى لك حالاً مع الله، فلو سألته أن يحميك ويقيك من الأذى من هذه الزنابير. فقال: وأنا أرى لك حالاً مع الله، فلو سألته أن يقيك شهوة الرمان؛ فإن لدغ الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة، ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا. فتركته، ومضيت.

وحكــى إبراهيم بن شيبان: أنه قال: ما بتُّ تحت سقف ولا في موضع عليه غلقٌ أربعين سنة، وكنت أشتهي في أوقات أن أتناول شبعة من عدسٍ، فلم يتفق لي، فكنت وقتًا بالشام وحُمل إليَّ غــضارةٌ فيها عدسٌ، فتناولت منه، وخرجت، فرأيت قوارير معلقة فيها شيءٌ يشبه أنموذجات، فظننته خلاً، فقال لي بعض الناس: إيش تنظر، هذه أنموذجات الخمر، وهذه الدِّنان خمرٌ. فقلت: لــزمني فرضٌ، فدخلت حانوت الخمار، ولم أزل أصبُّ تلك الدِّنان، وهو يتوهم أني أصبها بأمر الــسلطان، فلمــا علم حملني إلى ابن طولون وزير مصر فأمر بضربي مائتي خشبة، وطرحني في الــسجن، وبقيت مدة حتى دخل أبو عبد الله المغربي أستاذ ذلك البلد فشفع لي، فلما وقع بصره عليَّ قال: إيش فعلت. فقلت: شبعة عدسٍ ومائتي خشبة. فقال: نجوت مجانًا: أي بلا بدلٍ.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت الجنيد رحمه الله يقول: سمعت السرِّي يقول: إن نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنةً أو أربعين سنةً أن أغمِّس جزرة في دبس، فما أطعمتها.

وسمعته يقول: سمعت جدي يقول: آفة العبد رضاه عن نفسه بما هو فيه.

وسمعــته يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت الحسين بن علي القرمسيني يقول: وجّــه عصام بن يوسف البلخي شيئًا إلى حاتم الأصم، فقبله، فقيل له في ذلك: لِمَ قبلته؟ فقال: وجدت في أخذي له ذلِّي وعزّه، وفي رده عزِّي وذلّه، فاخترت عزه على عزِّي وذلِّي على ذلّه.

وقــيل لبعضهم: إني أريد أن أحجَّ على التجريد. فقال: جرد قلبك أولاً عن السهو ولسانك عن اللغو، ثم اسلك حيث شئت.

وقــال أبــو سليمان الداراني رحمه الله: من أحسن في نهاره كوفئ في ليله، ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره، ومن صدق في ترك شهوةٍ كفي مؤنتها، والله أكرم من أن يعذّب قلبًا ترك شهوة لأجله.

وأوحــى الله إلى داود ﷺ: «**يــا داود حــذِّر وأنذرْ أصحابك أكل الشهوات؛ فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنِّي محجوبةٌ**».

ورؤي رجلاً جالسًا في الهوى. فقيل له: لِمَ نلت هذه؟ فقال: تركت الهوى، فسخَّر لي الهواء.

وقــيل: لو عرض على المؤمن ألف شهوة لأخرجها بالخوف، ولو عرض للفاجر شهوةٌ واحدةٌ لأخرجته من الخوف.

وقيل: لا تضع زمامك في يد الهوى؛ فإنه يقودك إلى الظلمة.

وقال يوسف بن أسباط: لا يمحو الشهوات من القلب إلا خوفٌ مزعجٌ أو شوقٌ مقلقٌ.

وقال الخوّاص: من ترك شهوة فلم يجد عوضها في قلبه فهو كاذب في تركها.

وقال جعفر بن نصير: دفع إليّ الجنيد درهمًا، وقال: اشتر به التين الوزيري. فاشتريته، فلما أفطر أخذ واحدةً، ووضعها في فيه، ثم ألقاها، وبكى، وقال: احمله. فقلت له في ذلك، فقال: هتف في قلبي هاتفٌ: أما تستحي شهوةً تركتها من أجلي تعودُ إليها.

واعلم أن للنفس أخلاقًا ذميمةً، فمن ذلك الحسد، وقد قيل: ما على جسد من جسد فساد، بل لابد أن يتلف ويدركه فسادٌ.

وفي كتاب منازل القاصدين للحكيم الترمذي ﷺ: قال عيسى ﷺ: يا بني إسرائيل أجيعوا أنفسكم وأخلوها وعروها؛ لعل قلوبكم ترى الله ﷻ، وقال نبينا محمد ﷺ لأصحابه: «ما **تقولون في صاحبٍ إن أنتم أكرمتموه وأسقيتموه وكسوتموه أفضى بكم إلى شرِّ غاية، وإن أنتم أهنتموه وأجعتموه وأظمأتموه أفضى بكم إلى خيرِ غاية؟ قالوا: يا رسول الله، هذا شرُّ صاحبٍ في الأرض. قال: فوالذي نفسي بيده إنها لأنفسكم التي بين جنوبكم**»، حدثنا بذلك محمد بن سهل: حدثنا عمر ابن منصور القيسي: حدثنا عبد الواحد بن زيد عن الحسن عن النبي ﷺ.

اعلم أن الموتات أربعة:

موت أحمر: وهو مخالفة النفس.

وأبيض: وهو الجوع؛ لأنه ينوّر الباطن، ويبيّض وجه القلب، فمن ماتت بطنته حييت فطنته.

والأصفر: وهو لبس المرقعات من الخرق التي ليس لها قيمة لاصفرار عيش لابسها بالقناعة.

والأسود: وهو احتمال الأذى وكفه.

وهذه الموتات تنشأ عن فناء النفس: أي محو صفاتها الذميمة وبقاء الصفات الحميدة، وهل تموت النفس بالمجاهدة والمكابدة فيها، أو تضعف، أو تملك، فتكون مقهورةً مأسورة تحت حكم صاحبها، بعدما كانت حاكمةً وذليلةً، بعدما كانت عزيزة وخادمة للروح بعد استخدامها لها؛ ويكون التعبير بالموت: أي موتها عن مراداتها، وكذلك الضعف: أي قلة شهواتها، وملكها: أي الحكم فيها، وانقيادها وطاعتها بعد نفورها وتجافيها، هذا ما عوّل عليه الأكابر.

وأما انسلاخها عمّا كان جبلّيًا في نشأتها بالرياضة فغير ممكنٍ، لكنها متى ضعفت وانقادت واستسلمت وملك عنانها صاحبها قادها إلى المراضي قهرًا، ولكن يلزمه المجاهدة فيها دهرًا؛ فإنه متى غفل عنها وطلب الراحة عادت على ما كانت عليه، وفلتت منه بعد دخولها في الراحة؛ فاطفِ سراج آمالها العرضي الأرضي، وأوقدْ لها سراج مطلوبها الأصلي السماوي المرضي.

واحذر أن تكون ممن أمن نفسه فطاب له في سجنها حبسه، وممن نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فتكون من الفاسقين: أي الخالدين عن دائرة الحق إلى دائرة الباطل؛ فإن أصل الفسق الخروج عن القصد.

قال رؤبة: فواسق عن قصدها جوائر، ويقال: فسقت البيضة إذا مذرت، والرطبة إذا خرجت من قشرها، واجهد ألا توافقها في شهوةٍ تطلبها منك، فجاهد فيها.

وقد كان سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب ﷺ وكرَّم وجهه يقول: من لم يُسخطْ نفسه في شهواتها لم يرضِ ربَّه في طاعته.

وقال بعضهم: مادامت النفس حيةً تسعى فهي حيةٌ تسعى: أي مادامت ساعيةً في مقاصدها فهي داعيةٌ إلى الهلاك راصدها.

ونقل الشيخ تقي الدين الحصني الكبير رحمه الله في بعض مؤلفاته فقال: قد رأيت منقولاً أن في الآدمي ثلاثين وصفًا دنيةً، والنفس الأمَّارة بالسوء تدعو إلى الوقوع في جميعها.

قال: وسمعت من بعض المشايخ يقول: إنها خمسون ألف وصف رويٍ، ولا مخلص منها إلا كما قال الله: ﴿إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف:٥٣]، ومعنى الآية: إلا من عصمه ربه.

وقد قيل: لا يدرك الشخص حقيقة الإيمان إلا بذبح النفس بسيوف المخالفة؛ وذلك لأن النفس بطبعها ميَّالة إلى المهالك والمعاطب، والأمر الفصل في حقها أن الشخص لا يتخلص من شؤمها إلا بطعنها بأسنة المخالفة، حتى يثخنها جراحًا، ولا يفترّ عن ذلك؛ فإنه مهما كان لك حركة لا يؤمن عليك منها؛ فدسيسةٌ واحدةٌ تقتلك وأنت لا تشعر.

وروى ضمرة بن شداد بن أوس أن النبي ﷺ قال: «**الكَيِّسُ من دان نفسَه وعَمِلَ لما بعد الموتِ، والعاجزُ من أتبع نفسَه هواها وتمنى على الله**».

وعنه ﷺ: «**ثلاثٌ مهلكاتٌ: شحٌ مطاعٌ، وهوًى متبعٌ، وإعجابُ المرءِ بنفسِه**».

وقال مطر القاري رحمه الله: لنحت الجبال بالأظافر حتى تنقطع الأوصال أهون من مخالفة الهوى إذا تمكن في النفس.

وروي أن موسى ﷺ قال: يا ربِّ متى تكون لي؟ قال: إذا لم تكن لنفسك. قال: متى لا أكون لنفسي؟ قال: إذا نسيتها كلها.

قال بعض العارفين: معنى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف:٢٤]: أي إذا نسيت نفسك اهـ.

أي من حيث منافستك ورؤيتك لها واحتجابك بها، فإذا غبت عنها ولم ترها بالكلية واستغرقك الشهود عن كل مشهودٍ هناك يُقال لك: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ [الأعراف:٢٠٥]: أي شاهد أنها أثرٌ من آثار قدرته، وإذا عرفت نفسك ألا وجود لها من نفسها عرفت ربك أنه هو المفيض عليها الجود، فتنبَّهت من دعوى الوجود، ووثبت في هذه الرتب إلى يوم الورد المورود.

وقال سيدي عبد القادر قدَّس الله سرَّه: متى ذكرته فأنت محبٌّ، ومتى سمعت ذكره لك فأنت محبوبٌ، والخلق حجابك عن نفسك ونفسك حجابك عن ربك، ومادمت ترى الخلق لا ترى نفسك، وما دمت ترى نفسك لا ترى ربك.

وعن أبي يزيد البسطامي قدَّس الله سرَّه أنه قال: رأيت ربَّ العزة في المنام جلَّ جلاله، فقلت: يا بار خدا، كيف الطريق إليك؟ قال: أترك نفسك ثم تعالَ.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا

يُجَاهِـــدُ لِنَفْسِهِ﴾ [العنكبوت:٦]، ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج:٧٨]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت:٤٦].

فالمجاهدة في النفس أنفس عبادةٍ ورأس إفادة، وهي عين السعادة وزين السيادة، ومع بذله مجهوده في مجاهدتها ومصارعتها ومغالبتها لا يمكن أن يتخلص منها بالكلية ما دام في حكم البشرية، فإذا انعدمت منه الذات وارتحل إلى عالم اللذات هناك يخلص من شرها وينجو من حلوها ومرِّها.

وأمـــا قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف:٥٣]، سواء قلنا: إنه مـــن كـــلام يوسف ﷺ أو من كلام زليخا المراد أن ذلك عرضٌ لها بإلحاح القرين، لا أنه من أصل نشأتها؛ فإنها من عالم القدس والطهارة، فافهموا ذلك أيها الجان، والله يتولى هداكم اهـــ.

فـــإن النفس الناطقة جوهرٌ مجردٌ عن المادة في ذاتها طاهرة مقدسة في صفاتها، لكنها لما أذعنت للـــنفس الـــشهوانية الحيوانـــية وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت أمَّارة، ولما دافعـــتها ولامـــتها على تقصيرها في عبادة مولاها سُمِّيت لوّامة، ولما زاد ميلها إلى عالم القدس وتلقـــت الإلهامات الربانية سُمِّيت ملهَمَة، وعندما سكنت تحت مجاري الأقدار وزوال طرها ولم يـــبقَ للـــنفس الشهوانية حكم سُمِّيت مطمئنة، فإذا ترقّت وبرقت لها بوارق القرب وفنيت عن مـــراداتها وطاب لها الشرب وكُسيت بعد البقاء ثوب الرضا فأشرق وجه توجهاتها وأضاء سُمِّيت راضيةً، ثم إذا قبلت جميع الأسرار وأقبلت في سائر الأطوار ورضيها الحق ولها يخلص المخلصين الحـــق سميت مرضية، وإذا أمرت بالرجوع إلى العباد للتكميل والإرشاد والنيابة والخلافة والتلقي والإلقاء بما لا يسع الطلاب خلافه وظهرت عليها علامات القبول وأمارات التقريب الخصوصي والوصول سميت كاملة، وغدت محمولةً حاملة، وهناك يحق لها أن تتصدر للإفادة، وتجلس على ســـجادة الـــسيادة، وإلا فقيل: السلوك في هذه المسالك والنجاة من هذه المعاطب والمهالك، فكيف يليق التقدم والإقدام على مزاحمة الرؤساء من كان حقه الوقوف في مواطئ الأقدام.

واعلـــم أنـــه لا يتم للسائر السير في معارج هذا الخير إلا باتباعه لشيخ مرشدٍ سلم من الضير، وشـــهدت لـــه الأكابـــر أنه قد خلص من الغير، ويحقُّ له أن يجاب إذا دعا بِلى وتعم وخَيْرٍ؛ ليخلصك من النفس المكلفة بلبن الطير كل من كلفها حسن السير المشاهدة فعل محبوبها المحجوبة عـــن شـــهود سر: ﴿سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر:١٣]، مع أنه عين الرحمة بها بدون ارتياب الطالبة صـــعودًا إلى جوزاء الغرف بدون ارتقاء سلم الشرف المقاسية غصص الموت فيما حصل لها من الفوت، ومع ذلك فلا تنتبه من رقادها ولا تتزود التقوى لتقوى في يوم معادها ترى في الطاعات كرب الدواء، وتتجرع في ساعات القرب مرارات النوى، تلزم حظوظها لزوم الرِّبق، وتود أن لو أطلقت من الربق فما هي إلا مطية جهلٍ ومظنة أن تكون أبا جهل، فإذا ظفرت بمن يخلصك من قبائحها ويسدّ أذنيك عن سماع نصائحها ويدل على عينيك سترًا، فلا تشهد لوائحها، ويتنشقك عرفًا من معارفه فلا تنشق روائحها، ويظهر لك معايبها، ويريك عجائبها وغرائبها، فقد ظفرت بكنـــز يـــندر وجدانه ويقل لقبه، ويجب قربانه، فإذا أدركته وما وقفت لموافقته حتى فاتك وضيعت أوقاتك وأقواتك حتى عاينت، وفاتك فستندم ندم الكسعي لما استبان النهار، والفرزدق

لما أبان النوار فنبهته أجفان غفلتك من كراها، وقل: يا ضيعة الأعمار، ويا حسرتي، وواهًا واهًا.

ومن كلمات خطباء منابر التحقيق ونجباء أئمة محاريب التصديق المؤذنين فوق منابر التدقيق والمرقين من أتاهم على أعلى نجائب التوفيق لا يكتسب خلقًا إلا من أربابه، ولا يرتقي إلى مقام إلا برؤية أصحابه، فمن وافق الكرماء تكرّم، ومن عاشر الحلماء تحلّم، أو العباد تعبّد، أو الزهاد تـزهّد، وإلى هـذا أشـار سيد الأواخر والأوائل: «**المرءُ على دينِ خليله؛ فلينظرْ أحدكم من يخالـل**»، وكم رأينا من عاشر الأخيار فما انتفع لما ترفّع بنفسه كالدخان، فما ارتفع بل اتضع؛ فما كل مصاحب ينتفع بصحبته الأصحاب الأنجاب إلا أن رآهم أنجمًا سماوية ونفسه صيرها لهم ترابًا، ولما دعوه أجاب.

قـال سـيدي محيي الدين قدس الله سرّه في كتابه «مواقع النجوم ومطالع أهل الأسرار والعلوم»: واعلم أن الله تعالى إذا أيدك بالتوفيق للعلم والعمل على الإخلاص فتح لك بابًا إلى ملكوته يمنعك مـشاهدة مـا تجلـى لك وراء ذلك الباب من طوارق الغفلات والرجوع إلى عالم الشهوات، واشـتغلت بموارد الحق عليك من لطائفه وأسراره وكشف حقائقه، وذلك هو العلم اللدني وعلم التلقـي، فاسعَ في تحصيله بمداومة الذكر والخلوة وطيب الأطعمة وقلة الأكل والورع في النطق وتصرف القلب في فضول الخواطر، وامتحنْ نفسك تحت آمرٍ يأمرك وينهاك، وتتلمذ له، واتخذه شـيخًا مرشـدًا؛ فإنه إن لم تجرِ أفعالك على مراد غيرك لم يصح لك الانتقال عن هواك، ولو جاهـدت نفسك عمرك بما ترتبه عليها، وإن صعب لم تزل عن رعونتها ورياستها التي لا يمكن خـروجها مـنها إلا بالانقـياد إلى طاعة نفسٍ أخرى مثلها، وتصرفها تحت أمره ونهيه ؛وذلك لكثافة وعظم إشراكها، حتى ترتقي إلى الأمر على الإطلاق، ويكون ذلك سُلّمًا لها إليه؛ ولذلك قال المحققون: كل عملٍ لا يكون عن أمرٍ فهو هوى النفس، وآخر ما يخرج من قلوب الصدِّيقين حبُّ الرئاسة.

وقـيل لأبي يـزيد البسطامي قدّس الله سرّه في بعض مشاهده معه: تقرَّب إليَّ بما ليس لي الذلة والافتقار؛ فهذه إشارة إلى إزالة الرياسة، فاسعَ يا بني في طلب شيخٍ يُرشدك، ويعصم خواطرك، ويكمل ذاتك بالوجود الإلهي، فحينئذٍ تدبرُ نفسك بالوجود الكشفي الاعتصامي اهـ.

فانظر قوله: وإن فتح لها في لطائف المشاهدة.. إلخ.

ولا تغترَّ بنتائج الأعمال وصفو الأحوال؛ فكم صفت ثم تكدرت، وكم علت وغلبت ثم تحددت لـسـرِّ الخلق الجديد كل آنٍ، وهو كل يومٍ في شأن، وما لم تعزل النفس لمن يطيبك بملء فيك، فأنت غرباها غير ناصحٍ لها، ما الذي يروم إطلاقك من حبسك؟ يقول: لأن تكون تحت حكم هرةٍ خيرٌ لك من أن تكون تحت حكم نفسك.

وكـان سـيدي عبد القادر قدّس الله سرّه يقول: اخرج عن نفسك، وتنحَّ عنها، وانعزل عن ملكك، وسلِّم الكل إلى مولاك، وكنْ بوابه على باب قلبك، فأدخل ما يأمرك بإدخاله، وأخرج ما يأمرك بإخراجه، فلا تدخل الهوى قلبك فتهلك اهـ.

واجتهد في أن تتحرر من رقّها ولو بسحقها في مقام المجاهدة ومحقها.

قال سيدي أبو مدين قدّس الله سرّه: ما وصل إلى صريح الحرية من بقي عليه من نفسه بقية. ولا يمكن التخلص من مهامها إلا بالدليل العارف والمسلك الذي من بحور العلوم غارف.

قال سعد الدين الفرغاني رضي الله عنه أحد تلامذة سيدي محمد القونوي ربيب سيدي محيي الدين وتلميذه قدّس الله سرّهما في مقدمات شرح التائية الفارضية: من أهمّ المهمات للسالك الطالب إعلام المطالب، وأولى الأسباب والشرائط في سلوكه حصول شيخ مرشد واصل عالم بالعلوم الثلاثة: الشريعة، والطريقة، والحقيقة، يصير عارفًا بحقائق الأمراض النفسانية، والأدوية المزيلة لها، ودقائق شهوات النفوس، وشركها الخفي في كل مندوب أو مباح؛ فإن السالك بنفسه الواقع في مرض جهله وغفلته وأنواع الأمراض المذكورة آنفًا هو بمثابة مريض غير خبير بحقيقة مرضه وعلاجه، فيعالج مرضه بهواه وشهوته عن جهل به وبسببه وبما يضاد من الأدوية، فلربما توهم شيئًا أنه دواء، وفيه يكون حتفه، والذي نشاهده من بعض من ظنّ أنه من السالكين العارفين معجبًا بنفسه مدعيًا بوهمه أنه ذاق وشرب شرابًا من الشهود، ولم يشم رائحةً ولا خطرةً منه، ويظهر عرفانًا كسبيًا ظنه كشفيًا شهوديًا وتوحيدًا ناقصًا يخال الإباحة توحيدًا والزندقة معرفةً حقيقيةً، حتى ظن بعضهم وادّعى أنه مهديٌ أو عيسى أو قطبٌ أو بدلٌ أو نحو ذلك، جميع ذلك من نتائج السلوك بنفسه من غير شيخ مرشد، والظن بأن الخلوة والرياضة والاشتغال بالذكر شهوة النفس وإرادتها واختيارها نافعٌ أو موصلٌ إلى حضرة من حضرات الحق تعالى جلّ جلاله وجلّ جناب الحق أن يكون موردًا لكل وارد أو يطلع عليه إلا واحدًا بعد واحد: يعني واحدًا في نفسه أو إضافة عنه، بعد واحد: يعني على متابعة واحد لا يضع قدمًا في سيره إلا بعده ومتابعة قدمه، فكان داء السالك بنفسه من حيث دوائه وحتفه في عين علاجه، أعاذنا الله وسائر الصادقين من شرور أنفسنا وظنونها المردية وأوهامها المخفيّة اهـ.

ومما يتأكد عليك إذا عزمت على طلب أمام سالك يقيك في سيرك من المهالك، وينجيك من ظلام أوهامك الحالك، ويدلك على ما فيه نجاتك يوم تقف بين يدي المالك ألا تتهافت على من لقيته يدعي الإرشاد، ويتصدى لنصح العباد، ويريك بعض شقائق لسانه، ويشير إليك ببوارق حسناته حتى تصحبه، وترى كيف اتّباعه للسنة المحمدية، وتسأل عنه العارفين به من أهل المراتب السنية، ثم بعد أن يشهد له أهل الصدق والأمانة وترى أثر الهداية لائحًا عليه والتقوى لباسها زانه، فهناك فاستخر الله سبحانه، فإن وقع لك إذن فأقبل بنفس لهفانة ظمآنة فارغة، من السوى فاغرة فاها لنيل الدواء بالجوى، ملآنة منقادة مذعنة لينة كالخيزرانة، واصدقْ في المحبة والإقبال عليه، وألق نفسك سلمًا بين يديه يفتح الله إن شاء لك الأبواب، وتصعد درج الاقتراب، وما جعلني أنبهك على هذا الأمر إلا فساد الزمان وكثرة الدعاوى التي لا تدخل تحت ميزان؛ فكم من مدّعٍ مثلي لم يذق من مطاعم أهل الطريق خردلةً أصبح يدّعي الإرشاد! وما ذاك له.

فإن قلت: إني أخذت الطريق عن بعض رجاله من أهل التحقيق، فهل لي أن آخذ عن غيرهم وأسلك سبيله وأنبذ حسن سيرهم؟

قلنا: إن حصل لك المرام من منهج أولئك الأقوام وخلصت من عقبات نفسك وسلمت من

واستعمل المجاهدة فيها ليلاً طويلاً فإذا لانت بعد قسوتها، وخضعت بعد شدتها، وأنست بعد وحشتها، وأقبلت بعد نفرتها فاستنهضها لعالي الأخلاق، وشوقها لرفيع الأذواق فإذا مالت لذلك، وأقبلت على ما هنالك، ونشعت فيه، وظهر لها من الحق ما كان هواها يخفيه، حنت حنو الغريب لأوطانه، وناحت على ما ضيعته نواح القمري على أغصانه، ورجعت طالبة إلفها القديم، وناديها التي كانت به تهيم، ثم بعد هذا فإياك من فلتاتها، ثم إياك أن تغتر بتركها لعاداتها بل لا تغفل عن الجهاد فيها أن تكن عرفت ظواهرها وخلافيها، وانظر قول القائل: ما دامت النفس حية تسعى فهي حية تسعى، فمتى ما غفلت عنها ربما رجعت بك إلى وراء، وأنت تظن أنك أمام لما اعتمدت عليه من حسن سلوكها والسلام.

وكتب عند قوله فيها أيده الله: ومعلوم من هذه المراقبة أن يكون كثير الأدب مع من هو مراقب له.

=

حبائل وهمك وحدسك وعرفت نفسك المعرفة الخاصة التي لأجنحة الغيب قاصدٌ، وكشف لك عن عوالم القلب وأسراره وعلومه وأنواره وعن السرِّ وسرِّه وسرِّ السرِّ ومكنون دره، واكتفيت بما لاح لـــك من البرِّ الرحيم، فما عليك إذا ثبت على طريقك من جناحٍ؛ لأنك سلكت به المنهج القـــويم، وإن قصرت عن بلوغ مشاهد هذه المفاخر فما عليك إن أتبعت الأول بالآخر، وأتبعت الثاني؛ لتكون بهواك كالساخر، وتكرع من بحر العلوم الزاخر.

فإن قلت: أليس نقض العهد مذمومٌ؟!

قلنا: نعم، لكن طلب معرفة النفس أمرٌ محتومٌ معلومٌ، والرضا عنها بما هي فيه جهلٌ يبقى صاحبه محـــرومٌ، وإذا شاهدت أن سائر الدعاة نواب السيد المعصوم وأن مقصودك الجهاد في نفسك لا الحـــظ النفـــساني المسموم، وقد وجب عليك التداوي من الكلوم وبدون طبيب حاذقٍ لا يبرئ السموم، فلم يعد إذن أخذك لهذا المقصد المفهوم نقضًا ولا نقصًا، بل تتميمًا للأول عند الغوَّاص في العلوم، سيما إذا كان بعد الاستخارة، وأذن في ذلك الحيُّ القيوم.

واعلم رحمك الله أن داء النفس داءٌ عسيرٌ، ودواؤها خطرٌ غير يسير، فلابدَّ لك إذا سمعت طبيبك قد وصف لك الدواء من العمل به والمبادرة إليه بلا تكاسل والتواء.

ومـــن الشروط اللازمة أيضًا دوام صحبته سفرًا وحضرًا؛ لأن العليل متى فارق الأسى فقد أبى، وربمـــا لم يـــبرأ، بـــل له الداء برعًا، فإن للرفق رفقًا، وللصحبة أثرًا في المحبة، وللمواعظ تأثيرًا، وللملاحظ تعميرًا، وللخدمة فوائدَ، وللحضور عوائد.

قـــيل لأبي العباس بن مهدي ﷺ: بما يروِّض المريد نفسه؟ فقال: بالصبر على الأوامر، واجتناب المـــناهج، وصحبة الصالحين، وخدمة الرفقاء، ومجالسة الرفقاء، والمرء حيث وضع نفسه اهـــ. وانظر: العرائس القدسية (تحت قيد الطبع بتحقيقنا).

وقد ورد الأمر لها في قوله ﷺ: ((**اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**[1])).

وقال تعالى: ﴿**الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ**﴾ [الشعراء:٢١٨]، ﴿**وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾ [الشعراء:٢١٩].

فإذا كان الحق تعالى هو الرقيب على عباده في حركاتهم وسكناتهم وهو الذي لا يخفى عليه شيء من ذلك فكيف لا يلزم من يكون مشاهدًا لهذا المقام الأدب مع الحق بل إذا وجب عليه وعلى غيره من العباد لكان في مثل هذا آكدً فإن العبد إذا كان مراقبًا لله سبحانه وتعالى لزمه الأدب ومن لزمه الأدب وجبت له المحبة من الحق فإن أهل الأدب هم أهل الإكرام من الحق فأنه قد خص أهل الأدب بأمور وعطايا إليه أبدا لكن عدم التوفيق منه وغفلة العبد عن ذلك أوجبت له البعد فالمراقبة مع سوء الأدب تورث العطب فإن كان بين يدي ملك وأساء الأدب عنده لا يؤمن عليه أن يفتك به وأما إذا كان بحسب غفلة عن ربه غائبًا عن حضرته، وأساء الأدب كان بالنسبة لمن هو في حضرته ومشاهد له على الكشف والشهود أحق جنابه ولهذا كانت هفوة الأكابر بألف هفوة من هفوات غيرهم بل حسنات غيرهم سيئات بالنسبة لهم فانهم أهل حضور ومراقبة ومعاينة وأما غيرهم فلجهلهم بذلك عُذِروا وإن كان الجهل ليس بعذر عن إمكان الوصول إلى العلم وإنما قلنا عذرًا حملا لهم على عدم إمكان الوصول إلى العلم فأهل المراقبة له تعالى هم الذين لا يفعلون ما نهاهم عنه بل ولا يخطر لهم ذلك في خاطر ويتفاوتون في مراقبتهم، واحترامهم للجناب الإلهي على قدر ذوقهم ومعرفتهم به تعالى، فعلى قدر سعة المعرفة يكون الخوف والأدب حتى أن بعض المراقبين ماتوا بحصر البول، ولم يكشفوا لهم عورة حياء من الله وأدبًا معه؛ لأنهم يعلمون أنه تعالى يراهم أينما يكونوا وبعضهم كان لا يقدر على مد رجله لتحققه أنه بين يدي ربه وأنه مطلع عليه، وبعضهم كان لا يتكلم مع أحد؛ لأن الكلام مع الغير في حضرة الملوك سوء أدب إلا عن مروره فليستأذن ربه ويتكلم مع ذلك بقدر الحاجة.

حكى لنا شيخنا أن بعض الشيوخ كان يقرِّب تلميذًا له على بقية جماعته فسألوه عن سبب ذلك، فأعطى كل واحد منهم طيرًا، وقال له: اذبح هذا الطير من مكان لا يراك فيه أحد، وأعطى ذلك التلميذ المقرَّب أيضًا فذهبوا، وجاء كل منهم بطيره مذبوحًا إلا ذلك

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٦٦/١٠)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (١٢٤/٤).

التلميذ فإنه جاءه غير مذبوح، فقال: لأي شيء لم تذبحه يا ولدي فقال: يا سيدي أنت قلت لي اذبحه في مكان لا يراك فيه أحد، وقد درت لأرى لي مكانا أذبحه لا يراني فيه أحد فلم أجد لأني أينما كنت أراه يراني، فقال لجماعته وكانوا حاضرين لهذا: أقدمه عليكم لأنه صاحب حضور ومراقبة، فلو كنتم مثله مراقبين لما أمكنكم ذبح ما أعطيتكم إياه. انتهى.

وقد ذكرها القشيري في باب المراقبة، فالمراقبة تجر المراقِب إلى القرب من المراقَب بواسطة الأدب الحاصل منها؛ إذ المراقبة أصل في الأدب، فمن كان صاحب مراقبة كان صاحب أدب، ومن كان صاحب أدب كان صاحب قرب، ومن كان صاحب قرب كان من أهل الحضرة، ومن كان من أهل الحضرة كان صاحب شهود، ومن كان صاحب شهود بلغ المقصود من المقصود[1].

---

(١) **قال الشيخ الشرقاوي: عرَّف بعضهم المراقبة بقوله:** هي مراعاة السر لملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة.

قال في الفتوحات في الباب السادس والعشرين ومائة ما حاصله: اعلم أن المراقبة إما من الله تعالى للعالم جواهره وإعراضه، وهي: إمداده الجواهر بالإعراض المقتضى ذلك لبقائها، فكلما انعدم عرض خلفه عرض آخر مثله أو ضده يحفظه به من العدم في كل زمان، فهو خلاق على الدوام، والعالم مفتقر إليه على الدوام، فهذه مراقبة الحق لخلقه وهي المرادة بقوله: **﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾** [الرحمن:٢٩].

وله مراقبة أخرى في عباده وهي: نظره إليهم فيما كلفهم من أوامره ونواهيه، ورسم لهم من حدوده وهي مراقبة كبرياء ووعيد وهي المرادة بقوله تعالى: **﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾** [ق:١٨]، وبقوله تعالى: **﴿كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾** [الانفطار:١١،١٢]، وبقوله: **﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾** [البقرة:٧٤]، وبقوله: **﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾** [يس:١٢].

وأما مراقبة العبد فهي على ثلاثة أقسام:

الأولى: أن يراقبه تعالى وهو لا يعلم ذاته ولا نسبته إلى العالم، قال بعضهم: وهذه لا تُصور وجودها؛ لأن المراقبة متوقفة على العلم بذات المراقَب بفتح القاف، وقالت طائفة أخرى بتصورها؛ لأنه قد عرفنا إياه تعالى كما ينبغي لجلاله فهو معنا أينما كنا وهو على العرش استوى، وهو في الأرض يعلم سرنا وجهرنا، وهو في السماء كذلك وينـزل إليها، وهو الظاهر في عين كل مظهر من الممكنات، فقد علمنا هذا القدر منه فنراقبه على هذا الحد، فمراقبتنا للأشياء هي عين مراقبتنا إياه؛ لأنه الظاهر في كل شيء ولذا قال بعضهم: (ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله قبله)، وقال آخر: بعده، وآخر: معه، وآخر: فيه، فمثل هؤلاء يصححون المراقبة.

الثانية: مراقبة الحياء أخذًا من قوله تعالى: **﴿بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾** [العلق:١٤]، بأن يراقب رؤيته وهو
=

ولقد قلت في المراقبة :

إن رقبت تدنوا نحو العالي	وترقى أحسن المسالك
وتحظى بالقرب والتداني	وتنجو أيضًا من المهالك
وعنك حجب البعاد تجلى	وتجرى ما شئت في الممالك
وينجلي عنك كل غيم	وتغمى ظلمة أحوالك
ففرغ القلب مما سواه	وراقب الله في فعالك

فتأمل، وافهم، والله تعالى أعلم.

ومنها عند قوله فيها أيده الله:

(فالشريعة أصل، والحقيقة فرعها، فكل من لم يحكم الأصل لا ينتفع بالفرع).

ولهذا كان سيد رؤساء هذه الطائفة أبو سليمان الداراني قدس الله سره يقول:

«ما حرموا الوصول إلا بتضيعهم الأصول، فشريعة بلا حقيقة عاطلة، وحقيقة بلا شريعة باطلة»[1].

قال الشيخ أيده الله:

فإن من لم يؤسس لا يستقيم له بناء، ومن لم يحكم ما بنى لا ينال المنى.

= يراقبه فهو يراقب مراقبة الحق إياه، فهذه مراقبة المراقبة وهي مشروعة.

والثالثة: أن يراقب قلبه ونفسه الظاهرة والباطنة ليرى آثار ربه فيه، وكذلك الموجودات الخارجة عنه يراقبها ليرى آثار ربه فيها قال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ**﴾ [فصلت: ٥٣]، ولهذه المراقبة تعلق بالحق؛ إذ لا فاعل إلا هو. والمراقبة دوام المراعاة بحيث لا يتخللها وقت يكون العبد فيه مراقبًا، فاعلم ذلك وتحققه تعلم شؤون ربك في نفسك، وفيما يدركه بصرك من الموجودات، وما يصل إليه فكرك وعقلك، وما يشهدك في مشاهدك، وما يطلع من الغيوب في كونك، أو حيث كان، ومن هنا تعرف خواطرك، وللمراقبة جاءت الموازين الشرعية وهي خمسة: الفرض والندب والإباحة والحظر والكراهة، ولها درجات عند أرباب الأنس والوصال من العارفين. انتهى.

(١) وبقية النص: وعلامة من صح وصوله: الخروج عن الطبع، والأدب مع الشرع، واتباعه حيث سلك، والشفاء الشافي والدواء الكافي لهذا الداء العضال العلم، بشرط التوفيق، فإذا اجتمعا فلا حائل بينك وبين التحقيق. كما في شرح الحكم الكردية للشرقاوي (ص١١٦).

فالشريعة باب لا يدخل منه من لم يكن متبعًا للشريعة، فهو في دركات القطيعة[١].

كيف يتيسر الوصول لمن يخالف ما جاء به الرسول ﷺ وشرف وكرم.

فكل من خالف ظهر من الأحكام فهو زنديقٌ ولا يتمسك له بكلام.

وإياك أن تفرح على من لا تراه ذا اتباع للقدم المحمدي.

فإن كان من أهل الجذب والتوله فدعه وحاله فإنك لا تدرك مقامه، ولا تدري مرامه، ولا تعرف ما يشير إليه ممن هو غائب عنك، فسلم له حاله، فإن الإيمان بالغيب من صفات المؤمنين إلا إذا كان ما جاء به ينكره ظهر الشرع ولا يقبل تأويلاً قارم به، فإنك ما كلفت بقبوله، هذا إذا كان ما ظهر لك على يد مجذوب مسلوب الاختيار[٢].

وأما إذا كان ذلك من عارف كامل شهد بمعرفته أهل المعرفة والوجدان، وإذا أقرَّت

---

(١) **قال أبو بكر الزقاق:** كان سبب ذهاب بصري، أني خرجت في وسط السنة أريد مكة، وفي وسطي نصف جل، وعلى كتفي نصف جل، فرمدت إحدى عيني، فمسحت الدموع بالجل، فقرح المكان، فكانت الدموع والدم يسيلان من عيني وقرحتي، وأنا من سُكر إرادتي لم أحس به، وإذا أثرت الشمس في يدي قلبتها، ووضعتها على عيني رضاء مني بالبلاء، وكنت في التيه وحدي، فخطر بقلبي أن علم الشريعة يباين علم الحقيقة، فهتف بي هاتف من شجر البادية: يا أبا بكر كل حقيقة لا تتبعها شريعة فهي كفر.

وقال الشيخ ابن خفيف: التصوف: تصفية القلب عن موافقة البشرية، ومفارقة الطبيعة وإخماد صفات البشرية، ومجانبه الدعاوي النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية.

والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله تعالى على الحقيقة، واتباع الرسول في جميع الشريعة. وانظر: كتابنا الجنيد (ص٥٦، ١١٩).

(٢) والمجاذيب جمع مجذوب: وهو من صادفته جذبةٌ إلهيةٌ، وهي كما قال بعضهم: تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية، مهيئًا له كل ما يحتاج إليه في طي المنازل إلى الحق بلا كلفةٍ وسعي. انتهى.

فكل جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين، ولها علاماتٌ قلبيةٌ يعاينها السالك بطريق الوجدان، ويتأيد ذلك بأن يرى نفسه طائرًا أو في السماء أو غير ذلك.

وأهل الجذب على أقسام كما أن أهل السلوك كذلك:

فمنهم مجذوبٌ سالكٌ.

ومنهم: مجذوبٌ دام له الجذب.

ومنهم: مجذوبٌ وقف بعد سيره.

والأول: هو الذي يصلح للإرشاد؛ لمعاينته منازل السائرين من الرجال في حال سلوكه بخلاف غيره، وبعضهم يُكشف له في لمحة واحدة عن ميادين السلوك فيعرف حقائقها، وهذا عبدٌ اعتنى الله به ليقيمه داعيًا عباده إليه. وانظر: شرح الحكم الكردية للشيخ الشرقاوي (ص٩٧) بتحقيقنا.

يعلو مشربه أهل الاطلاع بالكشف والإيقان، فسلم له ما يقول.

وإن نبا عنه فهمك القاصر لضيق عطف، وقلة فطن، وعدم تبحر في السنَّة، وتوسع في الشرب من عين المنة؛ لأنه لا ينطق إلا عن ذوق صحيح، لكن غاب عنك من أين ما خلته لذلك، فالتسليم في هذا مطلوب لئلا يقع المنكر في الحرمان؛ لأن من أنكر شيئًا حرم بركة ذلك الشيء، ولا يمكنه الوصول إليه.

فالحاصل أن كل من لم يتمسك بما جاءت به الشريعة المحمَّدية فهو جاهل ناقص المعرفة بصاحب الملة الحنيفية فاعرف قدر ما نبهتك عليه، والزم حمى الشريعة تصل إليه والسلام.

ومنها عند قوله فيها ﷺ:

(ومن أوصافهم ألا يقول أحدٌ منهم لي ولا متاعي، ولا كتابي ولا ثوبي؛ لأن العبد لا ملك له مع سيده). انتهى.

قال الشيخ أيده الله:

فإن الملك لله ونسبة ما بأيدينا لنا نسبة مجازية بل ليس لنا ملك، ولا فعل ولا حول ولا قوة إلا بالله فكيف يدّعي العارف بمقام توحيد الأفعال ملكًا لشيء أو فعل ذلك بحال، وإنما إضافة الأشياء لنا إضافة معنوية لا حقيقية.

قال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُم**﴾ [التوبة:٣٦].

فأثبت لنا قتالاً وهذا من طريق الظاهر، ثم قال في آية أخرى: ﴿**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ**﴾ [الأنفال:١٧]، وهذا من طريق الحقيقة.

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُم**﴾ [التوبة:١١١].

فأثبت لنا ملكًا على طريق المجاز مع إنه تعالى المالك الحقيقي.

قال تعالى: ﴿**لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ [البقرة:٢٨٤].

فمن كان مشهده الظاهر[1] لم يأذن له الشرع في أن يسلم ما بيده لغيره، فإنه مِلكهُ وله المدافعة عنه، ومن كان صاحب هذا المشهد عند المحققين صاحب حال، وأما صاحب المقام فهو وافق مع الشريعة المطهرة، وإن كان صاحب الحال أيضًا مستنده في عدم المنع الشرع، لكنَّ الوقوف مع ظاهر الشرع صفة المحققين من أهل الطريق.

ثم اعلم أن العارف بالله ميت بين يدي غاسل لا حركة له إلا بربه، واقف في مقام

---

(١) الظاهر: هو المنقول والمعقول من العلوم النافعة التي تكون بها الأعمال الصالحة.

التسليم له تعالى وعدم الاعتراض عليه في أمر ما، وكيف ينكر فعلاً من الأفعال وهو لا يرى غيره تعالى فاعلاً، ولهذا كان العارف بهذا المقام إذا أعطي من الوجود ما عسى أن يعطي، ثم يسلب منه جميع ما أعطي لا يتغير له من ذلك شعرة إذا الذي أعطى هو الذي أخذ، والوكيل إذا أخذ صاحب المال منه ماله عسى لا يقول له لأي شيء أخذته؛ إذ هو ما أخذ إلا ما هو له، ولو لامه في ذلك لعد منه العقل ذلك الملام جنونًا حتى ولو سلبوا مقامًا ما كانوا فيه لا يضجروا من نقلهم عنه إلى ما هو دونه إلا عن زلة، فإنه إذا كان عنها ربما لا يعود إلى المقام الذي أخذ منه؛ لأنه قد أخذ بالجلال.

ولهذا قال بعضهم: هفوت هفوة فطردت وكان لي مع الله بعض حال فلم أجده بعد إلى الآن، وأما إذا كان السلب لا عن زلة فإن ذلك إما للاختيار أو لترقي المسلوب السلب إلى ما هو أعلى مما سُلب، أو لسر يخفي عن المسلوب في وقت سلبه، فإذا أسلم سلم، وقد تكون الزلة لترقي مرتبة صاحبها فإذا أذنب ربما حصل له ندم، وذل، وانكسار فيكون ذله وانكساره وندمه موجبة له الترقي عما هو فيه إلى ما هو أعلى منه، بل لو استقام في مقام الانكسار، والذل لكان أعظم مما كان فيه لأن مقامات الانكسار، والذل أعظم مقامات العبودية ولكن إذا نادر فلا يقاس عليه، ولا يقتر به ذا حججًا وعليه قول القائل: وربما صحت الأجسام بالعلل وكذا إذا سلبوا حالاً وفهماً فهمْ مع ربهم على بساط التسليم والانقياد لا يعترضون في أمر من أموره، ولا فعل من أفعاله، ولا حكم من أحكامه والسلام.

ومنها: أيضًا عند قوله فيها:

(ومما يجب عليهم القيام بشروط الطريق الثمانية قياماً كُلِّيًا وهي الصمت، والجوع، والسهر، والاعتزال، ودوام الطهارة ظاهرًا وباطنًا، ومداومة الذِّكر[1]، ونفي

---

(١) قال الشيخ ماء العينين في فضيلة الذكر: وأما الذِّكر: فقد ورد فيه من الأحاديث كثير، ومن الآيات كذلك، ويكفي من ذلك قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٤١]، و قوله ﷻ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢].

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني، نفعنا الله ببركاته، في كتابه «الغنية»: اختلف العلماء في ذلك: فقال ابن عباس رضي الله عنهما: اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي، كما قال الله تعالى:
=

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٢].

وقال فضيل بن عياض رحمه الله: فاذكروني بطاعتي أذكركم بثوابي.

كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً•أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [الكهف:٣٠، ٣١] الآية.

وقال النبي ﷺ: «مَنْ أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلّت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن».

وقال أبو بكر الصدّيق ﷺ: كفى بالتوحيد عبادةً، وكفى بالجنة ثوابًا.

وقال ابن كيسان رحمه الله: فاذكروني بالشكر أذكركم بالزيادة؛ لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧].

وقيل: اذكروني بالتوحيد والإيمان أذكركم بالدرجات والجنان؛ لقوله ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [البقرة:٢٥] الآية.

وقيل: (اذكروني على ظهر الأرض أذكركم في بطنها إذا نسيكم أهلها)، كما قال الأصمعي: رأيت أعرابيًا واقفًا يوم عرفة بعرفات وهو يقول: إلهي، عجّت إليك الأصوات بضروب اللغات يسألونك الحاجات، وحاجتي إليك أن تذكرني عند البلاء إذا نسيني أهلي.

وقيل: اذكروني في الدنيا أذكركم في الآخرة.

وقيل: اذكروني بالطاعات أذكركم بالمعافاة، دليله قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧].

وقيل: اذكروني بالخلا والملا أذكركم بالخلا والملا، كما رُوي أن الله تعالى قال في بعض الكتب: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء، وأنا معه إذا ذكرني، فمن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، ومن تقرّب إليّ شبرًا تقرّبت إليه ذراعًا؛ ومن تقرّب إليّ ذراعًا تقرّبت إليه باعًا، ومن أتاني ماشيًا أتيته هرولةً، ومن أتاني بقراب الأرض خطيئة أتيته بمثلها مغفرة»، قراب الشيء وقرابه وقرابته: ما قارب قدره بعد أن لا يشرك بي شيئًا.

وقيل: اذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء.

كما قال الله ﷻ: ﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ•لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

وقال سلمان الفارسي ﷺ: إن العبد إذا كان دعاءاً في السرّاء فينـــزل به البلاء، فتقول الملائكة: يا ربنا عبدك قد نزل به البلاء، فيشفعون له فيجيبهم الله تعالى، وإذا لم يكن دعاءً قالوا: (الآن فلا يشفعون)؛ بيانه قصة فرعون: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس:٩١] الآية.

وقيل: اذكروني بالتسليم والتفويض أذكركم بأصلح الاختيار، بيانه قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣].

وقيل: اذكروني بالشوق والمحبّة أذكركم بالوصل والقربة.

وقيل: اذكروني بالحمد والثناء أذكركم بالعطاء والجزاء.

وقيل: اذكروني بالتوبة أذكركم بغفران الحوبة.
اذكروني بالدعاء أذكركم بالعطاء.
اذكروني بالسؤال أذكركم بالنوال.
واذكروني بلا غفلة أذكركم بلا مهلة.
اذكروني بالندم أذكركم بالكرم.
اذكروني بالمعذرة أذكركم بالمغفرة.
اذكروني بالإرادة أذكركم بالإفادة.
اذكروني بالتنصل أذكركم بالتفضل.
اذكروني بالإخلاص أذكركم بالخلاص.
اذكروني بالقلوب أذكركم بكشف الكروب.
اذكروني بلا نسيان أذكركم بالإيمان.
اذكروني بالافتقار أذكركم بالاقتدار.
اذكروني بالاعتذار والاستغفار أذكركم بالرحمة والاغتفار.
اذكروني بالإيمان أذكركم بالجنان.
اذكروني بالإسلام أذكركم بالإكرام.
اذكروني بالقلب أذكركم بكشف الحجب.
اذكروني ذكرًا فانيًا أذكركم ذكرًا باقيًا.
اذكروني بالابتهال أذكركم بالإفضال.
اذكروني بالتذلل أذكركم بمغفرة الزلل.
اذكروني بالاعتراف أذكركم بمحو الاقتراف.
اذكروني بصفاء السر أذكركم بخالص البر.
اذكروني بالصدق أذكركم بالرفق.
اذكروني بالصفو أذكركم بالعفو.
اذكروني بالتعظيم أذكركم بالتكريم.
اذكروني بالتكبير أذكركم بالنجاة من السعير.
اذكروني بترك الجفاء أذكركم بحفظ الوفاء.
اذكروني بترك الخطا أذكركم بأنواع العطا.
اذكروني بالجهد في الخدمة أذكركم بإتمام النعمة.
اذكروني من حيث أنتم أذكركم من حيث أنا: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥].
قال الربيعي رحمه الله في هذه الآية: إن الله تعالى ذاكرٌ من يذكره، وزائدٌ لمن يشكره، ومعذبٌ لمن يكفره.

وقال السري رحمه الله فيها: ليس من عبدٍ يذكر الله تعالى إلا ذكره، لا يذكره مؤمنٌ إلاَّ ذكره بالرحمة، ولا يذكره كافرٌ إلاَّ ذكره بالعذاب.

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: بلغنا أن الله ﷻ قال: «أعطيت عبادي ما لو أعطيته جبريل وميكائيل كنت قد أجزلت لهما، فقلت لهم: اذكروني أذكركم، وقلت لموسى: قل للظلمة لا يذكروني؛ فإني أذكر من ذكرني، وإن ذكري إياهم أن ألعنهم».

وقال أبو عثمان النهدي رحمه الله: إني أعلم حين يذكرني ربي، قيل له: وكيف ذلك؟ فقال: إن الله ﷻقال: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة:١٥٢]، فإذا ذكرت الله ذكرني.

قلت: وهذه الآية أعني: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ إحدى ثلاث آيات في القرآن، في كل آية منها مائة قول، الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء:٨]، الثالثة: قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن:٦٠]، ومما قيل في هذه الأخيرة: هل جزاء التوحيد غير الجنة: أي جزاء من قال (لا إله إلا الله) إدخال الجنة.

ومما قيل في آية: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢] ما قدمته من اثنين وأربعين قولاً، وخفت لو تتبعت إتمامها من التطويل الذي يوقع ناظره في التمليل.

وقال صاحب كتاب مفاتح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير، وهو الإمام الفخر الرازي: اعلم أن الله تعالى كلَّفنا في هذه الآية بأمرين: الذكر والشكر.

أما الذكر: فقد يكون باللسان.. إلى آخر الكلام المتقدم المنسوب للغزالي وروح البيان.

ثم قال أما قوله: (**أذكركم**) فلا بدَّ من حمله على ما يليق بالموضع، والذي له تعلق بذلك الثواب والمدح وإظهار الرِّضا والإكرام، وإيجاب المنـــزلة، وكل ذلك داخل تحت قوله: (**أذكركم**)، ثم ذكر عشرة أقوال كلها تقدم إلا العاشر منها.

وهو قوله: «اذكروني بالربوبية في الفاتحة أذكركم بالرحمة والعبودية في الخاتمة»، وبهذا القول تكمل ثلاثة وأربعين قولاً أتيت بها في هذه الكلمات.

ثم إني أقول غفر الله لي ما أفعل وما أقول: إن الذي تبيَّن لي في هذه الآية أن قولهم أن فيها مائة قول لعله إنما هو تقريبٌ للأذهان، أو أن بعض العلماء ذكر فيها ذلك، والذي يظهر لي أن فيها كثيرًا أثيرًا غير ذلك، ومما يقرب لك ذلك ويصدقه عندك أن كل حالٍ أو وصفٍ كان فيه العبد ذكر الله ذكره الله بما يطابقه من فضله، وذلك لا عدد له؛ لكثرة الأغراض والأعراض في الليل والنهار، وكثرة الفضل في جميع الأدهار، إلا أني نظرت في أكثرها فإذا هو لا بدَّ أن يرجع لأحد هذه الوجوه التي تقدمت، إما بواسطة وإما بلا واسطة، والذي يخفى على الأكثر محل الرابطة؛ ومما يصدقه عندك أيضًا قولهم فيما تقدَّم، فصار الأمر بقوله: (اذكروني) متضمنًا جميع الطاعات، والطاعات أكثر من مائة.

وقيل: أوحى الله ﷻ إلى داود عليه السلام: «يا داود بي فافرحوا وبذكري فتنعموا».

وقال الثوري رحمه الله: (لكل شيءٍ عقوبة، وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله)، نعوذ بالله من عقابه دنيا وأخرى.

الخواطر عن القلب، وربط قلب العابد بالأستاذ).

قال الشيخ أيده الله: لأن المشروط لا يتم بدون شرطه، وفي تسميتها شروطًا إشارة إلى أنها كالفروض التي للصلاة فكما أن الصلاة لا تتم بغير الطهارة فلذلك سلوك الطريق لا يمكن بدون هذه الشروط الثمانية حتى قالوا: بذل المريد في طلب خلق من أخلاق الطريق روحه لم يكن أسرف في ذلك، وقد قلتُ :

فبذل الروح في طلب المعالي ... يسير للذي يرجو الفوالي

ومَن يرجو الوصال بغير بذلٍ ... فذلك سالك طريق المحال

فمن أخلَّ بشرط من الشروط المعلومة المأمور بها والمندوب إليها وفاته ما حصله الرجال من أهل الطريق، فلا يلومن إلا نفسه؛ لأنه هو الجاني المقصِّر في طلب ما أرشدوه إليه عرَّفوه به، ومن لم يكن في التخلق مجتهدًا فسلوكه في الطريق سدًا.

فإن السلوك لا يكون إلا بالتخلق في الصفات المرضية، والتحلي بالكماليات النسبية، ومن لم يكن كذلك فليس بسالك، فإن من لم يتأدب بآداب أهل الحضرة الإلهية فكيف يرجو الوصول إلى المراتب العليَّة فإن رمت الفوز بالكمال فعليك بصفات الرجال والسلام.

قال أيده الله تعالى في حاشية أخرى عند قوله الخامس ((دوام الطهارة)): **(فإنه ذكر قبله أربعة شروط وهي:**

الجوع، والصمت، والسهر، والاعتزال).

=

وقيل: إذا تمكَّن الذكر من القلب فإذا دنا منه الشيطان صُرع، كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيقولون: ما لهذا؟ فيُقال: قد مسَّه الإنس، ويقولون من ذلك المعنى: فلانٌ مأنوسٌ، كما تقول بنو آدم لمن مسَّه الجن: مجنونٌ.

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: ما اعرف معصية أقبح من نسيان هذا الرب الكريم.

قلت: وذلك لما له من الدلائل الناصحة والآلاء الواضحة التي لا ينبغي معها نسيان إما بالقلب، وإما باللسان.

وقيل: الذكر الخفي لا يرفعه الملك؛ لأنه لا اطِّلاع له عليه، فهو سرٌّ بين العبد وبين الله تعالى.

وقال بعضهم: وصف لي ذاكر في الأجمة فأتيته، فبينما نحن جلوس وإذا سبع عظيم الفبل، فضربه ضربة ونهش منه قطعة، فغشي عليه وعليّ، فلما أفقت قلت له: ما هذا؟ فقال: قيَّض الله عليَّ هذا السبع كلما دخلتني فترة عن ذكري، جاءني فعضَّني كما رأيت، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة، وانظر: منيل العبد مناه (ص١٦٢) بتحقيقنا.

فقال: وهذه الشروط الأربعة المتقدمة هي التي يصير بها الأبدال أبدالاً، كما ذكر ذلك سيدي محي الدين قدَّس الله سره. وأهل الطريق قد زادوا أربعة أخرى وهي المذكورة هنا إشارة إلى أن طريقتهم تحتوي على طريق الأبدال، ويزيد عليهم فمن صدق في سلوكه من أهل الطريق، والتزم ما شرطوه عليه، وقام بذلك قيامًا كليًّا لا بدَّ وأن يصير من الأبدال.

والبدل عندهم هو: من تبدَّلت أوصافه الذميمة بالحميدة[1].

---

(١) **قال سيدنا الشرقاوي:** (**والأبدال**): جمع بدل، وهو من له قدرةٌ على أن يقيم غيره بدلاً عنه إذا أراد مفارقة محله مثلاً.

قال في «الفتوحات» في الباب الثالث والسبعين ما معناه: اعلم أنه لما انتقل رسول الله ﷺ بعد أن حرر الدين الذي لا يبدل، وكانت الأرض لا تخلو من رسول حي بجسمه يكون قطب العالم الإنساني، أبقي بعده من الرسل ثلاثة متفقًا عليهم، وهم إدريس وإلياس وعيسى، وواحد مختلف فيه عند غيرنا لا عندنا وهو الخضر عليهم السلام، فهؤلاء الأربعة باقون بأجسادهم في الدنيا؛ واحد منهم القطب واثنان منهم الإمامان وأربعتهم أوتاد، فبالواحد: يحفظ الله الإيمان، وبالثاني: يحفظ الله الولاية، وبالثالث: يحفظ الله النبوة، وبالرابع: يحفظ الله الرسالة، وبالمجموع: يحفظ الله الدين الحنيفي، ولكل واحد منهم في كل زمان شخص على قلبه نائب عنه، فيتطاول كل واحد من الأمة لنيل هذه المقامات، فإذا حصلها عرف أنه نائب، فنائب القطب يعرف أنه نائب القطب، ونائب الإمام يعرف أنه نائب الإمام، وكذا نائب الوتد، فمن كرامة رسول الله ﷺ على ربه أن جعل من أمته وأتباعه رسلاً وارثين مقام الرسالة إلى يوم القيامة.

واعلم أن رجال الله في هذه الطريق هم المسمون بعالم الأنفاس، فهذا اسم يعم جميعهم، وهم على طبقات كثيرة وأحوال مختلفة: فمنهم من تجمع له الطبقات كلها، ومنهم من يحصل لما شاء الله منها، وما من أهل طبقة إلا ولهم اسم خاص، فمنهم من يحصره عدد في كل زمان، ومنهم من لا عدد له.

فمنهم رضي الله عنهم الأقطاب: وهم الجامعون للأحوال والمقامات بالأصالة أو النيابة كما ذكرنا، وقد يتوسعون في هذا الإطلاق فيسمون كل من دار عليه مقام ما من المقامات، وانفرد به عن أبناء جنسه قطبًا، وقد يُسَمَّى رجل البلد قطب ذلك البلد، وسيما شيخ الجماعة قطب تلك الجماعة، لكن القطب المصطلح عليه الذي ينصرف إليه الاسم عند الإطلاق لا يكون في الزمان إلا واحدًا وهو الغوث أيضًا، وهو سيد الجماعة في زمانه، ثم قد يكون ظاهر الحكم فيحوز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والحسن، ومعاوية، وعمر بن عبد العزيز والمتوكل، وقد يكون لا حكم له في الظاهر، وإنما حكمه في الباطن كأحمد بن هارون السبتي وأبي يزيد البسطامي وأكثر الأقطاب لا حكم لهم في الظاهر.

ومنهم رضي الله عنهم الأئمة: وهم لا يزيدون في كل زمان على اثنين، أحدهما يُسَمَّى عبد الرب، والثاني عبد الملك، والقطب عبد الله قال الله تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ**﴾ [الجن: ١٩]: يعني محمدًا ﷺ، وهذا اسمٌ إلهيٌّ يخصُّ كل واحدٍ من الثلاثة، وإن كان له اسمٌ آخر غيره =

وضع عليه عند ولادته، والإمامان للقطب بمنـــزلة الوزيرين له، أحدهما مقصورٌ على مشاهدة عالم الملكوت، والآخر على مشاهدة عالم الملك، وإذا مات القطب خَلَفَهُ واحدٌ منهما.
ومنهم الأوتاد: وهم أربعةٌ في كل زمانٍ لا يزيدون ولا ينقصون، أحدهم يحفظ الله به المشرق، والآخر المغرب، والآخر الجنوب، والآخر الشمال والتقسيم من الكعبة.
وقد يعبر عنهم بالجبال أخذًا من قول الله تعالى: ﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً * وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً**﴾ [النبأ:٦، ٧]، فكما أن الجبال يسكن بها مَيْد الأرض كذلك هؤلاء في العالم، يحفظ الله بهم هذه الجهات، وليس للشيطان عليهم سلطان؛ إذ لا دخول له على ابن آدم إلا من هذه الجهات.
ومنهم الأبدال: وهم سبعةٌ لا يزيدون ولا ينقصون، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل إقليمٍ واحدٌ.
أحدهم: على قدم الخليل.
والثاني: على قدم الكليم.
والثالث: على قدم هارون.
والرابع: على قدم إدريس.
والخامس: على قدم يوسف.
والسادس: على قدم عيسى.
والسابع: على قدم آدم، على الكل السلام، وهم عارفون بما أودع الله تعالى في الكواكب السيّارة من الأمور والأسرار.
ولهم من الأسماء أسماء الصفات، فمنهم عبد الحي، وعبد العليم، وعبد المريد، وعبد القادر، وهذه أسماء أربعة الأوتاد، وباقيهم عبد الشكور، وعبد السميع، وعبد البصير، لكل صفةٍ إلهيةٍ رجلٌ من هؤلاء الأبدال، بها ينظر الحق إليه وهي الغالبة عليه.
فما من رجلٍ إلا وله نسبةٌ إلى اسمٍ إلهيٍّ منه يتلقى ما يرد عليه من الحضرة الإلهية. وسُمّيَ هؤلاء أبدالاً؛ لأن أحدهم إذا فارق موضعًا وأراد أن يخلف به رجلاً آخر بدلاً منه لأمرٍ يريده في مصلحة وقربة كان له القدرة على ذلك، فيترك شخصًا على صورته لا يشكُّ من رآه أنه عين ذلك الرجل، وليس كذلك بل هو شخصٌ روحانيٌّ أقامه مقامه، فكل من له هذه القوة فهو من الأبدال.
أما من يقيم الله بدله شخصًا لأمرٍ ما ولا علم له به فليس منهم، ومعنى قولهم: (فلانٌ على قدم فلانٍ) أنه مثله في علومه ومعارفه التي ترد على قلبه، فإن المعارف الإلهية إنما ترد على القلوب، وكل علمٍ يرد على قلب الشخص الكبير من ملكٍ أو رسولٍ فإنه يرد على قلب من ورثه في مقامه.
وقد يقولون: (فلانٌ على قلب فلان)، ومعناه: ما ذُكر: أي يتقلب في علومه ومعارفه.
وقد تُطلق الأبدال على أربعين رجلاً يُسمُّون أيضًا الرجبيين، وهم رجالٌ لهم القيامة بعظمة الله تعالى، وهم الأفراد وأرباب القول الثقيل المذكور في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً**﴾

[المزمل:٥]، سُمُّوا رجبيين؛ لأن حالهم لا يكون لهم إلا في شهر رجب من أوله إلى انفصاله، ثم يفقد ذلك الحال من أنفسهم إلى دخول رجب من السنة الآتية، ومنهم من يبق عليه أمر من ذلك في سائر السنة، وقليل من يعرفهم من أهل هذه الطريق، وهم متفرقون في البلاد ويعرف بعضهم بعضًا، فمنهم باليمن وبالشام وبديار بكر.

ومنهم رضي الله عنهم النقباء: وهم اثنا عشر نقيبًا في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، على عدد بروج الفلك الاثني عشر برجًا؛ كل نقيب يعلم بخاصية برج منها، وقد جعل الله بأيديهم علوم الشرائع المنــزلة، ولهم استخراج خبايا النفوس وغوائلها، ومعرفة مكرها وخداعها؛ وإبليس مكشوف لهم يعرفون منه ما لا يعرفه من نفسه إذا رأى أحدهم وطأة شخص في الأرض، ولو حجرًا علم أنها وطأة سعيد أو شقي، كالعلماء بالآثار والقيافة إذا رأوا صاحب ذلك الأثر عرفوا أن الأثر له، وبالديار المصرية منهم كثير.

ومنهم رضي الله عنهم النجباء: وهم ثمانية في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، وعليهم علامة القبول من أحوالهم تظهر عليهم، وإن لم يكن لهم فيهم اختيار، ولا يُعرفُ ذلك منهم إلا من هو فوقهم، لا من هو دونهم، وهم أهل علم الصفات الثمانية السبع المشهورة والإدراك ولهم القدم الراسخة، وعلم تسيير الكواكب من جهة الكشف والاطلاع، لا بالطريق المعلومة عند العلماء بهذا الشأن، فهم حائزو علم الثمانية أفلاك في كل ذلك كوكب، والنقباء حازوا علم الفلك التاسع.

ومنهم رجال الفتح: وهم أربع وعشرون في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون بهم يفتح الله على قلوب أهل الله ما يفتح من المعارف والأسرار، وجعلهم الله تعالى على عدد الساعات لكل ساعة رجل منهم، فكل من فتح الله عليه بشيء من العلوم من ساعة من الساعات كان مدده من رجل تلك الساعة، وهم مفرّقون في الأرض لا يجتمعون أبدًا، كل شخص منهم لازم مكانه لا يبرح عنه، فمنهم اثنان باليمن، وأربعة ببلاد المشرق، وستة بالمغرب، والباقي في سائر الجهات.

ومنهم رجال الغيب: وهم عشرةٌ لا يزيدون ولا ينقصون، أهل خشوع لا يكلمون الناس إلا همسًا؛ لغلبة تجلي الرحمن عليهم دائمًا في أحوالهم، وهم مستورون لا يعرفون، خبّأهم الحق في أرضه وسمائه فلا يناجون سواه، ولا يريدون غيره، دأبهم الحياء، إذا سمعوا أحدًا يرفع صوته في كلامه ترعد فرائصهم، ويتعجبون من ذلك؛ لأنهم يتخيلون أن التجلي الذي أورث عندهم الخشوع والحياء قائم بكل أحد.

وقد يُطلق رجال الغيب على من يحتجب عن الأبصار من الإنس، وقد يطلقون على رجال من الجن من صالحي مؤمنيهم، وقد يطلقون على الذين لا يأخذون شيئًا من العلوم والرزق المحسوس من الحس، بل يأخذون ذلك من الغيب، ومنهم ثمانية عشر ظاهرون بأمر الله عن أمر الله، قائمون بحقوق الله، يحبون إظهار الطاعات وخرق العوائد، وكان الشيخ أبو مدين منهم، فكان يقول لتلامذته: أظهروا للناس ما عندكم من الموافقة كما يظهرون بالمخالفة، وأظهروا ما أعطاه الله من نعمه الظاهرة: يعني خرق العوائد، والباطنة: يعني المعارف، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ

وهذا المريد إذا تخلّق بهذه الأوصاف الأربعة وما تنتجه يكون قد نال من هذه الصفة البدلية، فإن كان مرادًا لها وقف عندها، وصار من أهلها وإن كان مرادًا إلى ما هو أرفع منها تخطّاها، وصار في ما هو أرفع منـــزلة منها.

وبعض المريدين من يقيم في مقام البدليّة أيامًا وأكثر، ويرتحل عنها إلى غيرها إلى أن يصل إلى مقام الفردية.

وبعضهم لا يكون له ذلك بل يكون ملامتي الشرب لا يقف عند مقامٍ ولا حال، بل لا يزال في سير وارتقاء إلى أن ينتهي أجله المحتوم، وينتقل إلى الدار الآخرة وقد حصل من المقامات، والأحوال، والعلوم ما قدر له في الأزل أن يناله والسلام.

ومنها عند قوله فيها:

(وأجمعوا على أنه ينبغي للمريد أنه إذا ذكر الله تعالى أن يهتز من فوق رأسه إلى أصابع قدميه، وهي حال يستدل بها على أنه صاحب همّة يُرجى له الفتح عن قريب).

قال الشيخ أيده الله:

واستدل بها أيضًا على أن صاحب شوق وغرام بمن يذكر وكل ما كان شوقه وغرامه أكثر كان ذكره لمحبوبه أكثر، وكل ما كان ذكره أكثر كان فتحه أكثر، وكل ما كان فتحه أكثر كان تمكُّنه في المقامات أكثر، والتمكن فيها دليل على الرجولية، وهي لا تكون إلا عن أمرين: إما لمحض الجود، أو بمكابدة شديدة مقرونة بالعناية الإلهية، والتوفيق الأزلي فعلم أن ذكر الحق تعالى بالشوق، والغرام، والهمة الزائدة له مزيد تقريب وإمداد من ربِّه تعالى.

فمن أحبَّ مولاه أكثر من ذكره، ولكن مع المراقبة للمذكور، والغيبة فيه عن الذكر، فإن الذاكر إذا كان دائم الذكر، أورثه الذكر الغيبة في المذكور وهي المقصودة منه، فإذا غاب الذاكر عن الذكر في المذكور ينوب الحق عنه في ذكره، فيكون الحق ذاكر لنفسه بنفسه.

ويكون الحق في هذا المقام هو الذاكر والمذكور فناب الحق هنا عن العبد عن ربِّه عند قوله في الصلاة: ((**سمع الله لمن حمده**))، وإن كان الذاكر بحس ظاهر العبد، فإن الحق

ربِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:١١]، وقال رسوله ﷺ: «التحدُّثُ بالنعم شكرٌ». انتهى.

هذا ما أردت إيراده من كلامه، وقد ذكر طوائف كثيرةً رضي الله عنهم، وذكر أن جميع هذه الطوائف قد يكون فيهم نساءٌ، لكن يغلب ذكر الرجال عليهن. انتهى.

تعالى هو الناطق في ذكره على لسان عبده.

ويؤيد هذا ما ورد في الحديث القدسي:

((لا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به. وبصره الذي يُبصر به، ويده الذي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها[1])).

وهذه الحالة هي نتيجة عن الذكر ودوامه، وتُسمَّى بالفناء والسحق، والمحق، والطمس والغيبة فمن عرف قدر هذه المرتبة، وأراد أن يذوقها من نفسه، فليتخذ الذكر الملقَّن به عن الأستاذ المربي.

ومنها عند قوله فيها أيده الله: (وأن يبادروا في الأعمال الصالحة ولا يمهلوها وقت العبادة إلى غيره فما فات لا يعود).

قال الشيخ عفا الله عنه: فما فات الآن من الأعمال لا يمكن قضاؤه عن الماضي أو اليوم الذاهب، فإن أمس الذاهب لا يعود أبدًا فصار في البعد غاية حتى يُقال في المثل: أبعد من أمس، فالعبد في كل آنٍ مكلف بالقيام بالأوامر الإلهية، فإذا أخَّرها لأن بُعده، فما يفعله في الآن الثاني هو ما وجب عليه فيه لا قضاء عن ذلك؛ لأن الماضي لا يعاد فإن فرض الوقت متقدم فرض مضى، ولقد قلت في معنى بعد الأمس:

وكنت وحبي مثل عيني وحاجبي ... قريبين في المعنى كذلك في الحس

ومُذ فرَّق الدهرُ المشتت بيننا ... غدونا كما قد قيل أبعد من أمسِ

ومعلوم أن ما معنى لا يُعاد، ومن قال يتدارك ما فات فإن مراده ينهض همة السالك لكن يتدارك ما بقى فعسى بصلاح الثاني يصلح الأول، وأما النفس الذاهب فقد أخذ نصيبه ومضى، وأما الآتي فإن العبد إذا لم يتداركه بالحضور فيه والمراقبة للمدد المودع عنده فإن حظه منه ومضى كما مضى غيره، والأنفاس والإنات متزاحمة الورود على العبد لا تنقضي إلا بانقضاء الأجل المحتوم، فإذا فات الأول لا يمكن قضاؤه في الثاني، فإن قلت لأي شيء إذا فاتنا صلاة من الصلوات ومضى وقتها وجب علينا قضاؤها في الثاني، قلنا كان القياس عدم القضاء كما هو مذهب بعضهم، لكن لما ثبت القضاء بالأحاديث الصحيحة، قضينا ما فات على طريق التعبد لا القياس، وأيضًا فإن قضاؤنا لما فات من الصلوات والصيام وغيرهما من العبادات إنما هو إثبات منا للصورة التي كنا توقعها في الوقت الأول وليست هي عينها، ولو كانت كذلك لما كان الأداء يزيد على القضاء، وإنما

---

(١) رواه البخاري (٢٣٨٤/٥)، والبيهقي في الكبرى (٢١٩/١٠).

رأينا أن ما وجب علينا في الوقت الأول معنى أوقعنا نظيره في الوقت الثاني رجاء من الحق تعالى أن يجعل ما قضاه في الوقت الثاني في مقابلة ما فات في الوقت الأول.

فمن جدَّ في العبادات بعد التفريط لا يمكنه تداركه أوقات التفريط، لكن الله إذا قبل عبدًا من عباده تقبَّل منه الحسنات، وبدَّل السيئات، فصارت كل أوقاته التي مضت في التقصير طاعات فافهم، والله أعلم.

ومنها عند قوله فيها: وأنهم لا يبالون بكلام العذال من أهل الجدال، وممن لم يسلك الطريق ولا ذاق حلاوة التمزيق، والجمع، والتفريق .

قال الشيخ أيده الله: فكل مريد أثَّر فيه كلام الأغيار، ومال به عن الثبات في الطريق إلى القرار، فذلك لا يصلح أن يكون من أهل الأسرار، وليس هنا من خطار الأخطار، فإن من لم يستهون الصعاب، ويستعذب العذاب فليس هو من الصادقين في سلوك فريق المقرَّبين، ولا عرف قدر ما هو طالب له، فإنه لو عرف ذلك لاقتحم في طلبه المهالك، ولا جعل أذنه، وعاء لكلام العداء، ولو علم أنه ينال منهم الرداء لتحققه بأن ما هو طالبه لا بد له منه، ولا يمكنه الرجوع عنه هذا لمن يذق من شراب القوم بل هو مطروب بالسماع ولم يكشف له بعد القناع.

كما قال سيدي عمر بن الفارض قدَّس الله سره العزيز: مفصحًا عن حاله في بديع مقاله، ويطرب من لم يدرها عند ذكرها كمشتاق يغمى عليه كل ما ذكرت نعم، وأما من ذاق ولاحت له لوائح ذلك المقام، ثم خاف من سطوة الغير، ومبديه القواطع عن إتمام السير فذلك دليل على عدم صدقه في أوائل الدخول؛ لأنه لو كان صادقًا ما ألواه عن مرامه عذول، ولو كان في مطالبه قائمًا بوظائف الأدب[1] ما مال، ولو داره إلى ما هو

---

(١) **قال الشيخ الشرقاوي: قال الحداد** ﷺ: التصوف كله أدب، ولكل وقتٍ أدب، ولكل حالٍ أدب، ولكل مقامٍ أدب، فمن ضيَّع شيئًا منها فهو بعيدٌ من حيث يظن القربَ، مردودٌ من حيث يظن القبول؛ وما أساء أحدٌ الأدب ظاهرًا إلا عُوقب ظاهرًا، ولا باطنًا إلا عُوقب باطنًا. انتهى.

وقال شيخ الشيوخ أبو مدين قدَّس الله سرَّه: ومن لم يأخذ الأدب عن المؤدبين أفسد من تبعه؛ فلا ينتفع به إلا أن أخذ عنهم.

وفي الحديث: «**أدبني ربِّي فأحسن أدبي**»، قال الغزالي: أدبه بمثل: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ**﴾ [الأعراف: ١٩٩] الآية، وما وصل الأولياء إلى الله تعالى بكثرة العمل بل بالأدب، وبه تنال السيادة في العباد حيث ما سار في البلاد.

قالت أم مالك لما وجهته للأخذ عن ربيعة: خذ من أدبه قبل علمه، انتهى، وانظر: شرح الحكم الكردية (ص١٤٨) بتحقيقنا.

طالبه إلى العطب.

ولقد شاهدنا بعض المريدين ولو كمّلوا الأسماء لم يتحققوا في المسمى بل ولا عرفوا حقائق الأمور، ولا شربوا منه كأس الحضور، وهم إلى الآن بالخلق محجوبون، وفي الدنيا راغبون، فإذا كانوا في الزهد لم يتخلّقوا، وهم في أول درجة من درجات الطريق فكيف يطمعون في نيل مقامات التحقيق؟

فإن قلت: فهل ترى بذلك من سبب؟ فإن الحجاب للمريد ممن هو مثل هذا عجب.

قلنا: نعم السبب الدّاعي لذلك أن غالب الطلاب في هذا الزمان إذا أخذوا الطريق لا يأخذونه إلا ليعرفوا ما خفي عنهم فيه، وليلبسوا الكسوة، وليتمموا الأسماء، ولغير ذلك من المقاصد المعلومة التي ليس فيها إخلاص، بل أعمال لغير الله فكيف تثمر أعمال مثل هذا الخلاص؟ ثم أنهم إذا دخلوا الطريق يجدون أيامًا يستنهضوا فيها نفوسهم، ويقولون لها: جدي يسيرًا فإنْ إذا تحققنا ما عليه أهل الطريق رجعنا إلى الكسل والبطالة فيجدون أيامًا قليلة من أيام الطلب فإذا لاحت عليهم بارقة من بوارق الطريق قالوا قد وصلنا، وحكموا لأنفسهم بالوصول مع أنه من شهده لنفسه فما وصل، وما عرف فإن الوصول لا يكون إلا لمحدود، وتعالى الله عن الحدود.

ولقد أنشد سبط سيدي عمر بن الفارض قدّس الله سرّه:

وكــنت أحسب أني قد وصلت إلى أعلــى وأعطــى مقامًا بين أقوامي

حــتى بَــدا لي مقــام لم يكن أربي ولم يمــر بأفكــاري وأوهامــي

فكم من سالك ظن أنه في الحاصل وهو في الفائت، وإذا قالت الطائفة: الوصل فمرادهم: القرب من حضرات الحق، فهذا حال غالب على الطلاب.

وأما القليل من أهل السلوك فإنهم إذا سلكوا في الطريق، ونظروا إلى أحواله ولما يأمر به أهله من الأعمال والأخلاق، فيرونها كلها موافقة للكتاب والسنّة مأمورًا بها، فيقولون لنفوسهم هذا الطريق هو المقصود الموصّل، فإياك يا نفس أن تطلبي عنه براحا فإنه من مال عنه فقد ضل؛ لأنه طريق المصطفى ﷺ الذي كان هو وأصحابه عليه، فما عنه من محيد فيتمسكون فيه جهدهم، ويسيرون على حسب حالهم، فإذا كُشِفوا مهما كُشفوا لا يزيدهم ذلك إلا اتباعًا، وثبتا في الطريق، ومحبة في أهله، واعتنى به.

وأما الفريق الأول فقد يقع إذا سلك أحدهم على سبيل الاختبار والاستكشاف لله، وظهر له بعض أمور، ورأى أنها هي الحق الصرف، وعرف أن طريق القوم هو الطريق المقرّب إلى الله، ورجع عما أضمره من الرجوع بعد التقريب، وجّه وجه العزم، وأخذ

يسير في سبيل الحزم، وعرف قدر ما هو سالك فيه، وأقبل فقيل ما كان الهوى يرديه.

ومنها عند قوله فيها عفا الله عنه: (**وليحذر المتقدم من رؤية نفسه على إخوانه في تقديمهم له، وإياه وحب الرئاسة فإنها سبق قاطع يقطع ظهور المريدين الذين ليسوا بصادقين، وإن الرئاسة لا تحل في قلب أحد إلا هلك**).

قال الشيخ أيده الله:

أي لأن الرئاسة سيادة، والسيادة ضد العبودية، والكاملون لا يخرجون عن مشهد العبودية بحال؛ لأن مقام العبودية أشرف المقامات.

قال الله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى**﴾ [الإسراء: ١].

فلو كان ثَم مقام أشرف منها؛ لوصف به نبيه فمن طلب التقدم على الأقران فقد عرَّض نفسه للبلاء من مدارات من تقدم عليهم، والصبر على ما يخالفون به، وردُّهم بالحسنى إلى ما يوافق الطريق، وليس للمتقدم أن يتميز على مَنْ قدم عليهم من إخوانه، فإنهم قالوا: المتميزين إخوان الشيطان، ثم إن كانوا إخوانه قدموه، أو قدمه الشيخ، فليرى نفسه أنه لا يصلح للتقدم إلا من لم يكن في القوم أرفع منه وهو يرى نفسه أنه دونهم بيقين من نفسه، فإن كل إنسان يعرف ما فيه من الذنوب أكثر من غيره، وإذا كان يشهد نفسه دون المتقدم عليهم وهو أعلى منه ثم تقدم عليهم فقد أساء الأدب مع من هو أعلى منه هذا إن تقدَّم بنفسه، وأما إذا كان مقهورًا في تقدمه فلا بأس عليه في ذلك التقدم.

ولقد قال بعض العارفين: أن مَنْ أُمر بالتقدم والظهور مخيَّرًا فليزهد في تقدمه، فإن ذلك أولى في حقه، وإن كان بأمرٍ محتم، فليتقدم فإنه ليس للعبد يتأخر عن ما أُمر به على سبيل الوجوب.

ولقد نقل سيدي محيي الدين قدَّس الله سرَّه المتين في فتوحاته أنه قيل لأبي يزيد البسطامي: اخرج إلى خلقي بوصفي، فلمَّا خطا خطوة ضعف، فقيل: ردُّوا عليَّ عبدي فلا صبر له عني مع كونه خرج بالأمر.

وكان أبو العباس المرسي ﷺ **يقول**: ما جلست للناس حتى هددوني بالسلب.

فهكذا ينبغي للعبد يزهد في الزكاة حتى أنها لو عرضت عليه لا يقبلها خوفًا من غوائل نفسه ودسائسها.

ولقد قال بعض السادة المحققين:

آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرئاسة، فحب الرئاسة داء دفين؛ لأن النفس تظهر لصاحبها عدم الميل للتقدم، فإذا حصل لها ذلك تظهر كراهيتها له، وأنها مقهورة فيه، ودليل من ليس له رغبة في الرئاسة، ولا ميل لو أنها زالت عنه أو عُزل عنها عزلاً مؤبدًا لا رجوع فيه إليها لا تتغير منه شَعرة بل يفرح بذلك.

قال في ((الحكم)) [1]: **ادفن وجودَكَ في أرض الخُمول، فما نبتَ مما لم يُدفن لا يتمُّ نَتاجُهُ** [2].

---

(١) يعني الشيخ ابن عطاء الله في الحكم.

(٢) قال الشيخ ابن عجيبة: الدفن هو التغطية والستر، والخمول سقوط المنزلة عند الناس، ونتائج الشجرة ثمرتها أستعير هنا للحكم والمواهب والعلوم التي يجتنيها العبد من المعرفة بالله، وذلك عند موت نفسه وحياة روحه.

قلت: استر نفسك أيها المريد وادفنها في أرض الخمول حتى تستأنس به وتستحليه، ويكون عندها أحلى من العسل ويصير الظهور عندها أمر من الحنظل، فإذا دفنتها في أرض الخمول وامتدت عروقها فيه، فحينئذ تجني ثمرتها، ويتم لك نتاجها وهو سر الإخلاص والتحقق بمقام خواص الخواص، وأما إذا لم تدفنها في أرض الخمول وتركتها على ظهر الشهرة تجول ماتت شجرتها أو أسقطت ثمرتها، فإذا جنى العارفون ما غرسوه من جنات معارفهم من العلوم، وما دفنوه من كنوز الحكم ومخازن الفهوم بقيت أنت فقيرًا سائلاً أو سارقًا صائلاً.

قال سيدنا عيسى عليه السلام لأصحابه: أين تنبت الحبة؟ قالوا: في الأرض.

قال: كذلك الحكمة لا تنبت إلا في قلب كالأرض. انتهى.

وقال بعض العارفين: كلما دفنت نفسك أرضًا أرضًا سما قلبك سماء سماء وقال رسول الله ﷺ: «رُبَّ أشعثٍ أغبرٍ ذي طِمرين لا يؤبه به، تَنْبُوا عنه أعيُنُ النّاسِ، لو أقسمَ على الله لأبرَّه في قَسَمِه».

وكان عليه الصلاة والسلام جالسًا مع الأقرع بن حابس كبير بني تميم فمر عليه رجل من فقراء المسلمين فقال عليه السلام للأقرع بن حابس: ما تقول في هذا؟ فقال: هذا يا رسول الله من فقراء المسلمين حقيق إن خطب أن لا يزوج وإن استأذن أن لا يؤذن له وإن قال أن لا يسمع له ثم مر بهما رجل من المترفين فقال له عليه السلام: وما تقول في هذا؟ فقال: هذا حقيق إن خطب أن يزوج وإن استأذن أن يؤذن له، وإن قال أن يسمع له فقال له ﷺ: «هذا يعني الفقيرَ خيرٌ من ملءِ الأرضِ منْ هذا».

وفي مدح الخمول أحاديث كثيرة وفضائل مشهورة، ولو لم يكن فيه إلا الراحة وفراغ القلب لكان كافياً.

وقال بعض الحكماء: الخمول نعمة والنفس تأباه والظهور نقمة والنفس تهواه.

—

وقال آخر: طريقتنا هذه لا تصلح إلا بقوم كنست بأرواحهم المزابل.

قلت: ويجب على من ابتلي بالجاه والرياسة أن يستعمل من الخراب ما يسقط به جاهه وإن كان مكروهاً دون الحرام المتفق عليه بقصد الدواء، كالسؤال في الحوانيت أو الديار وكالأكل في السوق، وحيث يراه الناس وكالرقاد فيه، وكالسقي بالقربة، وحمل الزبل على الرأس بوقاية؛ وكالمشي بالحفا وإظهار الحرص والبخل والشح، وكلبس المرقعة وتعليق السبحة الكبيرة وكل ما يثقل على النفس من المباح أو المكروه دون الحرام.

قال الشيخ زروق ﷺ: وكما لا يصح دفن الزرع في أرض رديئة لا يجوز الخمول بحالة غير مُرضية، وقياس ذلك بالغصّة لا يصح لأن فوت الحياة الحسية مانع من كل خير واجباً ومندوباً وتفويتها مع إمكان إبقائها محرم إجماعاً لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] بخلاف الخمول لا يفوت به شيء من ذلك إنما يفوت به الكمال، وهو نفي الجاه والمنزلة وأصله الإباحة. انتهى.

وأجاب بعضهم بأنه إذا جاز لفوت الحياة الفانية فأولى أن يجوز لفوت الحياة الدائمة وهي المعرفة فتأمله، وقصة لص الحمّام تشهد له، والله تعالى أعلم.

ولقد سمعت شيخنا ﷺ يقول:

الفقير الصديق: يقتل نفسه بأدنى شيء من المباح. والفقير الكذاب: يقع في المحرم ولا يقتلها. وكان كثيراً ما ينهى عن الأحوال الظلمانية، ويقول: عندنا من المباح ما يغنينا عن المحرم والمكروه وأما السؤال فإنما هو مكروه أو حرام لقصد قوت الأشباح مع الكفاية أما لقصد قوت الأرواح فليس بحرام. وقد ذكر القسطلاني في «شرح البخاري»، عن ابن العربي الفقيه أنه قال: واجب على الفقير في بدايته فانظره، وقد ذكره في «المباحث الأصلية» مستوفى فانظره. وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله عند قوله: لا تمدن يدك إلى الأخذ من الخلائق الخ.

فإن قلت: هذا الخراب الذي ذكرت فيه شهرة أيضاً إذ الخمول هو الخفاء عن أعين الناس، وهذا فيه ظهور كبير.

قلت: الخمول هو إسقاط المنزلة عند الناس، وكتمان السر الولاية وكل ما يسقط المنزلة عندهم وينفي تهمة الولاية فهو خمول، وإن كان في الحس ظهوراً ولذلك كان شيخنا ﷺ يقول: طريقتنا منها الخمول في الظهور والظهور في الخمول.

وقال النجيبي في «الإنابة» ما نصه: ومن يقل من الصوفية أن المرقعة شهرة فجوابه أن سلمان الفارسي سافر في زيارة أبي الدرداء من العراق إلى الشام راجلاً وعليه كساء غليظ غير مضموم فقيل له: أشهرت نفسك فقال: الخير خير الآخرة وإنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد فإذا أعتقت لبست حلة لا تبلى حواشيها. انتهى.

ومن ذلك قصة الغزالي ﷺ من حمله جلد الثور على ظهره عند ملاقاة شيخه الخراز وكنسه السوق واستعماله القربة ليسقي الناس كذا سمعتها من الشيخ مراراً ولم أقف عليها عند أحد ممن عرف به، وانظر ما جرى له مع ابن العربي عند قوله: رب عمر اتسعت آماده وقلّت أمداده،

وكذلك قصة الششتري ﷺ مع شيخه ابن سبعين لأن الششتري كان وزيراً وعالماً وأبوه كان أميراً فلما أراد الدخول في طريق القوم قال له شيخه: لا تنال منها شيئاً حتى تبيع متاعك وتلبس قشابة وتأخذ بنديراً وتدخل السوق ففعل جميع ذلك فقال له: ما تقول في السوق؟ فقال قل: بدأت بذكر الحبيب، فدخل السوق يضرب بنديره ويقول: بدأت بذكر الحبيب فبقي ثلاثة أيام وخرقت له الحجب، فجعل يغني في الأسواق بعلوم الأذواق. وكذلك قصة الرجل الذي كان مع أبي يـزيد البسطامي بقي معه ثلاثين سنـة فكان لا ينقطع عن مجلسه ولا يفارقه فقال له يوماً: يا أستاذ أنا منذ ثلاثين سنة أصوم النهار وأقوم الليل وقد تركت الشهوات، ولست أجد في قلبي شيئاً من هذا الذي تذكر البتة وأنا أؤمن بكل ما تقول وأصدقه.

فقال له أبو يـزيد ﷺ: لو صليت ثلاثمائة سنة وأنت على ما أراك عليه لا تجد منه ذرة. قال: فلم يا أستاذ؟

قال: لأنك محجوب بنفسك.

قال: أفلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب؟

قال: نعم ولكنك لا تقبل ولا تعمل.

قال: بل أقبل وأعمل ما تقول.

قـال له أبو يزيد: اذهب الساعة إلى الحجام واحلق رأسك ولحيتك وانـزع هذا اللباس واتـزر بعـباءة وعلق في عنقك مخلاة واملأها جوزاً واجمـع حولك صبياناً وقـل بأعلـى صوتك: يا صبيان من يصفعني صفعة أعطـه جوزة وادخل سوقـك الذي تعظّـم فيه وأنت على هـذه الحالـة حتى ينـظر إليـك كـل من عرفـك فقـال: يا أبا يـزيد، سبحان الله أيقال لمثلي هذا وتحسب أني أفعله؟ فقال له: قولك سبحان الله شرك. فقال له: وكيف؟

فقال أبو يـزيد: لأنك عظمت نفسك فسبحتها.

قـال: يا أبا يـزيد لست أقدر على هذا ولا أفعله ولكن دلني على غير هذا حتى أفعله. فقال له أبـو يـــزيد: ابدأ بهذا قبل كل شيء حتى تسقط جاهك وتذل نفسك ثم بعد ذلك أعرفك بما يصلـح لك.

قال: لا أُطيق هذا.

قـال: إنـك قد قلت أنك تقبل وتعمل وأنا أعلم أن لا مطمع لعبد فيما حجب عن العامة من أسـرار الغيب حتى تموت نفسه ويخرق عوائد العامة فحينئذٍ تخرق له العوائد وتظهر له الفوائد. انتهى.

وكـذلك قصة أبي عمران البردعي مع شيخه أبي عبـد الله التـاودي بفـاس من حَلق رأسه ولبـسه جلابـية، وأخذه خبزة ينادي عليها من يخلصها ففعل جميع ذلك، وكذلك قصة شيخ شـيوخنا سيدي عبد الرحمن المجذوب من أكله التين عند أشجار الناس وغنائه بالأسواق وخرابه بالقـصر مـشهور حـتى طوفوه بها مرارًا، وكـذلك قصة سيدي علي العمراني، فخرابه بفاس مشهور كنارٍ على علم سكن السفليات حتى مات ﷺ، وكذلك قصة شيخ شيخنا مولاي العربي

وإلى صاحب هذا المقام أشار عليه الصلاة والسلام بقوله:

((رُبَّ أشعث أغبر ذي طمرين، تنبو عنه أعين الناس، لو أقسم على الله لأبرَّه[1])).

فالمترئِّس مصدر لتلقي كل وارد، ورد كل شارد فالجفاء مواطن الصفاء، والجميل إنما يحمِّلونه الأثقال لكونه قد اشتهر عنه، فصدَّروه لذلك.

وقد وقع لبعض الصالحين أنه ضجر مما يقاسيه من إنكار أهل المدينة عليه، وعظم أذيتهم له، فأتى بحمل له، وصار يحمِّل عليه أمتعته لقصد المهاجرة من تلك المدينة.

فقال صبي: يا عم حمِّله أيضًا، فإن الجمل يحمل أكثر من هذا، ففهم ما في ضمن ذلك من الإشارة، ورجع عمَّا كان قاصده من السير والرحلة عن البلد، فالصدارة لا يثبت عليها إلا الفحول لكن صاحبها ترسًا يتلقى كل رامٍ له من علام وجهول.

= من لبسه الغرارة وسقيه بالقربة وغير ذلك مما هو معلوم فهذه الحكايات تدل على أن الخمول ليس هو ما يفهمه العوام من لزوم البيوت والفرار إلى الجبال، فذلك هو عين الظهور عند المحققين وإنما الخمول هو كما قال الشيخ زروق ﷺ: تحقيق النفس بوصفها الأدنى وشعورها به أبدًا، ووصفها الأدنى هو الذل وكل ما يثقل عليها فمرجعه للتحقيق بوصف التواضع، وفائدته: تحصيل العمل وكمال الحقيقة. انتهى.

فإن قلت في فعل هذه الأحوال التعرض لكلام الناس، وإيقاعهم في الغيبة.

قلت: هذا مبني على القصد والنية وكل من فعل شيئًا من ذلك فإنما قصده قتل نفسه وتحقيق إخلاصه ودواء قلبه وهم مسامحون لمن قال فيهم عاذرون له، قال سيدي علي في كتابه: نحن نعذر من عذرنا ونعذر من لم يعذرنا.

وقال الشيخ زروق ﷺ في قواعده: قاعدة حكم الفقه عام في العموم لأن مقصوده إقامة رسم الدين ورفع مناره وإظهار كلماته، وحكم التصوف خاص في الخصوص لأنه معاملة بين العبد وربه من غير زائد على ذلك فمن ثَمَّ صح إنكار الفقيه على الصوفي ولم يصح إنكار الصوفي على الفقيه ولزم الرجوع من التصوف إلى الفقه في الأحكام لا في الحقائق. انتهى.

تنبيه: هذه الأدوية التي ذكرنا إنما هي في حالة المرض وأما من تحقق شفاؤه وكمل فناؤه فهو عبد الله سواء أظهره أو أخفاه.

وفي هذا قال الشيخ أبو العباس المرسي ﷺ: من أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء، وعبد الله سواءٌ عليه أظهره أم أخفاه. انتهى.

ولما كان التخلص من دقائق الرياء ومخادع النفوس لا يكون في الغالب إلا بالفكرة ولا تتم الفكرة إلا بالعزلة.وانظر: إيقاظ الهمم (شرح الحكمة رقم: ١١).

(١) رواه الترمذي (٥/٦٩٢)، وأحمد (٣/١٤٥) بنحوه.

ومنها عند قوله فيها أيده الله: (**ومن شأنهم التباعد عن مخالطة الأحداث**).

قال الشيخ أيده الله:

لأن مخالطتهم تفتـــن المريد، والنفس ترخص في معاشرتهم وفي تكرار النظر فيما يحظوا به من المحاسن لكونهم رجالاً فيدع المريد الصادق هذه الرخصة ويأخذ بعزيمة ترك النظر إلا عن ضرورة.

ويتخذ مذهب النووي في تحريم النظر إليهم خوفًا أن يقع منه فتورثه حسرة، وتؤثر في قلبه، فتصير عشقًا؛ لأنهم قالوا: لا يتعلق القلب في غير الله إلا في حال غفلته عن الله كما أنه لا يقع في الشبكة سمكة إلا هي غافلة عنه تعالى.

وإذا تعلق قلب المريد بقلب أحد تشتت عزمه، وتفرُّق همه فينقطع بذلك عما هو طالبه له وتكون النفس قد نالت أربها منه.

وقد قيل: كم نظرة جلبت فترة، وأعقبت حسرة، وأكسبت فوت نضره، وينبغي ترك النظرة الأولى التي هي لك لئلا تقع في الثانية التي عليك.

قال بعضهم: ما اختلى رجل أجنبي بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما.

وقال آخر: ما اختلى رجل بامرأة إلا وكان معهما سبعون شيطانًا.

فكيف النظر عنهم وعدم صحبتهم متأكد، حتى لو لم يكن في مخالطتهم إلا ميل القلب إليهم لكفى المريد قطيعة، فإنه مأمورٌ بأنه لا يشغل قلبه إلا بربِّه، وأن يتفرَّغ للحضور معه، وإشغال القلب بالغير يمنع من جمعية القلب عليه تعالى، فلهذا حذَّرت الأشياخ من صحبتهم خوفًا على الطالب من الافتتان بهم.

ومنها عند قوله فيها: (**وكذلك النساء ومؤاخاتهن والاجتماع بهن كما عليه فقراء هذا الزمان الخسرة**):

فقال الشيخ أيده الله: أي على سبيل الانفراد؛ لأن الخلوة بالأجنبية حرام ومؤاخاتهن على الطريقة التي يفعلها غالب فقراء هذا الزمان من وضع يدها في يده من غير حائل، فذلك لم يثبت في السنَّة.

نعم ثبت أنه ﷺ كان إذا أراد مبايعة النساء يقول كما روي عن عائشة ﵂:

((**قد بايعتك كلامًا وما مسَّت كف رسول الله ﷺ كف امرأة قط**[1])).

وقيل: لما فرغ من مبايعة الرجال يوم الفتح: شرع في مبايعة النساء فدعا بقدحٍ من

(١) رواه البخاري (٤/١٨٥٦)، وأحمد (٦/٢٧٠).

ماء فغمس فيه يده الشريفة، ثم غمس أيديهن.

وروى أنه ﷺ ((بايعهن وبين يديه وأيديهن ثوب قطري))، وقيل: كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعهن.

وروى أنه ﷺ ((جلس بعد ما فرغ من بيعة الرجال على الصفا ومعه عمر ﷺ أسفل منه فجعل ﷺ لا يقر على محرم ويبقهن)) هي ما في آية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [الممتحنة:١٢].

ومصافحة سيدنا عمر ﷺ لهنّ بحضرته ﷺ فيها تصرح بجوازها بحائل، ويُقاس عليها المبايعة وليس لأحد من المشايخ أن يسامح بالانفراد ممن يدعي أنها قد صارت أخته، فذلك لا يجوز في الشريعة المحمّدية.

والصوفية من أهل الطريق لا الصوفية الذين يتشبّهون بهم بحمل العكاز، والسجادة، والمسبحة وغير ذلك مما لا يخرجون عن سياج الشريعة أصلاً، ويتبرؤون مما يفعل ذلك من أتباعهم[1].

---

(١) **ويعرفنا الإمام الجنيد التصوف والصوفية بقوله:**

مبنى التصوف على أخلاق ثمانية من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: السخاء وهو لإبراهيم، والرضا وهو لإسحاق، والصبر وهو لأيوب، والإشارة وهي لزكريا، والغربة وهي ليحيى، ولبس الصوف وهو لموسى، والسياحة وهي لعيسى، والفقر وهو لمحمد ﷺ وعليهم أجمعين.

وقال: التصوف ذكرٌ مع اجتماع، ووجدٌ مع استماع، وعملٌ مع اتّباع.

وقال: إنما هذا الاسم (يعني التصوف) نعتٌ أقيم العبد فيه. فقال أبو بكر الملاعقي: يا سيدي، نعتٌ للعبد أم نعتٌ للحق؟ فقال الجنيد: نعتٌ للحق حقيقةً، ونعتٌ للعبد رسمًا.

وقال: الصوفي كالأرض، يُطرح عليها كل قبيح، ولا يخرج منها إلا كل مليح.

وقال: الصوفي كالأرض يطؤها البرُّ والفاجر، وكالسحاب يظلُّ كل شيء، وكالمطر يسقي كل شيء.

وسُئل عن التصوف؟ فقال: هو أن يميتك الحق عنك، ويحييك به.

وسُئل عن التصوف؟ فقال: هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة.

وقال: التصوف هو عنوةٌ لا صُلح فيها.

وقال: لا يكون العارفُ عارفًا حتى يكون كالأرض يطؤها البرُّ والفاجر، وكالسحاب يُظلُّ كل شيء، وكالمطر يسقي ما يحبُّ وما لا يحبُّ.

وقال: ما أخذنا التصوف عن القال والقيل، لكن عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات، والمستحسنات؛ لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله، وأصله العزوف عن الدنيا، كما قال حارثة: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري.

=

وسُئل عن التصوف؟ فقال: تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى عن الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول ﷺ في الشريعة.

وقال: التصوف حفظ الأوقات، وهو ألا يطالع العبد غير حدّه، ولا يوافق غير ربّه، ولا يقارن غير وقته.

وسُئل ما التصوف؟ قال: لحوق السر بالحق، ولا ينال ذلك إلا بفناء النفس عن الأسباب؛ لقوة الروح والقيام مع الحق.

وقال: الصوفية هم أهل بيتٍ واحدٍ، لا يدخل فيهم غيرهم.

وقال: إذا رأيت الصوفيَّ يُعنَى بظاهره فاعلم أن باطنه خرابٌ.

وقال: لكل أمة صفوةٌ، وصفوة هذه الأمة الصوفية.

وقيل للجنيد مرةً: ما بال أصحابك يأكلون كثيرًا؟ فقال: لأنهم يجوعون كثيرًا. قيل له: فما بالهم لا تهمهم قوة شهوةٍ؟ فقال: لأنهم لم يذوقوا طعم الزنا ويأكلون الحلال. قيل له: فما بالهم إذا سمعوا القرآن لا يطربون؟ قال: وأي شيءٍ في القرآن يُطرب في الدنيا، القرآن حقٌّ نزل من عند حقٍّ، لا يليق بصفات الخلق، كل حرفٍ منه على الخلق واجبٌ، لا يخرجهم منه إلا الوفاء لله ﷻ، فإذا سمعوه في الآخرة من قائله أطربهم. قيل له: فما بالهم يسمعون القصائد والأشعار والغناء فيطربون؟ فقال: لأنها مما عملت أيديهم، ولأنه كلام المحبين. قيل له: فما بالهم محرومون من أموال الناس؟ فقال: لأن الله تعالى يرضى لهم ما في أيدي الناس، لئلا يميلوا إلى الخلق، فيقطعوا عن الحق تعالى، فأفرد القصد منهم إليه؛ اعتناءً بهم.

وسُئل قدّس الله سرّه عن الصوفية: من هم؟ فقال: أثرة الله في خلقه، يخفيها إذا أحب، ويظهرها إذا أحب.

وقال: إذا أراد الله تعالى بالعبد خيرًا أوقعه على الصوفية ومنعه صحبة القراء.

وسُئل الجنيد قدّس الله سرّه عن التصوف ما هو؟ فقال: اجتناب كل خلقٍ دنيٍّ، واستعمال كل خلق سَنيٍّ، وأن تعمل لله، ثم لا ترى أنك عملت.

وقيل لبعض المتكلمين: قد ذكرت الطوائف، وعارضتهم، ولم تذكر الصوفية! فقال: لم أعرف لهم علمًا ولا قولاً، ولا ما راموه؟ قيل: بل هم السادة، وذكروا له الجنيد، ثم أتوا الجنيد فسألوه عن التصوف؟ فقال: هو إفراد القديم عن الحدث، والخروج عن الوطن، وقطع المحاب، وترك ما علم أو جهل، وأن يكون المرء زاهدًا فيما عند الله، راغبًا فيما لله عنده، فإذا كان كذلك حَظاه إلى كشف العلوم، والعبارة عن الوجوه، وعلم السرائر، وفقه الأرواح. فقال المتكلم: هذا والله علمٌ حَسنٌ، فلو أعدته حتى نكتبه. قال: كلا، مر إلى المكان الذي منه بدأ النسيان، وذكر فصلاً طويلاً. فقال المتكلم: إن كان رجلٌ يهدم ما يثبت بالعقل بكلمة من كلامه فهذا؛ فإن كلامه لا يحتمل المعارضة.

وقد نقل عن سيد الطائفتين الجنيد البغدادي قدس الله سره أنه أواه الليل إلى مغارة، وكانت ليلة شاتية، وكان معه حمارة فأخرجها من المغارة.

وقال: مغارة، وحمارة، وليلة مطارة، ونفس أمارة.

فما أمن قدس الله سره أن يبيت هو وحمارة في مكان واحد مع جلالة قدره وعلو منصبه وكان ذلك منه إرشادًا وتعليمًا وهضمًا لنفسه.

فإذا كان سيد الطائفتين لا يأمن على نفسه أن يختلي بامرأة أجنبية فالوقوف مع حدود الشريعة، والتمسك بها من علامات التوفيق، والضد والضد بالضد والله أعلم.

تمت هذه المقدمة بحمد الله وعونه، وحسن توفيقه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا دائمًا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، ووافق تمام رقم هذه النسخة الشريفة اللطيفة الظريفة في شهر شعبان سنة ١٢٩٦هـ على يد العبد الفقير الحقير الذليل الكسير المعترف بالذنب، والعجز، والتقصير الراجي عفو ربه الهادي: أحمد حسن البنهاوي البغدادي الشافعي الأحمدي غفر الله له.

اللهم اغفر لكاتبها ولقارئها ولمن دعا لنا بالمغفرة آمين آمين آمين.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين[1].

=

قال الجنيد: الصوفية أهل غيب، لا يدخل فيهم غيرهم.

وانظر: كتابنا الإمام الجنيد سيد الطائفتين (٢٣٩) بتحقيقنا.

(١) كتب بهامش الأصل: بلغ مقابلته بحسب الطاقة، بمعرفة الشيخ محمد مكاوي في ٩ محرم سنة ١٢٩٧ هـ.

فهرس المحتويات